

891.55:N12dA

نداء طه .

دراسات في الشاهنامة .

891.55
N12dA

~~NO 2015~~

~~NO 10 19~~

891.55
N12dA

دراسة في اللغات الهندية

تأليف

الدكتور طه ندا

مدرس اللغات الشرقية بجامعة الاسكندرية

الناشر : دار الطالب بالاسكندرية

زغلول حماده . ت ٧١١٥٦

الدار المصرية للطباعة

١٠ ميدان محمد علي ت : ٢٤٧٧٠ اسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

على الرغم من المسكاة الرفيعة التي تتمتع بها الشاهنامة في الدراسات العالمية ، وعلى الرغم مما ظفرت به في الغرب من دراسات وأبحاث لم أجد في العربية من يعنى بها وبشاعرها العناية الكافية التي تليق بمثل هذا العمل الأدبي الخالد .

وكانت نقطة البداية في أبحاث الشاهنامة ، باللغة العربية ، ما كتبه أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام في سنة ١٩٣٢ وجعله مدخلا لترجمة البندارى التي نشرها . وكان خليقا بهذا المدخل أن يغرى بمادته المركزة وعرضه الممتع كثيرا من الباحثين لمتابعة البحث في هذا الموضوع . ولكن يظهر أن قلة ما بأيدينا في مصر من مصادر البحث وضالة ما في مكتبتنا العلوية العامة من المصادر الأصلية حول همة الناس عن هذا الموضوع . ولئن صرف هذا عن البحث المستوفى والدرس المستقصى فإنه لن يصرف عن المحاولة . وحسبنا أن يكون في أيدينا نص الشاهنامة نستخرج منه ما يسمح به الجهد ويهdy إليه الفهم .

وإذا كانت الشاهنامة هي المصدر الأساسي في كل دراسات تتعلق بها وتدور حولها فليس هناك ما يمنع من الاستعانة بغيرها من المصادر إذا كانت تجلو غامضا في المصدر الأساسي أو تفصل موجزا أو تجعل الصور والأجواء أوضح وأظهر . ولهذا استفدنا من المؤلفات العربية والأجنبية التي عالجت موضوعات تشير إليها الشاهنامة في سياق حوادثها أو كانت تخدمنا في دراسة الشاهنامة نفسها .

وننبه هنا إلى أن الموضوعات التي درسناها في هذا الكتاب كانت بما

تعرضت لها الشاهنامة أو أشارت إليها إشارة عابرة في ثنايا الحوادث لأننا
التزمنا أن تكون الدراسات في الشاهنامة ومقيدة بها . وليس هناك ما يدعو
للخوض في موضوعات لا نواة لها في الشاهنامة . وكان القصد من هذا كله أن
تكون هذه الموضوعات تصويرا لحياة الايرانيين القدماء كما تصورهما الشاهنامة
وإذا كنا قد أصبنا شيئا من التوفيق فيما تناولناه من موضوعات هذا
الكتاب بقسميه فمن الله وهو ولي التوفيق . وإذا كنا قد جانبنا الصواب فحسبنا
أنها محاولة كادحة ورجاؤنا أن يهدي الله من بعدنا إلى أفضل مما هدينا إليه .

الابراهيمية

طه نرا

في ١٤ / ١٢ / ٥٤

دراسات تاريخية

١ — الفردوسى

يحيط الغموض بحياة الفردوسى وتاريخه من كل جانب مع ما للشاعر من مكانة عظيمة فى تاريخ الفرس الأدبى . فاسم الشاعر غير معروف على وجه التحقيق ، وتاريخ مولده ووفاته محل اختلاف كبير بين الباحثين ، ونشأته الأولى وحياته الخاصة مما يخفى علينا إلى حد كبير ، وحالته الاجتماعية تضاربت فيها الأقوال ، واتصاله ببلاط السلطان محمود الغزنى لما ذا كان وعلى أى نحو تم أمر تختلف فيه الروايات . وعلى هذه الوتيرة من الغموض والإبهام تسير حياة الشاعر العظيم فى كل ناحية من نواحيها . ومن هذا الغموض ، والتضارب فى الروايات يتبين للقارئ مدى ما يلاقيه المتعرض لمثل هذا البحث من المشقة والعناء . ولا مفر لنا من أن نواجه هذه المشا كل الجملة مشكلة مشكلة .

اسم الشاعر وكنيته :

من المصادر ما يسميه « حسنا » . ومنها ما يسميه « أحمد » ، ومنها ما يسميه « منصور » . وكما اختلفوا فى اسمه اختلفوا فى اسم أبيه أيضا . فهو مرة « أسحق بن شرف شاه » ومرة أخرى « على » ، وثالثة « أحمد بن فرخ » . ولو كان الشاعر قد ذكر فى الشاهنامه اسمه أو اسم أبيه لما نشأ كل هذا الخلاف . أما كنية الشاعر « أبو القاسم » فمتفق عليها بين الجميع .

تخلصه :

ولم يختلفوا فى تخلص الشاعر وهو « الفردوسى » ، وإنما اختلفوا فى سبب هذه التسمية . فقال بعضهم إنه سمي كذلك لأن أباه كان بستانيا فى بستان يملكه سورى بن المغيرة يعرف بالفردوس . ومنهم من يرى أن السبب فى هذه

التسمية بستان - فردوس - كان يملكه الشاعر نفسه خارج مدينته طوس .
وهناك من يذكر أن السلطان محمود الغزنى لما دخل عليه الشاعر وأنشده شعره
طرب له وقال « لله درك قد صيرت مجلسنا مشرقا كالفر دوس » والراجح
عندنا أن الشاعر كان معروفا بهذا التخلص قبل قدومه على السلطان كما أن في
الروايات التي تتحدث عن اتصال الشاعر بالسلطان ، وتضاربها في موقف
السلطان من الشاعر وكيف استقبله في بلاطه ما يضعف الرأى الأخير في
سبب التسمية .

منى وأبى ولد الشاعر :

أما متى بدأت قصة حياة الشاعر فهذا أمر مشكل . وما دامت بداية القصة
غامضة فنحن مضطرون أن نبدأ من نهايتها . والشاعر يشير إلى عمره حينما
فرغ من الشاهنامه فيقول ما معناه ^(١) « الآن وقد قارب العمر الثمانين عصفت
الرياح بآمالى دفعة واحدة » . والمعروف أن الشاعر أتم قصته حوالى سنة
٤٠٠ هـ . وعلى هذا يكون مولده قد حدث حوالى سنة ٩٣٢/٥٣٢٠ م . وقد
أقر نولدكه هذا التاريخ إذ رأى أن ولادة الشاعر لا تبعد عن سنة ٣٢٠ هـ ^(٢)
ومن بيت آخر للشاعر ^(٣) يفهم أنه كان قد بلغ الحادية والسبعين حين أتم
ملحمته إذ يذكر في هذا البيت ما مفاده أن السن حين بلغت الحادية والسبعين
كان الشعر قد ذاع فى الكون . وإذا كان المعروف أنه قد أتم كتابه الشاهنامه
فى سنة ٤٠٠ هـ وكانت سنة إذ ذاك احدى وسبعين سنة فمن السهل أن نحدد
تاريخ مولده على هذا التقدير فى سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م .

(١) شاهنامه : ص ٣٠١٧ ج ١٠ ط بروخيم تهران

(٢) الحماسة الايرانية : الترجمة الانجليزية بقلم Bogdanov ص ٣٩

(٣) شاهنامه : ص ٣٠١٧ ج ١٠ ط بروخيم تهران

وفى ترجمة الفتح بن على البندارى ما يفيد أن الشاعر قد انتهى من نظم كتابه فى سنة ٣٨٤ هـ بعد أن بلغ من العمر خمسا وستين سنة ^(١). وعلى هذا الاعتبار يكون الشاعر قد ولد فى سنة ٣١٩ هـ.

ومهما يكن أمر الاختلاف فى تحديد سنة ولادته فما لا شك فيه أن هذه السنة أصبحت بعد ما قدمناه محصورة فى فترة قصيرة بين سنوات ٣١٩ و ٣٢٩ هـ.

وكانت ولادة الفردوسى فى قرية باثر من ناحية طبران وهى قرية كبيرة تضم ألف رجل. وكانت ناحية طبران حسب قول ياقوت قسما من مدينة طوس التى كانت فى ذلك الزمان تنقسم قسمين ^(٢).

مآله الاجتماعية :

ليس فيما لدينا من المعلومات ما يعين على تكوين فكرة صحيحة واضحة عن نشأه الفردوسى الأولى. وكل ما لدينا عن حاله الاجتماعية شذرات وردت فى بعض المؤلفات مثل « چهار مقاله » وإشارات جاءت فى قصته « الشاهنامه ».

فالعروضى، صاحب چهار مقاله، يذكر أن الاستاذ أبا القاسم الفردوسى كان من دهاقين طوس. وكانت له فى تلك القرية شوكة ومكانة، وأنه كان فى غير حاجة إلى الناس بما تدره عليه ضياعه من الدخل ^(٣). ولكن العروضى - رغم ما لكتابته من الأهمية فى الحديث عن الفردوسى - يشككنا فى صحة هذه القضية حين يذكر بعد ذلك مباشرة « ولم يكن له - أى للشاعر - سوى

(١) الترجمة العربية للفتح البندارى نشر عزام ج ٢ ص ٢٧٥، ٢٧٦

(٢) معجم البلدان : مادة طوس ج ٣ ص ٥٦٠ ط لينزج

(٣) چهار مقاله : ص ٤ ط خاور تهران . المقالة الثانية الحكاية التاسعة

ابنة واحدة ، وكان يشتغل بنظم الشاهنامه وكل أمله أن يجهز ابنته بما يناله من الصلة على ذلك الكتاب . ولقد اشتغل خمسا وعشرين سنة إلى أن أتم ذلك الكتاب ^(١) . فإذا كان الشاعر ينفق من عمره خمسا وعشرين سنة حتى يتم كتابا يرجو أن يستعين بمكافأته على تجهيز ابنته فكيف يكون غنيا ذا شوكة في بلده ؟ وكيف يكون ذا ضياع يستغنى بدخلها عما يصله به الناس ؟

وإذا تجاوزنا عن مقدار ثراء الشاعر الذى يشير إليه العروضى ، وجدنا أن عبارته تفيد أنه كان ممن يهتمون بالزراعة . وليس هناك شك فى هذا . والعروضى نفسه يذكر فى موضع آخر أن الفردوسى كان يقدر حي قتيبه الذى كان عامل طوس حق قدره لأنه أعفاه من الخراج ^(٢) . ويذكر فى موضع آخر من نفس الحكاية أن الفردوسى قد دفن فى حديقة كان يملكها وأن قبره لا يزال هناك ^(٣) . وقد مر بنا فيما قبل أن الفردوسى سمي بهذا الاسم نسبة إلى هذه الحديقة التى كان يملكها .

وهذا كله واضح فى أن دخل الشاعر كان يأتى فى ذلك الوقت من الزراعة . أما مدى ما كان عليه من ثراء فهذا مالا تحققه نصوص العروضى .

والظاهر أن ضياع الشاعر التى يشير إليها العروضى لم تكن أكثر من هذه الحديقة التى ذكرها العروضى فى نصوصه ، وذكرها غيره من المؤلفين فى كتاباتهم عن الشاعر . وليس فيما لدينا من المصادر ذكر لأرض أخرى أو ضياع كان يملكها الفردوسى . ويبدو لنا أن هذه الحديقة لم تكن تدر على الشاعر دخلا كبيرا حتى اضطر أن ينفق من عمره خمسا وعشرين سنة فى عناء متصل لكى يتم الشاهنامه وينال ما أمل فيه من صلة يجهز بها ابنته . وليس

(١) چهار مقاله : ص ٤٠

(٢) نفس المصدر : ص ٤١

(٣) نفس المصدر : ص ٤٣

يبعيد أيضا أن يكون عامل طوس قد أعفاه من الخراج لضالة ما يجنيه الشاعر من إيراد هذه الحديقة

وفي الشاهنامه مواضع كثيرة يتحدث فيها الشاعر عن فقره ، وضيق المجال أمامه في الحياة حين شرع في نظم الشاهنامه دون أن يكون لديه ما يعينه على اتمام هذا العمل فيقول « إن ماله لم يكن وافيا للقيام بنفقات هذا العمل ، وليس هناك من يشتري منه هذا العناء ، وأن الدنيا قد امتلأت بالحروب فلا مجال فيها لخير وقد ضاق العالم أمام الساعين » . (١)

وفي موضع آخر يذكر أن الله قد بعث إليه من شجعه على العمل ، وهيا له أسباب التفرغ للنظم ، وأمدّه بما يحتاجه من المال فعاش في ظل رعايته ناضرا كالتفاحة ، وارتفع إلى السماء . وكان راعيه هذا هو ابا منصور بن محمد الذي يقول الشاعر عنه إنه ابدى استعدادا لمعاونته حتى تنطلق روحه إلى النظم ووعدّه أن يبذل له ما يستطيع دون أن يتحدث إلى أحد بحاجته فكان الشاعر عنده كالتفاحة الناضرة (٢) .

وفي مواضع أخرى من الشاهنامه يشير الشاعر إلى ما تقدم من عمره ، وما عاناه من الفقر طيلة اشتغاله بنظم قصته فيقول : « وهكذا قضيت خمسا وستين في حياة من الفقر والعناء » (٣) .

ويصرح الشاعر بأنه نظم هذا الكتاب ليستعين في أيام شيخوخته بما يناله من وراء نظمه من عظمة ومال وجاه ، (٤) وأنه وصل هذا الكتاب باسم محمود ليعينه

(١) شاهنامه : ص ٩ ج ١ ط بروخيم تهران

(٢) شاهنامه : ص ١٠ ج ١

(٣) شاهنامه : ص ١٢٧٤ ج ٥

(٤) شاهنامه : ص ١٢٧٣ ج ٥

على مواجهة الحياة في هذه السن المتقدمة وليأخذ بيده^(١)

ومن مثل هذه النصوص والإشارات يتبين أن الشاعر كان متواضع الحال أو متوسطه على أحسن الفروض ولكنه لم يكن ثريا . فإذا قيل كيف يتفق لشاعر - هذه حاله - أن يرفض هبة السلطان فيما بعد مهما يكن قدرها قلنا إن هذه الهبة جاءت أولا مخيبة لآمال الشاعر خيبة عظيمة ، وجاءته ثانيا متأخرة بعد أن كانت السن قد علت ، والآمال قد خمدت في صدره ، ونهاية العمر قد اقتربت . وسواء أكان قد وزع الجائزة بين الحمى والفقاعى كما جاء فى إحدى الروايات ؛ أو ردها إلى السلطان ردا غنيفا لا ينتظره سلطان من شاعر كما جاء فى رواية أخرى فالواضح أن تصرف الشاعر كان تصرف رجل عزيز النفس أبى ، يحتفظ بكرامته ويقدر فنه حق قدره . وإذا كان الشاعر لم يورث ابنته مالا و ثراء فقد أورثها هذه العزة والإباء حتى إنها رفضت - بعد أن مات أبوها - أن تقبل هدايا السلطان .

رحلة الشاعر إلى غزنين :

لماذا رحل الشاعر من طوس إلى غزنين؟ يذكر دولتشاه أن عامل طوس كان قد ظلمه وجار عليه فسعى إلى غزنه (غزنين) لشكايته^(٢) . ويذهب هذا المذهب أيضا «قاضى شوشترى» الذى يذكر أن الشاعر اغترب عن أهله ووطنه فى طوس لظلم حاكمها وعدوانه .^(٣) ويروى صاحب تاريخ كزنده أن الشاعر هرب من طوس إلى غزنين .^(٤) وهذه الروايات كلها مستبعدة عندنا لأنها مناقضة

(١) شاهنامه : ص ١٢٧٤ ج ٥

(٢) تذكرة الشعراء : ص ٢٧ ط لاهور تصحيح محمد اقبال

(٣) مجالس المؤمنين : ص ٤٩٧

(٤) تاريخ كزنده : ص ٨٢٢ ط براون ١٩١٠

لرواية العروضي عن عامل طوس الذي كان صاحب فضل على الشاعر ، وكان قد أعفاه من الخراج كما سبق بيانه ، فقد ر له الشاعر هذا الصنيع .^(١) هذا إلى أن رواية العروضي أوثق ، وقيمة كتابه من الناحية العلمية أعظم .

إذاً ، ماذا كان السبب ؟ قلنا فيما سبق إن الشاعر كان متواضع الحال ، ولم يكن لديه من الوسائل ما يعينه على الشروع في عمله الفني العظيم حتى أخذ بيده أبو منصور محمد ، ومد عليه جناحه ، وقدم له من المعونة ما يمكنه أن يبدأ العمل . ولكن هذا الرجل النبيل لم يدم للشاعر طويلاً فتوفي بعد أن كان الفردوسي قد قطع في نظم ملحمة شوطاً . وهنا واجه الشاعر المشكلة التي كان قد واجهها من قبل . من له يعينه ويأخذ بناصره حتى يفرغ من منظومته ؟ وهنا أيضاً تذكر الشاعر ما كان أبو منصور محمد قد نصحه به قبل وفاته من ضرورة اهداء الكتاب إلى الملوك بعد اتمامه . ولم يكن أمام الشاعر من الملوك في ذلك الوقت من هو خير من السلطان محمود فرحل اليه ، واتصل به . ولاداعي لأن نطيل الكلام في هذه النقطة أو نورد الأدلة على صحة هذا الرأي الذي ذهبنا اليه لأن موضعه في البحث سيأتي فيما بعد عند الكلام على الشاهنامه وتأليفها . ومن هذا نرى أن الشاعر لم ير حل من طوس لظلم لحقه من حاكمها ولا رغبة في شكايته .

كيف اتصل الشاعر بالسلطان :

هناك روايات مختلفة فيما يتعلق بهذا الموضوع . فدولتشاه مثلاً يذكر أن الفردوسي حين بلغ «غزنين» صادف في طريقه مجلساً ضم مشاهير شعراء ذلك العهد وهم عنصري ، عسجدي ، وفرخي . فلما رأوه مقبلاً عليهم أرادوا أن

یصرفوه عنهم ، وافهموه أن هذا المجلس خاص بالشعراء ، فلما أخبرهم بمشاركته في فن الشعر أرادوا اختباره فنظم كل واحد منهم مصراعاً على قافية صعبة وطلبوا إليه أن يأتي بالمصراع الرابع . فقال عنصری :-

لا يبلغ القمر في ضيائه مبلغ عارضك ^(۱)

فرد عسجدی :

ليس الورد في البستان مثل وجنتك ^(۲)

وواصل فرخی :-

سهام أهدابك تخترق الدروع ^(۳)

فأكمل الفردوسی المصراع الرابع :-

مثل سنان گيو في حرب پشن ^(۴)

فأعجبهم قوله ، وفطنوا إلى ما فيه من الإشارة إلى قصص الفرس القديمة . وأراد العنصری أن يستوثق من علمه وقدرته فامتحنه في بعض الآيات والأشعار المشككة فوجده قادراً ثم يتابع دولتشاه روايته فيذكر أن السلطان محموداً كان في ذلك الوقت قد طلب أن ينظموا له تاريخ ملوك العجم ، ولم يجدوا من يصلح للقيام بهذا العمل حتى اهتدى العنصری إلى الفردوسی ، وعرض أمره في الحال على السلطان الذي استدعى الشاعر ، وراقه ما ارتجله في مدحه حين مثل أمامه :

حينما يغسل الرضيع شفته من لبن الأم

فأول ما ينطق به في المهد اسم محمود ^(۵)

(۱) چون عارض تو ماه نباشد روشن

(۲) مانند رخت گل نبود در گلشن

(۳) مژگانگ گذر همی کند از جوشن

(۴) مانند سنان گيو در جنگ پشن

(۵) چو کودك لب از شیر مادر بشست

بگهواره محمود گوید نخست

فكلفه أن ينظم الشاهنامه .^(١)

ويتفق شوشتری مع دولتشاه فی بحمل هذه القصة وإن كان هناك خلاف بينهما فی بعض التفاصيل . فشوشتری يذكر أن السلطان كان قد عهد إلى العنصری فی نظم تاریخ ملوك العجم . وكان هذا أمراً مشكلاً بالنسبة إليه ، فلما وقع على الفردوسی وعلم أنه كفاء للاضطلاع بهذا العمل ارتاح لذلك وابلغ أمره إلى السلطان الذي كلفه القيام بهذه المهمة .^(٢)

ويذكر حمد الله المستوفی نفس هذه القصة^(٣) . ولا يقدم لنا العروسی شيئاً من التفاصيل فی هذا الصدد ولكنه يكتفی بأن يحدثنا أن الشاعر حمل قصته معه ، وتوجه إلى حضرة السلطان فی غزنين وقدمها إلى الرئيس الكبير أحمد بن الحسن^(٤) الذي قبلها وعرضها على السلطان^(٥) .

وبغير أن ندخل فی تفاصيل - لم يأت دورها بعد - ينبغي ألا نلتفت إلى الروايات السابقة باستثناء رواية العروسی . فليس من السهل على نفس كبار شعراء هذا العهد أمثال عنصری وفرخی وعسجدی أن يعترفوا للفردوسی بالفضل ، وأن يقدموه على أنفسهم فی مثل هذه البساطة واليسر . وليس مما يقبله العقل أن يقرأ القارئ أن السلطان كان قد عهد إلى عنصری - وهو كبير شعراء عصره - أن ينظم الشاهنامه فعجز عن ذلك وارتاح إلى ما رآه من قدرة الفردوسی - ولكن المعقول أن الشاعر بعد أن فقد راعيه أبا منصور محمد ، اتجه إلى السلطان فی غزنه بما كان قد نظمه من ملحمة من تلقاء نفسه أولدعوة وصلته من السلطان الذي لا يستبعد أن يكون قد بلغه خبر الشروع فی نظم

(١) تذكرة الشعراء ص ٢٧

(٢) مجالس المؤمنين ص ٤٩٨

(٣) تاریخ گزیده ص ٨٢٢

(٤) هو ابو القاسم أحمد بن الحسن الميمندی وزير السلطان

(٥) چهار مقاله ص ٤١

هذه الأقاويص فرأى أن يدعو إلى بلاطه ناظمها كما كان يفعل في دعوة غيره ممن يبلغه أمرهم من أهل العلم والأدب .

وهناك في بلاط السلطان اتصل الفردوسى ببعض أهل الفضل والأدب كالسيامى الأديب الوزير الميمندى - وفق ما يقول العروضى - أو بالفضل ابن أحمد الاسفراينى كما يقول غيره .

وأغلب الظن بعد ذلك أن الشاعر لقي من السلطان - أول الأمر - بعض التشجيع والاكترام ، ثم تغيرت الحال فيما بعد على نحو ما نذكره .

موقف السلطان من الشاعر :

قلنا إن الشاعر لقي من السلطان في أول الأمر التشجيع والرعاية . وفي بعض المصادر أن السلطان قد أفرد له جناحا في قصره زينه بالأسلحة وصور الأبطال حتى يعيش الشاعر في جو القصة ، ورتب له معاشا ليتفرغ للنظم . ثم تغير موقف السلطان من الشاعر بعد ذلك فماذا كان السبب ؟ يرى دولتشاه أن الفردوسى في اتصاله ببلاط السلطان لم يكن يبالي بغلامه "إياز" . وكان «إياز» هذا غلاما تركيا من أقرب خواص السلطان وأحبهم إلى قلبه .^(١) فعاداه إياز ودس له عند السلطان واتهمه بأنه رافضى وحذره منه ومن خطر الرافضية مما حول عاطفة السلطان عن الشاعر^(٢) . ولكن مصدرا آخر يبرئ إياز من هذا الاتهام . وهذا صاحب مجالس المؤمنين يذكر أن الشاعر حين هرب من غزنين خائفا من بطش السلطان لم يستطع أحد من عارفى فضله أن يعينه بما يلزمه في سفرته ولكن «إياز» - وكان صاحب فضل ومروءة - أدرك

(١) يروى العروضى عن إياز أنه كان نضر الوجه ، غض العارض ، متناسب

الأعضاء ، متسق الحركات . . . الخ

(٢) تذكرة الشعراء . ص ٢٨

الشاعر بعد أن خرج من غزنين وقدم له ما استطاع من المعونة سرا دون أن يطلع أحدا على ذلك^(١).

وفي چهار مقاله أن الوزير الميمندى كان له في البلاط أعداء كثيرون فلما رأوا عناية الوزير بالشاعر دسوا لهذا الأخير عند السلطان واتهموه بالرفض والتشيع. وأقاموا من بعض أشعاره الدليل على ذلك^(٢). وكان السلطان محمود متعصبا فآثر فيه دسهم. ويبدو أن مسألة التشيع هذه لم تكن في الأغلب سببا جوهريا بدليل أن أبا ريحان البيرونى كان يعلن التشيع ومع ذلك دعاه محمود إلى بلاطه وأكرمه. وكان بلاط محمود يضم العلماء والفضلاء من كل مذهب كالخندى والمسيحى، واليهودى. ومع ذلك لم تكن مذاهبهم مانعة من إكرامهم.

والميمندى هو أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندى؛ وكان رجلا عريق الأصل، كريم المعتقد؛ فصيحاً، على الهمة، معروفًا بالمقدرة والكفاءة. وقد اتجهت نية السلطان من أول الأمر إلى إسناد الوزارة إليه لولا أن أوغر الوشاة قلب السلطان وصرفوه عن تعيينه. وأسندت الوزارة إلى أبى العباس الفضل ابن أحمد الذى استغل مركزه فى تحقيق المنافع الشخصية، وابتزاز الاموال، وظلم الناس حتى تدهورت الاحوال فى خراسان، وحل بأهلها البؤس والقحط، وعمت منه الشكوى فرأى السلطان أن يتدارك الأمر بإسناده إلى الكفاء القادر أحمد بن الحسن الميمندى. وكان الميمندى فى أول الأمر يلى ديوان الرسائل للسلطان أيام كان السلطان صاحب الجيوش بخراسان من قبل أبيه. ثم وسع السلطان دائرة اختصاصه ونفوذه وولاه أمر عساكره، وأضاف إليه أعمال بست والرخج وكثيرا ما عهد السلطان إليه إنجاز المهام الخطيرة

(١) مجالس المؤمنين: ص ٥٠٤.

(٢) چهار مقاله : ص ٤١.

فأنجزها على خير وجه ولذا أنس فيه السلطان القدرة والكفاية وهم أن يسند الوزارة إليه من مبدأ الامر لولا أن سبقه إليها الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد . ثم عاد فأسندها إليه بعد أن فشل أبو العباس . وبلغ من ثقة السلطان في الميمندى أنه كان إذا خرج للغزو وكل إليه تصريف الامور في غيابه .

ومن مآثر الميمندى على العربية أنه لما ولى الوزارة أمر بالامتناع عن استخدام الفارسية إلا عن ضرورة كجهل من يكتب إليه وعجزه عن فهم العربية . والميمندى هذا هو الذى توسط عند السلطان محمود ليطلق سراح البيرونى ، فلما أطلقه أخذ يفهمه ما ينبغى على من يخاطب السلطان من الاستحسان لرأيه ، والتأمين على قوله حتى يأمن جانبه ويتقى غضبه (١) .

وللرة الثانية لم يسلم الميمندى من وشاية الواشين فإنه لما ارتفع أمره ، واستقل بضبط أمور الملك ، سعى جماعة من كبار الامراء فى الإيقاع بينه وبين السلطان ، ونجحوا فى حمل السلطان على عزله ، وحبسه فى قلعة من قلاع بلاد الهند . وظل الميمندى محبوسا هناك حتى توفى السلطان محمود ، وتولى بعده السلطان مسعود فأخرجه من تلك القلعة وأعادته ثانية إلى منصب الوزارة . وظل يشغل هذا المنصب إلى أن توفى فى سنة ٤٢٤ هـ (٢) .

هذا هو الميمندى الذى يقول العروضى إنه مهد السبيل فى البلاط للفردوسى ولكن هناك فريقا من الباحثين يخالفون العروضى فى رأيه ويرون أن الوزير الذى رحب بالفردوسى فى بلاط السلطان محمود كان أبا العباس فضل بن أحمد الاسفراينى . وحجتهم فى هذا أن الاسفراينى كان متعصبا للفارسية حتى أمر بنقل الدواوين من العربية إلى الفارسية . ومن المعقول أن يلجأ الفردوسى

الحكاية الثالثة من المقالة الثالثة .

ص ٦٢

(١) چهار مقاله :

ط طهران نشر نفيسى .

(٢) دستور الوزراء . لخونديمير . ص ٤٠

إلى مثل هذا الرجل . كما أن الفردوسى نفسه قد أثنى عليه فى شاهنامه^(١) بينما لم يرد فى الشاهنامه ذكر عن الميمندى . ويقال إن مصدر ما لقيه الفردوسى من الحرمان انقطاع صلته بأبى العباس الاسفراينى عند ما عزل هـذا الأخير وصودرت أمواله .

ويرجع البعض سبب ما لقيه الفردوسى من الحرمان والإعراض إلى الفردوسى نفسه الذى اعتبر الاتراك فى منظومته أعداء إيران ونسى أن محمودا تركى وأنه من سلالة هؤلاء الاتراك ، وكان من السهل أن يؤثر الوشاة على السلطان ما دام الشاعر ينظر فى منظومته إلى أجداد محمود هذه النظرة ، وليس بغريب أن يضيق صدر السلطان بعصية الشاعر لقومه الإيرانيين الذين جمع فيهم الفضائل وجرد أعداءهم الاتراك عنها .

ويروى صاحب تاريخ سيستان أن الشاعر بعد أن فرغ من نظم الشاهنامه قدمها إلى السلطان محمود الذى قال بعد أن قرأها فى بصعة أيام إن هذه الشاهنامه ليست شيئا سوى الحديث عن رستم وبين رجال جيش ألف رجل يشبهون رستم . ولكن الفردوسى تعصبا منه لم يشأ أن يعترف بوجود من يشبه رستم بين جند السلطان وأصر فى حضرة السلطان على أنه لم يخلق لرستم نظير حتى الآن ثم انصرف . فقال محمود لوزيره هذا الرجل الحقير يعرض بى ، فأشار عليه الوزير أن يقتله فطلبوه ولكنهم لم يجدوه^(٢) .

فرار الفردوسى :

استطاع الوشاة أن ينالوا من الشاعر عند السلطان ، وساعدهم الشاعر على

(١) الشاهنامه : ص ١٢٧٣ ج ٥ .

(٢) تاريخ سيستان : ص ٧ تصحيح بهار .

النيل منه بهذه العصبية الممقوتة ، فانصرف السلطان عنه ولم يكافئه بما كان قد وعده به عند اتمام الشاهنامه . ويقال إن السلطان قد اتجهت رغبته أول الأمر إلى مكافأته بستين ألف دينار ذهباً لكنها نقصت بفعل الوشاة وتأثيرهم إلى ستين ألف درهم فضة . ويروى أن الشاعر حين خرج من الحمام ولقى رسول السلطان وعلم منه أن الجائزة دراهم فضية وليست دنائير ذهبية ألقى أكياس المال على الأرض وطلب من الرسول أن يبلغ السلطان أنه لم يكن ليعانى ما عاناه في سبيل إتمام الكتاب من أجل مبلغ كهذا . وفي رواية أخرى أن الجائزة جاءت مخيبة لآمال الشاعر فوزعها بين الحمامى وفقاعى كان قد شرب منه فقاعا احتقارا لقدر الجائزة .

وكان طبعياً أن يغضب السلطان من فعلة الشاعر وأن يرسل في طلبه . ولكن الشاعر لم يكن ليفعلها وينتظر في المدينة حتى تأتية رسل السلطان وتحمله إليه حيث يلقي جزاءه على هذه الالهانة التي وجهها إلى السلطان ففر من غزنة ليلاً إلى هراة واختفى في دار اسماعيل الوراق - والد الأزرق الشاعر - ستة أشهر حتى كف عن طلبه رسل السلطان ، ثم انتقل بعد ذلك إلى طوس وحمل الشاهنامه وسار إلى ملك طبرستان في ذلك الوقت الاصبهيد شهريار (١) . وأراد أن يقدم إليه الشاهنامه ويجمعها باسمه بعد أن يمحو اسم محمود منها . وكان اصبهيد شهريار خاضعاً لنفوذ محمود فلم ير من الحكمة أن يقبل هذا العرض ، وأخذ يسترضى الشاعر ، ويطيب خاطره ، حتى ينسى ما لقيه من اهمال السلطان ويمحو ما كان قد أثبتته في الشاهنامه من هجائه . وقد طاب الشاعر نفساً ، ورضى أن يمحو ذلك الهجاء - وكان مائة بيت - فاندرس ولم يبق منه كما يقول العروضى

(١) شهريار بن شروين حكم مدة طويلة وكان معاصراً لركن الدولة البويهى ، وشمس المعالى قابوس بن وشمكير .

سوی هذه الآيات الستة ^(۱) :-

لقد طعنوا على وقالوا إن ذلك الثرثار
قد شاب على حب النبي وعلى ^(۲)
ولئن تحدثت عن حبي لهم
لحميت مائة من أمثال محمود ^(۳)
إن ابن الأمة لا يحسن أمرا
ولو كان أبوه ملـ^(۴)
ما أكثر ما أتحدث به في هذا الموضوع
الذي هو كالبحر لا أعرف له نهاية ^(۵)
لم يكن للملك مجال في فعل الخير
وإلا لرفعني فوق العرش ^(۶)

(۱) چهار مقاله ص ۴۲ .

(۲) مراغمز کردند کان پرسخن .

(۳) بمهر بنی علی شد کهن .
اگر مهرشان من حکایت کنم .

(۴) چو محمود را صد حمایت، کنم .
پرستار زاده نیاید بکار .

(۵) وگر چند باشد پدر شهریار .
ارین در سخن چند رانم همی .

(۶) چو دریا کرانه ندانم همی .
به نیکی نبند شاه را دستگاه .

وگر نه مرا بر نشاندی بگاه .

ولما لم يكن أصله عظيما

فإنه لم يحسن الإصغاء إلى العظماء (١)

ويقضى الشاعر بقية حياته في طوس ، ويشغل محمود بفتوحه في الهند إلى أن جاء يوم كان السلطان عائدا فيه إلى غزنين من إحدى غزواته فاعترضه في الطريق أحد الثوار وقد تحصن في قلعة حصينة ، فتوقف محمود لمنازلته . ورأى قبل الشروع في القتال أن يرسل إليه رسولا يدعوه إلى طاعة السلطان والمثول بين يديه . وكان السلطان فيما يظهر قلقا من أمر هذا الثائر حتى أنه سأل وزيره الميمندى ماذا يكون موقفنا لو رفض هذا الثائر ما دعونا إليه . فتمثل الوزير ببیت الفردوسى الذى يقول فيه :-

إذا جاء الجواب مخالفا لرغبتي

فأنا والدبوس والميدان وافرا سياب (٢)

وسمع السلطان البيت ، فأعجبه ما يشيع فيه من القوة والحزم وسأل عن قائله فعرف أنه الفردوسى الذى قضى السنين الطوال ينظم الشاهنامه حتى أتمها دون أن يرى ثمرة لعمله . فأسف السلطان على ما كان من إهماله الشاعر ، وأراد أن يعرضه عما فاتته ، فأرسل إليه بعد عودته إلى غزنين الهدايا العظيمة محملة على الإبل ، ولكن هذه الهدايا وصلت متأخرة إذ بينما كانت الإبل تدخل المدينة من بوابة « رودبار » كانت جنازة الفردوسى تخرج من المدينة من بوابة « رزان » .

(١) چواندر تبارش بزرگى نبود .

ندانست نام بزرگان شنود .

(٢) اگر جز بکام من آید جواب .

من و گرز و میدان و افرا سیاب .

وفاة الفردوسى :

وفى أواخر عمر الفردوسى استولى عليه الضعف الشديد إذ كان عمره فوق الثمانين ، وخابت آماله فى الحياة والناس ، وأثر فيه جزعه على ابنه الذى مات قبله فى سن السابعة والثلاثين . وكانت نهاية الشاعر فى سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م . وترك من بعده ابنة شديدة الكبرياء رفضت هدية السلطان مع شدة حاجتها إليها فرأى المسكلفون بالأمر أن يخلدوا بهذه الأموال ذكر الفردوسى فبنوا بها رباطا باسمه . وفى بعض المصادر أن اسم هذا الرباط « چاهه » .^(١)

ودفن الشاعر فى الحديقة التى كان يملكها . وقد زار قبره النظامى العروضى فى سنة ٥١٠ هـ^(٢) . ويذكر قاضى شوشترى^(٣) أنه زار قبر الفردوسى فى خرائب طوس . وقد أمر بعمارته عبيد الله خان اوزبك ، ويزوره الناس وخصوصا جمهور الشيعة^(٤) .

(١) چهار مقاله : ص ٤٣

(٢) چهار مقاله : ص ٤٣

(٣) القاضى الشوشترى هو سيد نور الله بن شريف المرعى الشوشترى المعروف بقاضى شوشترى . قتل فى سنة ١٠١٩ هـ . وكتابه « مجالس المؤمنين » من مؤلفات القرن الحادى عشر الهجرى .

(٤) مجالس المؤمنين : ص ٥٠٦ .

٢ — انتشار الثقافة البهلوية في العهد الاسلامى

يرجع الفضل فى تأليف شاهنامه الفردوسى أو غيرها من الشاهنامات التى تقدمتها إلى ما كان منتشرا فى ذلك الوقت من الثقافة البهلوية التى وصلت إلى المسلمين مترجمة فى أغلب الأحوال على يد فريق من المترجمين المسلمين وكانت هذه المؤلفات البهلوية القديمة معروفة لدى المؤرخين الإسلاميين . فالمسعودى مثلا يتحدثنا عن كتاب للفرس يقال له « كهناماه » فيه مراتب مملكة فارس ، ويذكر عن هذا الكتاب أنه من جملة « آئين نامه » أى كتاب الرسوم ، وكان كتابا عظيما يقع فى آلاف الأوراق ، ولا يكاد يوجد كاملا إلا عند الموازنة وغيرهم من ذوى الرياسات^(١) . وبلغ من انتشار المؤلفات البهلوية على عهد المسعودى أنه رأى بنفسه بمدينة اصطخر من أرض فارس فى سنة ٣٠٣ هـ عند بعض أهل البيوتات من الفرس كتابا عظيما يحوى كثيرا من علوم الفرس وأخبارهم وأبنتهم وسياساتهم وغير ذلك من المواد التى لم يجد المسعودى لها نظيرا فى كتب الفرس الأخرى « كخداى نامه » . « وآئين نامه » . « وكهناماه » ويظهر أن هذا الكتاب كان ذا قيمة كبيرة من الناحية الفنية إلى جانب أهميته التاريخية . ويتحدث عنه المسعودى فيقول : « قد صور (أى الكتاب) كل واحد منهم (أى من ملوكهم) يوم مات شيخا كان أو شابا وحليته وتاجه ومخطط حيته وصورة وجهه ، وأنهم ملسكوا الأرض أربعمئة سنة (يعنى ملوك فارس من آل سامان) وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام ، وأنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزانة كي لا يخفى

على الحى منهم صفة الميت وصورة كل ملك كان فى حرب قائما وكل من كان فى أمر جالسا وسيرة كل واحد فى خواصه وعوامه وما حدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب بما وجد فى خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٢ ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية^(١) .

وبلغ من شيوع كتب الفرس أن حمزة الأصفهاني (المتوفى فى منتصف القرن الرابع تقريباً) لى يكتب ما كتب عن ملوك الفرس اضطر إلى أن يجمع النسخ المختلفة النقل فاتفق له منها ثمانى نسخ وهى كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزائن المأمون وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الاصفهاني وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الاصفهاني وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من اصلاح بهرام ابن مردانشاه موبد كورة شابور من بلاد فارس^(٢) . وهكذا ترى أن حمزة استطاع أن يحصل على كل هذه النسخ فى الموضوع الواحد^(٣) .

ويروى حمزة عن بهرام موبد كورة شابور من بلاد فارس أنه جمع نيفا وعشرين نسخة من كتاب « خدای نامه » حتى يصلح منها تواريخ ملوك الفرس من لدن گيومرث والد البشر إلى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم إلى العرب^(٤) وفى عهد بنى العباس اشتغل الموابذه الايرانيون فى فارس وبغداد بالأمو

(١) التنبيه والاشراف : ص ٩٢، ٩٣ .

(٢) تاريخ سنى ملوك الأرض : ص ٩ ط برلين .

(٣) عدد النسخ سبع لا ثمان كما ذكر حمزه

(٤) نفس المصدر : ص ١٩

العلمية والأدبية . ونرى في عصر المأمون « آتور فرن بغ فريخ زاتان » الموبذ
يؤلف كتابا في بضع مجلدات يحتوى على أهم الآداب الدينية الزرد شتيه وهو
كتاب « دين كرت » ^(١) . وفي سبك شناسى بيان طويل بأسماء ما ترجم من
الكتب النارسية إلى العربية فى شتى أنواع المعارف ^(٢) .

ومن أشهر المترجمين فى هذا الميدان عبد الله بن المقفع الذى ترجم فى
حدود سنة ٤٢ هـ كتاب « خدای نامه » فى تاريخ ملوك ايران . ولسوء الحظ
فقدت الترجمة العربية لابن المقفع . وكان هذا الكتاب معروفا لدى المؤلفين
فى العهود الاسلامية .

وهناك غير ابن المقفع نفر اشتغلوا بسير ملوك ايران فترجموا عن پهلوويه
مباشرة أو قاموا بهذيب واصلاح ترجمة ابن المقفع وغيرها من الترجمات أمثال
محمد بن الجهم البرمكى ، محمد بن بهرام بن مطيار الأصفهاني ، وهشام بن قاسم
الأصفهاني ، وموسى بن عيسى الكسروى ، وزادويه بن شاهويه الأصفهاني
وغيرهم ممن ذكر اسماءهم حمزة الأصفهاني فى تاريخه ، وابن النديم فى فهرسته ،
وأبو ريحان البيرونى فى الآثار الباقية ... الخ

وإذا كان معظم هذه المؤلفات أو المترجمات التى تتصل بسير ملوك الفرس
لم تصلنا نحن المتأخرين إلا أن المتقدمين قد استفادوا منها واقتبسوا عنها كثيرا
من الاقتباسات نجدها فى كتبهم أمثال الطبرى ، والمقدسى ، وابن قتيبة الدينورى ،
المسعودى ، حمزة الأصفهاني ، البيرونى ، والشعالى وغيرهم .

ولكن ما هى أهم هذه المؤلفات أو المترجمات التى كانت منتشرة فى ذلك
الوقت ، وعرفها المؤلفون فى العهد الاسلامى ، وكانت مصدرهم فيما ألفوه
من الشاهنامات .

(١) سبك شناسى . محمد بهار . ص ١٤٥ ج ١

(٢) نفس المصدر والجزء ص ١٥٥

٣- مصادر الشاهنامات المختلفة

فهرای نامه :

هذا الكتاب من أهم ما اعتمد عليه مؤلفو الشاهنامات المختلفة . واصل اسمه في الپهلوية «خوتای نامك» . وخوتای بمعنی شاه . فاسم الكتاب على هذا «شاه نامه» . وخوتای نامك الپهلوی كتاب فی تاریخ وسیر ملوك ایران من عهد گیومرث حتى آخر الملوك الساسانیین . ويسمیه المؤلفون العرب «سیر الملوك» وقد كتب فی زمن یزدجرد الثالث ^(١) وبأمره على یددهقان عالم اسمه دانشور . وكانت مادة هذا الكتاب فی حقيقة الأمر معدة من قبل یزدجرد إذ كان انوشروان ^(٢) قد أمر بجمع الأخبار المختلفة ووقائع الملوك وتسجيلها فی دفاتر رسمية . وكانت هذه التواریح قد حفظت فی خزانة إلى أن جاء یزدجرد فأمر الدهقان دانشور ، وكان من أكابر المداین وحكامها ، بجمعها وأن يضع لها «فهرست» من بداية دولة گیومرث حتى انتهاء دولة خسرو پرویز ، وكلفه أن يسأل الموازنة والعلماء عن كل مالم يكن مذكورا فی ذلك التاريخ وأن يلحقه به حتى يصیر تاما كاملا . ولكن إذا كانت مادة الكتاب تنهى بانتهاء دولة خسرو پرویز فمن أين جاءته هذه الزيادات التي تمتد بمادته إلى آخر الملوك الساسانیین . يرجح کریستنسن أنه بعد موت یزدجرد الثالث ألحق العلماء الزردشت بهذا الكتاب ملحقات تتعلق بوقائع العهد الساسانی الأخير وزادوها على أصل «خوتای نامك» . وعلى أى حال فان «خوتای نامك» الأصلی

(١) ملك من حوالی سنة ٦٣٢ إلى سنة ٦٥٢ م

(٢) ملك من سنة ٥٣١ إلى سنة ٥٧٨ م

وقف في حوادثه وأخباره عند نهاية عهد خسرو پرويز^(١). وقد ضاع المتن الپهلوى لخداینامه في أوائل العهد الإسلامى ولكن بقيت منه أجزاء متفرقة في كتب التاريخ المختلفة. وقد ترجم في النصف الأول من القرن الثانى الهجرى على يد عبد الله بن المقفع إلى العربية وسماه « سير ملوك الفرس » والمعتقد أن ابن المقفع ترجمه عن الأصل الپهلوى رأسا.

ويظهر أن المؤلفين الفرس أنفسهم قد زادوا على النص الأصلى زيادات مختلفة كما يذكر كريستنسن فيما سبق، وأن أيدى النساخ قد عبثت بالكتاب إلى حد دعا حمزة الأصفهانى إلى أن يذكر نقلا عن موسى بن عيسى الكسروى أنه نظر في نسخ الكتاب المسمى « خدای نامه » والذي سمي كتاب تاريخ ملوك الفرس بعد نقله إلى العربية وبحثها بحث استقصاء فوجدها مختلفة حتى إنه لم يظفر منها بنسختين متفقتين^(٢). وعلى كل حال فإن هذا الكتاب بعـ أن ترجمه عبد الله بن المقفع قلت أهمية متنه الأصلى وضعف رواج هذا المتن إلى أن اختفى نهائيا ثم اختفت من بعده الترجمة العربية.

ويرى ذبيح الله صفا أن ما كتب عن أساطير ايران من بدء عهد گیومرث حتى عهد یزدجرد بن شهریار في الكتب المعتمدة أمثال عیون الأخبار، والأخبار الطوال للدينورى، وتاريخ البلعمى، ومروج الذهب، والتنبيه والاشراف، وسنى ملوك الأرض، وغرر أخبار ملوك الفرس، والآثار الباقية، والشاهنامه للفردوسى، وبجمل التواريخ والقصص، وكامل التواريخ لابن الأثير إنما هو مأخوذ عن متن خدای نامه أو من سير الملوك لابن المقفع

(١) كريستنسن: تاريخ إيران في عهد الساسانيين الترجمة الفارسية لرشيد ياسمى

ص ٣٣

(٢) تاريخ سنى ملوك الأرض: ص ١٥ ط برلين.

أو مقتبس من الترجمات الأخرى (١).

بانظر زريبرانه :

متن هذا الكتاب الپهلوی باق حتى اليوم ، وقد طبع الأصل في بمباي في ١٦ صفحة . ويشمل ما يقرب من ٣٤٦ سطرًا . ويقال له أيضا شاهنامه گشتاسب . والالف والنون في زريبران علامة النسبة . ومن هذا يتبين أن وقائع الكتاب منسوبة إلى زريبر أخى گشتاسب . وقد رأى المستشرق الفرنسي المعروف Beneveniste أن الكتاب بصورته الحالية منظوم في العهد الأشكاني وقد أدخلت عليه تغييرات في العهد الساساني حتى انتهى أمره إلى ما صار عليه . واستطاع هذا العالم بعد بحث وتحقيق أن يحدد الكتاب من الزيادات والاضافات التي لحقته في العهد الساساني (٢).

وهذا الكتاب منظوم : وموضوع هذه المنظومة مذهبي يصور النزاع الذي قام بين الايرانيين والتورانيين حول المذهب الزردشتي ، فقد اعتنق الملك گشتاسب هذا الدين وتبعه شعبه . وكان ملك التوران والصين في ذلك الوقت أرجاسپ يأخذ الأتاوة من الايرانيين ، فأشار زردشت على گشتاسب أن يكف عن دفع هذه الأتاوة ، فأجابه إلى مشورته . فلما بلغ ذلك أرجاسپ كتب إلى گشتاسب كتابا طويلا عنفه فيه على دخوله في هذا الدين الجديد وأمره بتركه وعدم الاستماع إلى مشورة ذلك لرجل - أي زردشت - وأن يرجع إلى سيرته الأولى في دفع الأتاوة وأخذ يهدده إن لم يسمع ويطيع بالحرب والويل والدمار والقتل . ولما وصل إلى گشتاسب كتاب أرجاسپ عرضه على

(١) حماسه سرأى در ايران : ص ٦٨

(٢) نفس المصدر : ص ١١٦

رجال دولته فأبوا أن يقبلوا التهديد ، وتقدم وزير أخو گشتاسپ وولده اسفنديار إلى الملك مستأذنين في الرد على هذه الرسالة ، فأذن لهما گشتاسپ ؛ وردا على ملك التوران ردا قاسيا ملاه بالتهديد والوعيد . وكان من جراء هذا أن نشبت الحرب بين الفريقين وجمع ملك الترك جيوشه ، وأقبل مندفعاً إلى أرض الايرانيين . وهناك تلاقت الجيوش ودامت الحرب بينهم أسبوعين انتهت بانهمزام أرجاسپ وعودته خائباً إلى بلاده ، لكن انتصار الايرانيين لم يكن هيناً سهلاً إذ فقدوا في هذه الحرب ثلاثين ألفاً من القتلى كان من بينهم وزير أخو گشتاسپ . وهكذا راح وزير ضخمة الدفاع عن الدين والذود عن حياضه مما جعل له مكانة خاصة في القصص الايراني . وهذا الكتاب نقله الدقيقى في الجزء الذى نظمه من الشاهنامه عن گشتاسپ وقدره ألف بيت (١) .

كارنامه اردشير بابكر :

هو كتيب بالپهلوية في مثل حجم الكتيب السابق . وهو من القصص الحماسية المنشورة . وقد ألف هذا الكتيب في أواخر العهد الساساني حوالى سنة ٦٠٠ م . ويتحدث هذا الكتيب عن أعمال الملك أردشير وأحياناً يتعرض لأعمال ابنه وحفيده . وكان هذا الكتاب من بين ما وصلنا من آثار العهد الساساني . وقد طبع في بمباى بالهند .

ومن أسباب أهمية كارنامه أردشير أنه مصدر لفصل كبير من شاهنامه المنصورى التى هى بدورها مصدر مهم لشاهنامه الفردوسى المنظومة ، وذلك فيما يتعلق بالفصل الخاص بأردشير من بداية أمره حتى ولادة هرمز بن شابور . ومما يؤيد استفادة الشاهنامه من هذا الكتاب التقارب الكامل والارتباط المستقيم

بين الشاهنامه والنسخة الموجودة من كارنامه أردشير بابكان فيما يتصل بحياة أردشير^(١). ويرى نولدكه أن الفردوسى قد استفاد من هذه القصة التى امتزج فيها التاريخ بالأسطورة إلا أنه قدر فع منها أجزاء تتحدث عن الديانة الفارسية القديمة لعدم ملاءمتها للمسلمين كما اختصر فى بعض الحوادث وأضاف إليها بعض الإضافات^(٢). ويظهر من نص أورده صاحب مجمل التواريخ أن هذا الكتاب كان مشهورا فى زمن المؤلف^(٣) وكان معروفا باسم عهد أردشير^(٤). وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية بواسطة نولدكه فى ١٨٧٨ م .

قصة رسم واسفنديار :

يورد ابن النديم هذا الكتاب من بين الكتب المؤلفة فى السير والاسمار الصحيحة التى لملوكهم^(٥) وقد ترجمه جبله بن سالم^(٦) وكانت هذه القصة من القصص الذائعة وقتذاك . وهذه القصة مثل عدد غيرها من القصص كقصة أردشير بابكان ، بهرام چويين ، رسم وسهراب ، ويثرن ومنيثرة من القصص التى نقلت عن مصادرهما المستقلة وضمت إلى الشاهنامه - ويروى ابن هشام فى السيرة أن هذه القصة كانت معروفة تروى فى بداية عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

(١) حماسه سرائى در ايران : ص ١٢٨

(٢) الحماسة الايرانية لنولدكه : ص ١١ ترجمة Bogdanov

(٣) ألف كتاب مجمل التواريخ والقصص سنة ٥٢٠ هـ فى عهد السلطان سنجر ومؤلفه مجهول . ويتحدث هذا الكتاب عن تاريخ العالم من مبدأ الخلق حتى سنة تأليفه ويفصل الكلام فيما يتصل بتاريخ ايران .

(٤) مجمل التواريخ : ص ٦١

(٥) الفهرست : ص ٣٠٥ ط ليرج

(٦) هو جبله بن سالم بن عبد العزيز كاتب هشام بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٥ هـ

ويذكر «أن النضر بن الحارث كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه فهلهم إلى فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار . . الخ» (١) .

قصة بهرام جوبين :

وقد ذكرها كذلك ابن النديم وترجمها جبلة بن سالم (٢) وقد ضاعت هذه القصة وترجمتها . وبقي منها بعض الآثار في المصادر المختلفة كالشاهنامه للفردوسي ، وحديثها طويل عن قصة بهرام جوبين ، وكتب التاريخ المختلفة كالأخبار الطوال (٣) والطبري وابن الأثير وغيرها . وكانت ترجمة هذه القصة سبيلا إلى ذبوع شهرتها في العهد الاسلامي .

قصة وبس ورامين :

وترجع هذه القصة إلى عهد شاپور بن أردشير بابكان . وقد ظل المتن الهلوي لهذه القصة معروفا حتى عهد طغرل السلجوقي يعني النصف الأول من القرن الخامس الهجري . وفي عصر هذا الملك ترجمها نظما بالشعر الفارسي فخر الدين أسعد گرگاني .

-
- | | | |
|----------------------|----------------|-------------------|
| (١) سيرة ابن هشام : | ص ٣٢١ ج ١ | ط الحلبي ١٩٣٦ |
| (٢) الفهرست : | ص ٣٠٥ | ط ليرنج |
| (٣) الأخبار الطوال : | ص ٧٩ وما بعدها | ط السعادة ١٣٣٠ هـ |

كتاب أخبار الإسكندر :

وهو مأخوذ من الأساطير اليونانية التي رواها جند الإسكندر الذين انتشروا في البلاد الفارسية بعد الغزو الإسكندري . ومن مجموع قصص هذا الكتاب يبدو أنه كتب باليونانية في حدود القرن الثالث الميلادي في مصر ونسب إلى واحد من المؤرخين المعاصرين للإسكندر وهو « كاليستنس » . وقد ترجم هذا الكتاب فيما يظهر إلى الپهلوية . وقصص الإسكندر المعروفة في اللغة الفارسية باسم « سكندر نامه » كانت مشهورة . وقد استفاد مؤلفوها من هذا الكتاب كالفردوسي والنظامي . وهذا الكتاب استمد مادته من أخبار الإسكندر واختلطت فيه الموضوعات ببعض الحقائق التاريخية وبعض الروايات السريانية والأقاصيص الإيرانية ^(١) .

كتاب السكيكين :

هكذا يذكر المسعودي اسم الكتاب في حديثه عن مقتل افراسياب ويقول « والفرس كلام طويل في قتل افراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم بن دستان . هذا كله مشروح في الكتاب المترجم بكتاب السكيكين ترجمه ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية » . ^(٢) ويقول بعد قليل إن هذا الكتاب تعظمه الفرس لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم ^(٣) . وفي

(١) حماسه سرائی در ایران : ص ٨٦

(٢) مروج الذهب : ص ١٤ ج ١ ط البهية المصرية ١٣٤٦

(٣) نفس المصدر والجزء : ص ١٤١

اسم هذا الكتاب تحريف . وقد ورد اسمه بصور مختلفة في المصادر المختلفة
فباريه دى مينار Barbier de Meynard ناشر مروج الذهب طبعة باريس
يصححه « سكيسران » ^(١) . ويرى كريستنسن Christensen أن هذا التصحيح
لا يبعد عن الحقيقة لأن سكيسران في اللغة الهلوية « سكسران » يعنى
« سران سسك » ، « سران سگستان » (سيستان) . ويعتقد صاحب حماسه
سرائى أن أصل الكلمة سكسين ، سگزيين (سگزيان) . ومن عنوان الكتاب
يرجع أن يكون موضوع حديثه عن أهل سيستان وأخبار رستم ^(٢) . ومن
هنا تأتى أهمية المادة الواردة في هذا الكتاب لصلتها برستم وأبطال سيستان
وغير ذلك من الحوادث والوقائع التى جرت في عهد الكيانيين .

كتاب التاج : (تاج نامك)

وهو من الكتب التى ذكرها ابن النديم ويسميه كتاب التاج وما تألفت به
ملوكهم ^(٣) . وقد استفاد منه ابن قتيبة صاحب عيون الأخبار .

نামه تفسر :

وكان تنسر أحد أمراء ملوك الطوائف وقد ورث عن أبيه الملك ولكنه
تخلى عنه واختار العزلة ، فلما ظهر أردشير وتغلب على أردوان واستقل بالملك
دخل فى خدمته ، وكان له ناصحاً ومشيراً . وكان تنسر زاهدا ورعا فكلفه
أردشير أن يجمع المتون المقدسة الزرادشتية وأن يعيد كتابة الأشتا ولقبه

ص ١١٨ ج ٢ ط باريس

ص ٤٣

ص ٣٠٥

(١) مروج الذهب :

(٢) حماسه سرائى :

(٣) الفهرست :

«پور یو تکیش» ای «دارای کیش پدشینیان»^(١). بمعنی راعی دین الاسلام. ویندکر المسعودی أن اردشیر بن بابک اتصل فی بدء ملکه بزاهد من زهادهم وابناء ملوکهم یقال له تنسر وکان افلاطونی المذهب علی رأی سقراط وأفلاطون^(٢).

ومن المؤلفات التي تحدثت عن تنسر هذا غیر المروج والتنبیه للمسعودی، تجارب الأمم لأبی علی مسکویه^(٣)، وتحقیق ما للهند من مقوله لأبی ریحان البیرونی^(٤)، فارسنامه فی حدیثه عن اردشیر بابکان ضمن ملوک الساسانیین^(٥)، وتاریخ طبرستان لابن اسفندیار^(٦).

ص و دیباجه مجتبى مینوی طهران

(١) نامه تنسر

ص ١٥٤ ج ١

(٢) مروج الذهب

(٣) هو أبو علی الخازن احمد بن محمد یعقوب الملقب بمسکویه. أسلم بعد أن کان مجوسیا. کان ذا علم بکثیر من فروع المعرفة والدراسة کالفلسفة والکیمیا والأدب والفقه والتاریخ. اتصل بالبويهیین وعظم شأنه عندهم. کان مؤلفا وشاعرا وناثرا. ومن مؤلفاته کتاب تجارب الأمم ویعرض فیہ تاریخ الأمم من بدء الخلیقة إلى عام ٣٦٩ هـ. وتوفی أبو علی سنة ٤٢١ هـ.

(٤) البیرونی من أشهر علماء المسلمین فی الفلك والریاضیات وینسب إلى بیرون من بلاد السند، أقام فی بلاد الهند مدة طويلة ألم فیها بکثیر من علوم الهندود. وله مؤلفات فی الفلك والریاضیات والتاریخ. ومن أشهر مؤلفاته: الآثار الباقية عن القرون الخالية، التفهیم لأوائل صناعة التنجیم... الخ

(٥) فارسنامه: لابن البلیخی ألفه فی بداية القرن السادس الهجری ویتناول الحدیث عن ملوک الفرس وأنسابهم وتوارخهم من اقدم العهود إلى نهاية الدولة الساسانية، وعن فتح المسلمین لبلاد الفرس، وجغرافية بلاد فارس... الخ. نشره لیسترنج ونيكلسون سنة ١٩٢١ م.

(٦) تاریخ طبرستان: تألیف بهاء الدین محمد بن حسن بن اسفندیار من طبرستان. ویحدث فیہ المؤلف عن تاریخ هذه البلاد حتی سنة ٦١٣ هـ.

وقد ترجم ابن المقفع رسالة « نامه تنسر » من الپهلوية إلى العربية وضاع الأصل الپهلوی ثم ضاعت بعد ذلك الترجمة العربية بعد أن ترجمها إلى الفارسية محمد بن حسن بن اسفندیار صاحب تاریخ طبرستان في أوائل القرن السابع الهجری . وقد بقيت هذه الترجمة الفارسية التي ترجمت بدورها عن الترجمة العربية .

وموضوع هذا الكتاب رسالة تنسر هر بزان ه بد اردشير بابكان إلى « چسنسف » ملك طبرستان . وقد ترجم هذا الكتاب ونشره مع تعليقات قيمة المرحوم چیمس دار مستر سنة ١٨٩٤ بالمجلة الآسيوية Journal Asiatique .

مترنك نامه :

أو كتاب الشطرنج . وهو كما يبدو من اسمه رسالة وضعت عن اختراع الشطرنج الذي قدمه ملك الهند هدية إلى انوشروان وكيف اخترع بزرجمهر الحكيم المعروف في عهد انوشروان النرد ليقدّم هدية إلى ملك الهند إزاء هديته وقد استفادت الشاهنامه من هذه الرسالة في الأجزاء المتعلقة بهذا الموضوع .

كتاب السكر بامنخ (١)

وقد تحدث عنه المسعودی فذكر أنه كتاب عن اردشير بن بابك وحروب وسيره (١) .

آئين نامك :

أو كتاب الآيين بمعنى الرسوم . وهو كتاب ضخيم سبق أن أشرنا اليه . وقد نقله ابن المقفع الى اللغة العربية . وهو كتاب فى الرسوم والاداب المتصلة بالبلاط والأسمار والأخبار وترتيب رجال الدولة على عهد الساسانيين .

هناك :

وهذا الكتاب فى الواقع حسب نص المسعودى ^(١) جزء من آئين نامك السابق . وفيه ذكر مراتب رجال الدولة والبلاط فى العهد الساسانى . وقد استفاد من آئين نامك (بما يتضمنه من گاهنامك) عدد كبير من الكتاب والمؤرخين الاسلاميين الذين كتبوا فى موضوعات النظم والادارة والآداب المتصلة ببلاط ملوك الفرس . ومن أخص هؤلاء ابن قتية الدينورى الذى يقتبس عن الآيين فى كثير من أبواب كتابه ، ويشير إلى ذلك صراحة فيقول مثلاً فى مواضع كثيرة من كتابه : « قرأت فى الآيين ... » ^(٢) ، ومنهم الثعالبي الذى يقتبس منه وينص على ذلك فيقول « وفى كتاب الآيين ... » ^(٣) ، والمسعودى فى مروج الذهب ، واليعقوبى ، والجاحظ ، وغيرهم .

وهناك إلى جانب كل هذه الكتب مجموعة اخرى من الكتب الدينية والمذهبية وقد حفظت هذه الكتب كثيراً من الروايات الوطنية الايرانية . ومن بين هذه الكتب :-

- | | |
|--------------------|------------------------------------|
| (١) التنبيه : | ص ٩١ |
| (٢) عيون الأخبار : | ص ١١٢ ج ١ ط دار الكتب المصرية ١٩٢٥ |
| (٣) الفرر : | ص ١٤ ط باريس |

دينكرد :

وهو من أهم الكتب التي ألقت بالهلوية . وكان هذا الكتاب أصلاً في تسع مجلدات وقد كتبه «آتور فرنينغ فرخ زاتان» . وكان يعيش في القرن الثاني والثالث الهجري ويرجع تاريخ كتابه إلى هذا العهد . وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من التوجيهات الدينية تتضمن كثيراً من العادات والعقائد والروايات . وهو يتحدث إلى جانب هذا عن أحوال كثير من ملوك الفرس القدماء أمثال كيومرث ، هوشنك ، جمشيد ، وفريدون ، ومنوچهر . الخ حديثاً تسوده الناحية الدينية . ولدينا من هذا الكتاب الجزء الخامس وقد نشره في بمباي « بشوتن دستور بهراجي سنجانا » سنة ١٨٨٨ م . وفي هذا الجزء يتحدث عن موضوعات مختلفة تعلوها المسحة الدينية . ففي حديثه عن الملك زو يصفه بأنه حارب الشر حتى اختفت الشياطين من مملكته في عهده . وقد نفى هذا الملك المفسدين من ايران وأجبرهم على الاختفاء^(١) . وفي حديثه عن أفضل الملوك يتخذ من جمشيد وگشتاسپ مثلين لما ينبغي أن يكون عليه الملوك من العظمة والإخلاص للدين والغيرة عليه .^(٢) ويوجه رجال الدين إلى اتخاذ الملابس البيضاء فإنها أنسب لهم^(٣) . وفي فصل آخر يتحدث عن الخير والشر ويذكر أن الناس يكونون أخياراً أو شراراً وفق ما فطروا عليه من خصال حميدة أو من عوامل الشر . والخصال الحميدة في الناس ترجع إلى اتصالهم بالمجد الإلهي بينما ترجع صفات الشر إلى انضوائهم تحت ظل الشيطان (اهريمن) . وإذا كان الإنسان على صلة

ص ٢٧٣ ج ٥ ط بمباي ١٨٨٨ م .

ص ٢٧٩ ، ٢٨٠

ص ٢٩٧

(١) دينكرد :

(٢) نفس المصدر :

(٣) نفس المصدر :

وثيقة بالإله تجمعت في طبيعته أحسن الصفات وأصبح مخلوقا ذا طبيعة خيرة وإذا وقع تحت ظل الشيطان أصبح ذا طبيعة شريرة^(١). ومن أهم مجلدات هذا الكتاب المجلد الثامن الذي يشمل خلاصة ماجاء في الواحد والعشرين نسكا من الأستا التي جمعت في عهد الساسانيين^(٢).

بند هشت :

ومعنى بند هشتن أصل الخليفة . وهذا الكتاب الهلوى يحتوى على كثير من القصص والروايات التاريخية والدينية الزردشتية. ومن عنوانه يفهم أنه يتحدث عن أصل الخليفة وغير ذلك من المسائل الدينية وما يصاحبها من روايات تاريخية أو قومية. وأهم ما فيه من الفصول الفصل الثالث والثلاثون ففيه طرف من تاريخ القصص الايراني حتى نهاية العهد الساساني وفي الفصل الخامس والثلاثين حديث عن أصل الكيانيين ونسبهم . وفي الفصل الحادى والثلاثين حديث عن الأماكن المهمة من ايران التي اتخذها الكيانيون مقرا لهم^(٣). ومؤلف تاريخ سيستان يذكر هذا الكتاب ولكنه يورد اسمه خطأ على هذا النحو «ابن دهشتى». وفي ثنايا حديثه عن أبى المؤيد البلخى يذكر أن أبا المؤيد استفاد من هذا الكتاب في تكوين معلوماته فكانت بذلك مصدرا من مصادره^(٤).

دائستاه ربفك :

وهو واحد من هذه الكتب الدينية الهلوية . وقد ألفه في القرن التاسع

(١) دينكرد : ص ٣٣٩ ، ٣٤٠

(٢) حماسه سرائى : ص ٥٠

(٣) ذس المصدر والصفحة :

(٤) تاريخ سيستان : ص ١٦ ، ١٧ تصحيح بهار .

الميلادى موبذ اسمه «يودان ييم» .

مبنى فرد :

وهو كتاب دينى يتصل موضوعه بالأخلاق والأساطير والعلم بالأمور الدينية . وأهم فصول هذا الكتاب الفصل السابع والعشرون الذى يشمل أعمال ملوك ايران حتى عهد گشتاسپ ^(١) .

مزدك نامه :

ويتعلق هذا الكتاب كما هو واضح من اسمه بقصة مزدك . وقد ترجمها ابن المقفع ونظمها اللاحقى ^(٢) .



وقد انتشرت هذه المؤلفات ، والثقافة الوطنية الفارسية القديمة . وكان كثير من الايرانيين وخاصة الدهاقين والموابذة وأهل البيوتات يحفظون سلسلة أنسابهم والروايات والأحاديث التى ترجع إلى اجدادهم ، ويتناقلونها جيلا بعد جيل . وما من شك فى أنهم بطبيعة الحال كانوا يزيّدون فيما يروون . ولكنهم على أى حال قدموا مادة خصبة عن اسلافهم . ونشطت حركة الترجمة التى اشترك فيها العرب والفرس حتى تجمع للمسلمين محصول وافر فيما يتعلق بأخبار الفرس وقصصهم وسيرهم . ونتج عن هذا نهضة عظيمة لفتت أنظار كثيرين من الأدباء . وتزايد الشعور القومى عند الفرس فأخذوا فى جمع هذه المادة الخصبة التى

أُتيحت لهم ، وتنسيقها والتأليف بينها وصوغها من جديد في قالب شعري أو
نثري . ومن هنا نشأت الشاهنامات التي ألفت ومن بينها شاهنامة الفردوسي .
وقد ساعد على ظهور هذه الشاهنامات ، إلى جانب العوامل السابقة كلها ، ظهور
الدول الفارسية الإسلامية ، واستقلال الفرس استقلالاً عملياً عن الدولة
العربية . وازداد الميل إلى كتابة الشاهنامات في أواخر القرن الثالث وفي الرابع .
ولما كان هناك شاهنامات سبقت شاهنامة الفردوسي وجب أن نتحدث عنها
حديثاً سريعاً قبل أن نتحدث عن شاهنامته .



٤ — شاهنامه أبي المؤيد البلخي

هي شاهنامه نثرية كتبها في حدود سنة ٣٥٢ هـ أبو المؤيد البلخي من شعراء النصف الأول من القرن الرابع وكتابه وقد وردت اشارات عن هذه الشاهنامه في مصادر مختلفة . ففي ديباجة قابوسنامه يتحدث كيكافوس بن اسكندر بن قابوس بن وشمگیر بن زیار إلى ولده گیلا نشاه عن عراقة أصله ويذكر له أن جده هو شمس المعالی قابوس بن وشمگیر وأن أهله هم ملوك گیلان من أبناء کیخسرو . ويستشهد في ذلك بما أورده أبو المؤيد البلخي والفرزدوسي في الشاهنامه ^(١) . ويشير صاحب تاریخ سیستان إلى أبي المؤيد وينقل عن كتاب له اسمه گرشاسپ ^(٢) . ويغلب على الظن أن يكون كتاب گرشاسپ هذا بعض شاهنامه أبي المؤيد . وهناك إشارة ثالثة في مجمل التواريخ عما كتبه نثرأبو المؤيد من أخبار زریمان وسام وکیقباد وافراسیاب وأخبار لهراسف ^(٣) .

٥ — شاهنامه أبي علي البلخي

وثانية الشاهنامات المنشورة شاهنامه أبي علي محمد بن أحمد البلخي الشاعر . وقد تحدث عنها أبو ريحان البیرونی ^(٤) . ويستفاد من كلام أبي ريحان أن شاهنامه هذا الشاعر كانت من المصادر المهمة .

(١) منتخب قابوسنامه : الديباجة ص ٣ باهتمام تقيسی

(٢) تاریخ سیستان : ص ٣٥

(٣) مجمل التواريخ : ص ٢

(٤) الآثار الباقية : ص ٩٩

٦ — شاهنامه مسعودی المروزی

والمسعودی هذا أول من نظموا بالفارسية في هذا الموضوع . وقد أشار إلى هذه المنظومة الثعالبی في كتابه الغرر في أكثر من موضع . ففي حديثه عن طهمورث يقول : « وزعم المسعودی في مزدوجته بالفارسية أن طهمورث بنی قهندز مرو » ^(١) . وفي حديثه عن بهمن بن اسفندیار وقیادته الجيش إلى سیستان لحرب زال يقول : « فعفا عنه - أي عفا بهمن عن زال - وأمر برده إلى منزله والإفراج له عن مسكة من ماله . وذكر المسعودی المروزی في مزدوجته الفارسية أنه قتله ولم يبق على أحد من ذويه » ^(٢) .

ويتحدث عن هذه المنظومة المسعودية المقدسی في كتابه البدء والتاریخ في موضعين أولهما في الحديث عن سلطنة گیومرث حيث يقول : « زعمت الأعاجم في كتبها والله أعلم بحقها وباطلها أن أول من ملك من بنی آدم اسمه گیومرث ، وأنه كان عريان في الأرض وكان ملكه ثلاثين سنة . وقد قال المسعودی في قصيدته المحبرة بالفارسية :

نخستین گیومرث آمد بشاهی

گرفتش بگیتی درون پیش گاهی

چو سی سالی بگیتی پادشا بود

کی فرمائش بهر جائی روا بود

وإنما ذكرت هذه الآيات لأنی رأيت الفرس يعظمون هذه الآيات

والقصيدة ويصورونها ويرونها كتاريخ لهم . وثاني الموضعين اللذين أشير
فيهما إلى منظومة المسعودي المرزى يأتي في آخر فصل تاريخ ايران حيث
يقول : « وانقضى أمر ملوك الفرس وأظهر الله دينه وأنجز وعده وفيه يقول
ابن الجهم :

والفرس والروم لها أيام

يمنع من تفخيخها الاسلام

ويقول المسعودي في آخر قصيدته بالفارسية :

سپری شد زمان خسروانا

چو کام خویش راندند در بهانا^(١)

ومن الآيات التي اقتطفها المقدسي من هذه الشاهنامة يتضح أن منظومة
المسعودي كانت مثوية في بحر الهزج المسدس .

وتحديد تاريخ دقيق لتأليف هذه الشاهنامة غير مستطاع . والمرجح أنها
ألفت قبل سنة ٣٥٥ هـ وهي سنة تأليف البدء والتاريخ . ومادام هذا المصدر
يتحدث عنها وجب اذن أن تكون قد ألفت قبل ذلك . ويرى صاحب حماسه
سرائي أنها ألفت حوالي سنة ٣٠٠ هـ . لأنها كانت معروفة ومشهورة في الوقت
الذي ألفت فيه كتاب البدء والتاريخ . ومثل هذه الشهرة والذيعو محتاجة إلى
ما يقرب من أربعين أو خمسين عاما ، كما أن خشونة بعض ألفاظها وعدم
انسجامها يدل على أن المنظومة قد ألفت في وقت متقدم إلى حد ما .^(٢)

وفي الوقت الذي كان فيه الفردوسي مشغولا بنظم الشاهنامه كانت شاهنامه
المسعودي المروزي معروفة ذائعة .

٧ - شاهنامه ابى منصور محمد بن عبد الرزاق

كان أبو منصور محمد بن عبد الرزاق أحد رجال القرن الرابع الهجرى .
وكان من أعيان طوس ورؤسائها . ولما أساء أبو الحسن محمد بن ابراهيم السيرة
وبلغ الحضرة ذلك عزل في جمادى الآخرة سنة ٣٤٩ هـ وعين مكانه في قيادة
الجيش بخراسان أبو منصور محمد بن عبد الرزاق ، فأحسن السيرة وضبط
الأمور واستن السنن الحميدة وجلس للظالم وأنصف الرعية^(١) . ولكنه لم يلبث
طويلا في هذا المنصب إذ عزل وولى مكانه الپتگين فانصرف أبو منصور إلى
بلده طوس ، ثم استدعى مرة أخرى بعد عزل الپتگين وعادت إليه قيادة
الجيش بخراسان^(٢) . وقد خطر له بعد ذلك أن ينضم إلى حسن بن بويه
فكتب إليه ودعاه إلى جرجان . فلما بلغ ذلك وشمگیر أغرى يوحنا الطبيب
بألف دينار ليدس له السم في طعامه . وبذلك انتهت حياة أبى منصور . ورجعت
بعد مقتله قيادة الجيش بخراسان مرة أخرى إلى أبى الحسن محمد بن ابراهيم^(٣) .

وكان أبو منصور كغيره من عملية القوم في ذلك الزمان يحب أن ينتهى
نسبه إلى الملوك الأقدمين . وتنسبه مقدمة شاهنامه اليهم . فهو محمد بن عبد
الرزاق بن عبد الله بن فرخ بن ماسابن مازيار بن كشمهان بن كنارنك بن خسرو

-
- | | | |
|--------------------|------|---------------|
| (١) تاريخ گردیزی : | ص ٣١ | بمقدمة قزوينى |
| (٢) نفس المصدر : | ص ٣٣ | |
| (٣) نفس المصدر : | ص ٣٤ | |

بن بهرام بن آذر گشسپ بن گودرز بن دار آفرید بن فرخ زاد بن بهرام ... الخ .^(١)

وما دام نسب أبی منصور ينتهى أو هو يجب أن ينتهى ، لأننا نشك فى صحة هذه الأنساب ، إلى ملوك الفرس الأقدمين فهو إذن من المتعصبين لإحياء مجد الفرس القديم . وخير ما يحى به مجدهم ومآثرهم أن يأمر بتأليف كتاب يتحدث عن أمجادهم وسيرهم فيرضى بذلك نزعت المتعصبة . ومن هنا نشأت عنده الفكرة فى تأليف هذه الشاهنامه . واتخذ أبو منصور الخطوات العملية لتحقيق هذه الفكرة فكلف وزيره أبا منصور المعمرى أن يتولى هذه المهمة . وكان أبو منصور المعمرى هذا إيراني الأصل فهو أبو منصور بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن فرخ زاد ... الخ .^(٢) ولا شك أنه لأصله الايراني قد تقبل هذه المهمة التى عهدت اليه قبولا حسنا . فاستقدم العلماء من كل مكان أمثال شاج ابن خراسانى (ماخ پير خراسانى) من هراة ، يزدان داد بن شابور من سجستان ، وماهوى ، خورشيد بن بهرام من نشابور ، شاذان بن برزین من طوس فوضعوا له هذه الشاهنامه فى سنة ٢٤٦ هـ . وقد جاءنا الخبر عن هذه الشاهنامه من ثلاثة مصادر :

١ - الآثار الباقية

٢ - المقدمة القديمة لهذه الشاهنامه

٣ - المقدمة الجديدة المعروفة بمقدمة بايسنقر

(١) بیست مقاله قزوینی : ص ٥٢ ، ٥٣ ج ٢

(٢) نفس المصدر : ص ٥٧

فالبيروني يتحدث عن هذه الشاهنامه في غير موضع فيقول : « ولكن الأعداء أبدا مولعون بالطعن في الأنساب والثلث في الأعراض والوقعة في الأفاعيل والآثار كما أن الأولياء والمتشيعين مولعون بتحسين القبيح وسد الخلل وإظهار الجميل والنسبة إلى المحاسن كما وصفهم من قال :

وعين الرضا عن كل عيب كيلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

فربما يحملهم التوغل في هذا من فعلهم على تخرص الأحاديث النسبية للحمد وتمويه النسبة إلى الأصول الشريفة كما فعل لابن عبد الرزاق الطوسي من افتعال نسب له في الشاهنامه ينتمى إلى منو شهر وكما فعل لال بويه .. » (١) ولا شك أن مقصوده بالشاهنامه التي افتعل فيها هذا النسب هي الشاهنامه المنصورية . ويقول في موضع آخر : « ووجدنا تواريخ هذا القسم الثاني - أي الملوك الأشكانية - في كتاب شاهنامه المعمول لأبي منصور بن عبد الرزاق على ما أودعناه في هذا الجدول » . (٢)

أما عن مقدمات الشاهنامه فيلاحظ القزويني أن هناك نسخا من الشاهنامه ليست لها مقدمات وتبدأ الشاهنامه مباشرة من شاهنامه الفردوسي المنظومة . وهناك بعض النسخ الأخرى على العكس من هذه تحتوى على مقدمة منورة مختصرة في حوالى سبع أو ثمانى صفحات . وتبدأ هذه المقدمة بهذه البارة « سپاس وآفرين خدای را که این جهان و آن جهان آفرید . » وهذه النسخ من الشاهنامه نادرة في زماننا وأخذة في التناقص لقلّة عددها . والنسخ التي لها

(١) الآثار الباقية :

ص ٣٨

(٢) نفس المصدر :

ص ١١٦

مثل هذه المقدمة نسخ قديمة استنسخت غالباً قبل القرن الثامن الهجرى . وهذه المقدمة هي المعروفة بالمقدمة القديمة للشاهنامه . (١)

وهناك بعض النسخ ذات المقدمة النثرية ولكن مقدمتها فيها تفصيل وتقع فى حوالى ١٥ أو ١٦ صفحة . وتبدأ هذه المقدمة على العموم فى النسخ الخطية بهذا البيت .

افتتاح سخن آن به كه كند أهل كال

بثنای ملك العرش خدای متعال

وهذه المقدمة فى أغلب النسخ الخطية للشاهنامه التى كتبت ابتداء من القرن التاسع والعاشر . وهذه المقدمة هي المعروفة بالمقدمة الجديدة للشاهنامه أو مقدمة بايسنقر . وقد كتبت هذه المقدمة على المشهور فى سنة ٨٢٩ بأمر بايسنقر بن شاهرخ بن أمير تيمور گورگان المتوفى فى سنة ٨٣٧ . وهذه المقدمة الجديدة لا توجد فى نسخ الشاهنامه فيما قبل القرن التاسع . (٢) وقد أورد الدكتور عزام خلاصة لمقدمة بايسنقر وفيها إشارة إلى هذه الشاهنامه المنصورية وكيف ألفت وأسماء الأربعة الذين ألفوها . (٣) وقد وردت أسمائهم من قبل .

ولما كانت شاهنامه أبى منصور هذه نثرية وكانت النفوس بطبعها أرغب فى الشعر تقدم الشاعر الفردوسى لنظم هذه الشاهنامه . وحين أتم نظمها طغت شاهنامته المنظومة على هذه الشاهنامه وعلى غيرها من الشاهنامات المنشورة حتى

(١) بيست مقاله : ص ١ ج ٢

(٢) بيست مقاله قزوینی : ص ٢٠١ ج ٢

(٣) مدخل عزام للترجمة العربية : ص ٢٨ ج ١

قضت عليها . ومهد ذيوخ شاهنامه الفردوسى المنظومة لضياع تلك الشاهنامات شيئاً فشيئاً .

٨ - شاهنامه الدقيقى « كشتاسب نامه »

هو أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقى من شعراء العهد السامانى المشهورين وينسبه كثير من المؤرخين إلى طوس بلدة الفردوسى إلا أن نولدكه يستبعد هذا لأنه لو كان مواطناً للفردوسى لذكر الفردوسى هذا ^(١) . ولكن هذا ليس دليلاً قوياً يعتد به .

كان الدقيقى فى أول أمره متصلاً بالأمير أبى المظفر الصغانى من أمراء آل محتاج ^(٢) . وكان أبو المظفر هذا يكرم الشعراء ويغدق عليهم الجوائز حتى إن الفرخى الشاعر لما سمع بكرمه واحسانه إلى الشعراء نظم قصيدة فى مدحه وقصده ^(٣) .

ثم اتصل الدقيقى بأمراء السامانيين ومدحهم وقدم إلى نوح بن منصور الجزء الذى نظمته من الشاهنامه .

وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا فى اسم الدقيقى ، وتاريخ مولده ، ومكان

(١) الحماسة الايرانية لنولدكه . : ص ٣٣ ترجمه Bogdanov

(٢) أمراء آل محتاج فى صغان تحدث عنهم الغزوينى فى تعليقاته على چهار مقالته الملحقه بالترجمة العربية لعزام والخشاب فقال انهم من أسر ماوراء النهر الكبيرة وكان مقر حكمهم ولاية چغانيان (صغانيان) فيما وراء النهر . وقد توارثوا حكم هذه

الولاية : ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٣) چهار مقالته . : ص ٣٢ الحكاية الرابعة عن المقالة الثانية

مولده (١) فإنهم لم يختلفوا في لقبه « الدقيقى » إذ سلم به الجميع . ولا يبعد أن تكون هذه الكلمة منسوبة إلى الدقيق . ويحتمل أن يكون فى أول أمره أو أن يكون أبوه أو جده ممن اشتغلوا ببيع الدقيق . ويكون لقبه هذا أشبه بالقباب الثعالبي والفراء وغيرهما . أما ما يدعيه عوفى فى لباب الالباب من أنه الدقيقى بسبب دقة معانيه فهو من صناعة عوفى اللفظية .

ويذكر براون أنه بالرغم من اسم الدقيقى الاسلامى إلا أن كثيرا من أمثال إته Ethé ، نولدكه ، هورن قد مالوا إلى اعتباره زردشتيا وقد بنوا رأيهم هذا على بيتين قالهما الدقيقى هما :-

دقيقى چار خصلت برگزیده است
بگیتی از همه خـوبی وزشتی
لب یاقوت رنگ و ناله چنک
می خون رنگ و دین زردهشتی

ومعناها أن الدقيقى قد اختار من كل مافى الدنيا من حسن وقبيح أربعة أشياء : الشفه الياقوتية ، أنين العود ، والخر الحمراء كالدُم ، ودین زردهشت (٢) . ويخالف براون هؤلاء فى رأيهم فيرى أن هذين البيتين ليسا دليلا على زردشتية الشاعر وإذا كان قد صرح باختيار دين زردشت فما ذلك إلا اعجابا منه بهذا الدين فى نقطة واحدة هى إجازته شرب الخمر . (٣) فهو اذن معجب بهذا الدين

(١) اختلفوا فى نسبته إلى بلد من البلاد الآتية : بلخ - طوس - سمرقند - بخارى .

(٢) Browne: Lit. His. of Persia, p. 459 vol. I Cambridge 1951

(٣) المصدر السابق : ص ٤٦٠

لأنه يبيح شرب الخمر التي لا يستغنى عنها الشاعر . ولا يتعدى الأمر حد الاعجاب إلى الاعتناق .

ولكن نولدكه يرى أن الدقيقى يبدو فى بعض أشعاره زردشتيا متحمسا ، ويتضح تحمسه للزردشتية فى جزء الشاهنامه الذى نظمه (١) . ومن أدلة نولدكه على زردشتية الدقيقى أنه بدأ عمله فى نظم الشاهنامه بالجزء الخاص بگشتاسپ وشريعة زردشت (٢) .

ويحسن بنا ، وقد عرضنا بعض وجهات النظر ، أن نرجع إلى بعض نصوص الشاعر نفسه فنراه مثلاً يقول فى الفصل الخاص باعتزال لهراسپ وذهابه إلى بلخ واعتلاء گشتاسپ العرش إن لهراسپ بعد أن سلم گشتاسپ العرش اختار بلخ ليتعبد فى معبدها المعروف «نوبهار بلخ» . ويشبهه الدقيقى مكانة نوبهار بلخ عند الزردشتيين بمكانة مكة عند العرب فى ذلك الزمان ، أى زمان الدقيقى (٣) .

ويقول الدقيقى عن ظهور زردشت : إنه جاء إلى حضرة الملك گشتاسپ وقال له إن رسول الله اليك (٤) . وقد طلب اليك خالق الكون أن تقبل هذا الدين ، وأن تتفكر فى خلق السموات والأرض وأن تنظر من يستطيع أن يخلق ما خلق فليس غيره خالقا للكون وكفى . فتعلم دينه . وسر فى طريقه ،

-
- | | |
|-------------------------|------------|
| (١) الحماسة الايرانية : | ص ٣٢ |
| (٢) نفس المصدر : | ص ٣٣ |
| (٣) الشاهنامه : | ص ١٤٩٦ ج ٦ |
| (٤) 'الشاهنامه : | ص ١٤٩٧ ج ٦ |

وليس يحمل الملك بغير الدين الخ ^(١) .

ونلاحظ في هذه النصوص أن الشاعر يشبه نوبهار بلخ عند الزردشتيين بمكة عند المسلمين . وهذا ، وإن كان من قبيل التسوية بينهما ، إلا أنه لا يحمل معنى الخروج على الاسلام . كما نلاحظ أن حديث الشاعر عن الدين الجديد جاء كما هو واضح في القصة ، على لسان زردشت وزردشت هو نبي هذا الدين ومن مهمته أن يغري الناس بقبوله . فإذا جاء في النصوص بعض المحاسن أو المزايا لهذا الدين فإنه في الغالب من دعاوى زردشت ليستميل بها قلب گشتاسپ وغيره من الناس . ومن الطبيعي أن يكون الشاعر لسان صدق معبرا عن حال زردشت خير تعبير . فالتحمس للدين الزردشتي الذي ينسبه نولدكه إلى الشاعر هو في الحقيقة تحمس زردشت كما عبر عنه الشاعر . ومن بعض نصوص نولدكه نفسه نتبين أن حكمه على الشاعر كان مبالغا فيه . فهو يذكر أن الدقيقى لا يبدو فيما كتبه على إحاطة بالأدب الفارسي القديم حتى يمكن أن يقال إنه أحاط بتلك العقيدة ، إلا أنه كان من مؤيديها . وقد تجنب على أى حال أن يصدم شعور القراء المسلمين ومجددين مزدیسنا كما فعل خلفه العظيم ^(٢) . فإذا كان الشاعر كما يقول نولدكه لا يحيط بالأدب الفارسيه القديمة ولا يمكن أن يقال إنه أحاط بالعقيدة الزردشتية ، وإذا كان الشاعر قد تجنب أن يصدم شعور القراء المسلمين فمن المبالغة والمغالاة اذن أن يقول نولدكه إنه كان زردشتيا متحمسا لأن تحمسه للزردشتية يتنافى مع جهله بها وحرصه على شعور

(١) الشاهنام - ه : ص ١٤٩٨ ج ٦

(٢) الحماسة الايرانية : ص ٣٢

القراء المسلمين . ثم أليس فيما ذكرناه من انتشار المصادر البهلوية ما يدل على أن الدقيقى كان ناظما وصائغا للمادة التى وجدها فى أحد هذه المصادر . فإذا كانت هناك حماسة للدين الزردشتى فلا شك أنها قد سرت من الأصل الذى ينظم عنه الدقيقى . وحسبنا على هذا أن نذكر كلام الفردوسى الذى يقول فيه عن الدقيقى « إنه لما عرفت هذه القصص - قصص الأقدمين - تهافت الناس عليها فتقدم فى طلق اللسان . فصيح الكلام ، واشتغل بنظم تلك الأقاوص . وكان سوء خلقه قرين شبابه فأمرع إليه الموت فجأة ... » (١) وهذا قاطع فى أن الدقيقى إنما كان ينظم مادة معروفة ولم يكن يؤلف . ولكن أى مصدر هذا الذى كان الدقيقى ينظم مادته ؟ حين نراجع مادة گشتاسپنامه دقيقى نراها شديدة الشبه فى مجملها بمادة ياتكار زيرران . وقد سبق أن ذكرنا موضوع ياتكار زيرران والصراع بين الايرانيين والتورانيين حول دين زردشت وكيف لقى زير حنفيه وهو يدافع عن الدين . وهذا الشبه فى الموضوع بين الكتابين يسهل على الباحث ادراك حقيقة هامة هى أن الدقيقى كان ينظم ذلك الكتاب أو ترجمته على الأصح . وهكذا نكشف أمام نولدكه سر الحماسة للدين الزردشتى التى يصف بها الدقيقى فى منظومته . فهذه الحماسة ليست سوى حماسة ياتكار زيرران الذى هو كتاب يدور موضوعه حول الجهاد الدينى .

أما بيتا الشعر السابقان فلا يعتد بهما كثيرا . وليس معناهما أن الشاعر اعتنق فعلا الدين الزردشتى . وكل ما فى الأمر أن الدقيقى كما نعلم من تاريخ

حياته كان عريدا فاسقا لا غنى له عن شرب الخمر مما جعله يختار هذا الدين فيما ذهب اليه من إباحة الخمر . ومن تاريخ حياته أيضا نستطيع أن نقرر أن الدقيقى كان مسلما ، ولكنه مسلم ضعيف الاسلام ، انغمس فى اللهو والشراب وارتكاب الآثام . ولم يكن يعنيه شئ من أمر دينه ولذلك تعلق ، ظرفا منه وبجونا ، بالدين الزردشتى لانه يديح له الخمر .

صلة الدقيقى بالشاهنامه :

بدأ الدقيقى نظم الشاهنامه . واشتغل أولا فى نظم الجزء الخاص بگشتاسپ ولكن الأجل لم يممه حتى يكمل العمل ، فتركه بعد أن نظم منه ألف بيت على أرجح الأقوال .

وجاء الفردوسى بعده فبدأ العمل من أوله إلى نهايته ، وضم اليه ما كان سلفه الدقيقى قد نظم . وفى هذا يذكر الفردوسى أن الدقيقى قد جاءه فى الرؤيا وطلب اليه أن يسرع فى نظم الكتاب وألا ييخل عليه باثبات ما كان قد نظم ، عن گشتاسپ وأرجاسپ وقدره ألف بيت ^(١) . ويواصل الدقيقى حديثه إلى الفردوسى فى الرؤيا فيقول . « وإذا بلغ الملك - أى محمودا - ما نظمته ارتفعت ، روحى من تحت الثرى إلى الثريا » . ^(٢) ولم يستطع الفردوسى أن يهمل هذه الوصية .

وإذا كان الفردوسى قد أحسن إلى سلفه الدقيقى فأثبت له أسياته الألف

(١) الشاهنامه : ص ١٤٩٥ ج ٦

(٢) نفس المصدر والجزء : ص ١٤٩٦

كما هي، ولم يضع بذلك جهده، إلا أنه قد أفسد هذا الاحسان حين وصف نظم صاحبه بالضعف والعجز. وكأن الغيرة لحقته من منافسة صاحبه الراحل - الدقيقى - حين قال : « اذا بلغ الملك نظمى ارتفعت روحى إلى الثريا » فأراد الفردوسى أن يقلل أمام السلطان محمود من شأن هذا النظم فوصفه بالضعف والسخف وذكر أنه ما أثبتته إلا ليرى السلطان كيف نظم ردىء الكلام . ويصف نظمه ونظم الدقيقى بأنهما جوهران يستطيع الملك أن يميز بينهما بعد أن يصغى اليهما . ثم يوجه الكلام إلى سلفه فى لهجة أبعد ما تكون عن الخلق السليم والمنطق العف فىقول : اذا كان كلامك من هذا النوع فلا ينبغى أن تقوله ولا تكره طبعك عليه ، ولا تتعب الروح والجسد فى حفر منجم لا تجد فيه جوهرًا . وإذا لم يكن لك طبع يسيل كالماء فلا تمد يدك نحو كتاب الملوك . ولخير لك أن تبقى جائعا من أن تعد مائدة لا تليق ^(١) . فترى الفردوسى قد أساء بهذا الأسلوب الذميم إلى فن سلفه كما أساء فيما قبل إلى سيرته الشخصية ^(٢) .

ويلاحظ نولدكه أن الجزء الذى نظمه الدقيقى قد ساد الاضطراب فى كثير من المواضع مما يحمل على الظن أن هذا الجزء لم يصل كاملا كما وضعه المؤلف أو أن أحدا من الشعراء قد تدخل فيه بشعره الخاص فأفسد وحدة العمل الأصيل واتساقه ، ويشبه أسلوب الدقيقى فى النظم أسلوب الفردوسى إلى حد كبير ولكن عند النظرة الفاحصة تبدو بينهما بعض الفروق . فالدقيقى على العموم أقل براعة ومهارة من خلفه الفردوسى وهو كثير التكرار فى طريقة العرض

(١) الشاهنامة : ص ١٥٥٤ ج ٦

(٢) الشاهنامة : ص ٩ ج ١

فحين يظهر بطل جديد أو يختفى هذا البطل تراه يعرض لنا نفس المنظر بنفس الطريقة وفي نفس العبارات والألفاظ في كثير من الأحيان بينما يحسن الفردوسي المغيرة في مثل هذه المواقف. ومناظر الحروب عند الدقيقي مناظر عامة ليس فيها وصف تفصيلي . وأكثر ما يكون نجاح الدقيقي في الخطب الطويلة والرسائل بينما تظهر المحاورات والخطب القصار جمود المؤلف (١) .

ولعل السبب فيما يعيبه نولدكه على الدقيقي من الاختصار، وإيجاز الوصف في المواقف المختلفة وخاصة الحروب أنه كان يتقيد بالأصل الذي ينظمه تقيدا كبيرا . وقد رجحنا فيما سبق أن يكون هذا الأصل هو « ياتكار زيران » . ولذلك لم ينطلق الشاعر على سجيته ، ولم يضيف إلى المادة الأصلية شيئا كبيرا من خيالاته وإحساساته وآرائه . وهذا السبب الذي قدمناه يصلح في نفس الوقت تعليلا لما لاحظناه نولدكه من نجاح الشاعر في الخطب الطويلة والرسائل إذ يستطيع هنا أن يجد المجال فسيحا فينفخ في موضوعها من روحه بينما تقيدته الوقائع في ارتباطها والحوادث في تسلسلها فلا يجد أمامه ميدانا للانطلاق الحر .

والألف بيت التي للدقيقي في الشاهنامه تبدأ بقوله :-

چو گشتاسپ را داد لهراسپ تخت

فرو د آمد از تخت و بر بست رخت (٢)

وتنتهى بالبيت :-

(١) الحماسة الايرانية : ص ٣٤

(٢) الشاهنامه : ص ١٤٩٦ ج ٦

بدو باز خـواندند لشكرش را

گزیده سواران كشورش را^(١)

ولا يعلم متى بدأ الدقيقى ينظم أبياته الألف و-ا-كن المرجح أنه شرع فى نظمها فى عهد نوح بن منصور السامانى الذى جلس على العرش سنة ٣٦٥ هـ .
وقد سبق الدقيقى خلفه الفردوسى إلى الإقلال من استعمال الألفاظ العربية فى شعره . وقد أحصى نولدكه عدد الألفاظ العربية فى أبيات الدقيقى الألف فوجدها ستا وثلاثين كلمة^(٢) .

(١) الشاهنامـه : ص ١٥٥٣ ج ٦
(٢) الحماسة الايرانية : ص ٣٧ هامش

٩ - شاهنامه الفردوسى

عرض عام :

الشاهنامه التى نظمها الفردوسى منظومة طويلة فى حوالى ستين ألف بيت على المشهور . وهى مفخرة الآثار الأدبية عند الايرانيين ، ويعتبرونها فى الوقت الحاضر مصدراً رئيسياً لمعلوماتهم عن الفرس القدماء وتاريخهم وتقوم شهرة الفردوسى سواء فى بلاده أو فى العالم على هذه الشاهنامه .

وتتناول الشاهنامه تاريخ الايرانيين منذ أقدم عصورهم إلى أن حطم العرب ملكهم . وهو تاريخ طويل يغلب عليه القصص والأساطير فى العهود السحيقة ثم يتخلص من هذه الأساطير شيئاً فشيئاً وإن كان لا يسلم منها تماماً .

دول الشاهنامه :

وإذا نظرنا إلى تاريخ الشاهنامه من حيث تقسيماته السياسية وجدنا أنه ينقسم أربعة أقسام أو أربع دول : فالقسم الأول هو الخاص بالدولة الپيشدادية وكان ملوك هذه الدولة عشرة حكموا على النحو الآتى :-

- | | |
|------------|----------------|
| ١ - گیومرث | حكم ثلاثين سنة |
| ٢ - هوشنگ | حكم أربعين سنة |
| ٣ - طهمورث | حكم ثلاثين سنة |

٤ - جمشيد	حكم سبعماية سنة
٥ - الضحاک	» ألف سنة
٦ - فريدون	» خمسماية سنة
٧ - منوچهر	حكم مائة وعشرين سنة
٨ - نوذر	» سبع سنوات
٩ - زو	حكم خمس سنوات
١٠ - گرشاسپ	» تسع سنوات

ويتضح من هذا الجدول أن ملوك هذه الدولة حكموا مدة ألفين واربعماية واحدی وأربعين سنة .

ولعل أهم ملوك هذه الدولة هو فريدون . ففي عهده نشأت الخلافات بين اولاده على الملك حتى اقتتلوا . وكان هذا الاقتتال الشرارة التي أشعلت نار الحروب الطويلة طيلة العهدين الپيشدادی والکیانی فی الشاهنامه ، كما كانت البذرة التي أنبتت شجرة الخلاف الطويل ، والكرهه الشديدة بين العنصرين الايراني والتوراني على نحو ما سيأتی فيما بعد .

ويأتی بعد الدولة الپيشدادية الدولة الكيانية وملوكها هم الكيانيون . وقد سموا بذلك لأن أسماءهم تبدأ بكلمة « كي » بمعنى ملك . وعدد ملوكهم تسعة . وفيما يلي بيان بأسمائهم ومدة حكم كل واحد منهم :-

١ - كيقباد	حكم مائة سنة
٢ - كيكائوس	حكم مائة وخمسين سنة
٣ - كيخسرو	حكم ستين سنة

- ٤ - لهراسپ حکم مائة وعشرين سنة
- ٥ - گشتاسپ » مائة وعشرين سنة
- ٦ - بهمن اسفنديار » تسعاً وتسعين سنة
- ٧ - همای » اثنتين وثلاثين سنة
- ٨ - داراب بن بهمن بن اسفنديار » اثنتي عشرة سنة
- ٩ - داراب بن داراب » اربع عشرة سنة

ويتبين من هذا الجدول مجموع سني حكمهم وهو سبعمائة وسبع سنوات . ومن أشهر ملوك هذه الدولة الملك كيكاوس الذي استطاع بمساعدة البطل رستم أن يقهر بلاد مازندران وهاماوران (حمير) ، كينخسرو الذي هزم أعداء التورانيين في أكثر من موقعة حتى استطاع في نهاية الأمر أن يقبض على بطلهم افراسياب ويقتله فيستريح بذلك الايرايون من شره إلى الأبد . ومن ملوكهم المشهورين أيضاً گشتاسپ بن لهراسپ . وأهم الأحداث في عهده ظهور زردشت واعلانه الدعوة إلى الدين الجديد ودخول الملك وأعيان المملكة وسائر رجال الدين في هذا الدين الزردشتي . ولم يكتف گشتاسپ باعتناق هذا الدين بل اتخذ سبيل القوة في نشره بين الناس .

والعهدان الپيشدادی والکیانی هما عهدا الخرافات والأساطير وإن كان بينهما في هذا فارق . فالعهد الپيشدادی عهد الخرافة الخالصة بينما تمتاز بعض الحقائق بالخرافات السائدة في العهد الکیانی ، وتزداد هذه الحقائق التاريخية في العصر الکیانی كلما اقتربنا من نهايته . وحوادث الشاهنامة متصلة الحلقات فيما يتصل بهذين العهدین فليس هناك معالم واضحة لكل منهما .

وقد ظهر في هذين العهدين أبطال كثيرون منهم رستم ، افراسياب ، اسفنديار .

رستم :

أما رستم فهو بطل أبطال الشاهنامه غير منازع وهو ابن دستان بن سام ابن نريمان . وكان أبوه دستان يتولى حكم ممالك الهند والسند في غيبة جده سام بن نريمان . فخرج مرة للصيد قرب كابل فلقيه ملاحها مهرباب بالترحاب والتكريم . وكان مهرباب هذا جميل الصورة ، حسن الهيئة ، عذب الحديث فأعجب به دستان ، وأبدى هذا الإعجاب لرفاقه الذين حدثوه عن جمال ابنته روزابه فعشقها دستان بعدما سمع عن جمالها كما عشقته روزابه بنت مهرباب بعدما سمعت من أبيها عن جماله وكاله . وأخذت الجوارى تتردد بين العاشقين حتى تهيأ لهما اللقاء وتعاهدا على الزواج .

ولكن قامت في وجه هذا الزواج عقبة ذلك أن مهرباب كان من نسل الضحاك وأن مثل هذا الزواج لا يمكن أن يرضى عنه أبوه سام ولا الملك منوچهر فكتب دستان إلى أبيه سام يحدثه عن عشقه ويشرح له ما يعاينه من حرقة الوجد والهيام ويضرب إليه أن يوافق على هذا الزواج . فلما وصل كتابه إلى أبيه في مازندران علا وجهه الوجوم ، وانتابته الهموم لعله أن هذا مما يغضب الملك منوچهر وأسرع إلى منجميه وحكمائه يستفتيهم في الأمر فقاموا إلى الزيجات والتقاويم ثم جاءوه مهللين وبشروه بمولود يأتيهما من هذا الزواج يملاً الدنيا مجدا وفخرا . فلما سمع سام ما بشروه به رأى أن ينهض إلى حضرة الملك لاستئذانه في عقد هذا الزواج . ولكن الملك رفض الموافقة لعله أن

مهراب من نسل الضحاك، وأن الحكمة تقتضى الحذر من سيليل الأعداء، وكلف
سام أن ينهض لحربه، وأن يستخلص مملكه، وأن يضيفه إلى مافى يده من
ممالك الهند ولم يجد سام بدا من الطاعة فتوجه إلى بلاد الهند يستعد للأمر.
وبلغ الخبر أسماع زال (دستان) فأحزنه أن يكون السبب فيما سينتهى إليه أمر
مهراب وعزم على حمايته ودفع الأذى عنه. فلما عاد أبوه إلى مستقر مملكه
خلا به ابنه وشدته عما يعانیه من لوا عجب الحب وما يضطرم في قلبه من نيران
الوجد، وماعزم عليه من الدفاع عن مهراب وحمايته من كل أذى يراد به.
فرق قلب الأب ورأى أن يترى في حرب مهراب وأوفد ابنه إلى حضرة
السلطان يستعطفه ويرجوه وكتب معه كتابا يؤكد فيه إخلاصه لذات السلطان
ويبين فيه ماأداه لدولته من خدمات، ويشرح ما يكابده ولده من لوعة الغرام.
ولما وصل زال إلى الحضرة وقرأ الملك الكتاب تأثر لما جاء فيه ومال قلبه إلى
زال فأمر بتحقيق رغبته. وبذلك تم زواج زال (دستان) من حبيبته روزابه
بنت مهراب ملك كابل. وولد لهما من هذا الزواج رستم.

وكان رستم عند ولادته ضخم الجثة. وقد لقيت أمه في حمله وولادته مالم
تلق امرأة بسبب كبر حجمه. ويقول الشعب عن رستم إنه لما حملته أمه اثقلت
اثقالا لا عا. للنساء بمثله وبلغ الحمل منها مبلغا شق عليها وأثر في محاسنها وأحال
ياسمينها وردما وأقعدهما عن الحركة حتى أشرفت على الهلكة. ولما كان وقت
الولادة وضعت بعد جهد جهيد وطلق شديد مولودا كفلقة القمر وشبه
الأسد...^(١) ولما حانت ساعة ولادته لجئوا إلى الجراحة لاستخراج هذا

المولود فسقوا أمه خمرًا صافية مركزة حتى سكرت وغابت عن وعيها . وعند
ذاك تقدم الموبذ وكان ممن يخذقون صناعة الطب فشق خاصرتها بحديدة كانت
معه وأخرج الجنين من بطن أمه . وكان ساعة ولد كأنه ابن عشر سنين لكبر
حجمه . ويقال إن أمه لما رآته وشعرت بالخلاص من هذا الحمل الثقيل تبسمت
وقالت «برستم» أى خلصت . ولذا سموا الصبي «رستم» ^(١) . وكان رستم على
جانب عظيم من القوة البدنية حتى إنه عندما خرج لحرب أهل مازندران
قبض على يد أحد فرسانهم فعصرها في يده حتى طار قلبه خوفاً . وأراد ملك
مازندران أن يثبت قلوب اتباعه فدعا بجنى اسمه «كلاهور» وكان أقوى من في
المعسكر وأشدهم بأساً ، شرس الطبع ، حاد الخلق لا يعيش إلا للحرب والقتال
وأمره أن يخرج لاستقبال رستم فلبس ما لديه ضغط عليها رستم ضغطة شديدة
أسقطت أظفار هذا الجنى من أصابعه كما تسقط الريح أوراق الشجر ^(٢) .
وتذكر لنا الشاهنامه كثيراً من مظاهر قوته الخارقة في حروبه مع أهالي مازندران
الذين عرفوا بالقوة والسحر .

وكان الله قد منح رستم قوة تزلزل الأرض إذا مشى وتشقق الحجارة .
ورأى رستم أن هذه القوة لا تمكنه من السير في الطريق كما يسير الناس فدعا الله
أن ينقص من هذه القوة فكان له ما أراد ، ولكنه حين حارب سهراب ولقى
من مظاهر شجاعته وقوته ما أعجزه عن التغلب عليه . ضرع إلى الله أن يرد

(١) الشاهنامه : ص ٢٢٤ ج ١

(٢) الشاهنامه : ص ٣٦٣ ج ٢

عليه ما كان قد نقص من قوته فاستجاب له ^(١) وأستطاع رستم أن يقيم — ر
سهراب على نحو ما ذكره فيما بعد . وكان لابد لهذه القوة البدنية الخارقة من
من غذاء يناسبها فكان رستم إذا أكل أتى وحده على حمار وحش ^(٢) . وقد
أربى عمره على ثلاثمائة عام .

وكان رستم يضع هذه القوة البدنية الخارقة ، والشجاعة النادرة في خدمة
ملوكه . وما دخل حربا إلا انتصر فيها وما هاجم عدوا إلا قضى عليه .
ولما تولى كيكائوس الملك بعد أبيه سولت له نفسه بعد ما رأى من امتلاء
الخزائن وطاعة الجند ووفرة الخيرات ، وارتفاح قدره بين الملوك أن يغزو
بلاد مازندران . وكانت بلادا حصينة وعرة . وكان الملوك من قبله يتهيبون
غزوها وقد حاول زال وأعيان مملكته أن يشنوه عن هذا الغزو لكنه أصر .
وأمر كيكائوس قواده بالسير الى مازندران وشن الغارة على العدو في كل
مكان . فبلغ الخبر ملك مازندران فأسرع إلى ملك الجن سپيديو (العفريت
الأيض) يستنجد به فما إن حل الليل حتى خرج العفريت بجنوده من كل
مكان . ورمى كيكائوس وجنده بالحجارة والنصال حتى سد الأرض في وجههم
وأطبق عليهم من كل جانب فأظلمت الدنيا في عين كيكائوس واضطرب أمر
عسكره ووقعوا أسرى . ولم يعرف كيكائوس سبيلا للخلاص فأرسل إلى
زال يخبره بما جرى له ويعتذر عن اهمال نصحه ، ويدعوه إليه عسى أن يكون
الفرج على يديه . ولم يخب رجاء الملك فيه إذ كلف زال ابنه رستم أن ينهض

(١) الشاهنامة : ص ٥٠١ ج ٢

(٢) الشاهنامة : ص ١٦٥١ ج ٦

لنجددة الملك ، فقام سريعاً ، وركب فرسه الرخش يطوى به الأرض متعريضاً
للهمالك والأخطار حتى بلغ ناحية كان ملكها يسمى اولاذ فقيدته وأخذه أسيراً
ووعده أن يطلق سراحه وأن يوليه على بلاد مازندران إذا دله على الموضع
الذى حبس فيه كيكوس . فتقدمه اولاذ دليلاً ؛ وصار لا يستريح نهراً ولا
ليلاً حتى وصل إلى جبل أسفروز حيث حبس كيكوس . وكان قواد ملك الجن
مثل كولاذ ، وارزنك ، ويذ يتولون حراسة ذلك المكان . فهجم رستم على
ارزنك ففصل رأسه ورمى به بين أصحابه فخافت الجن وتفرقت . وتقدم
رستم من كيكوس يبشره بالسلامة ويهنئه بالنجاة . فشكره الملك على ما قاساه
من أجله ونصحته أن يغتنم الفرصة ويقضى على «سيدديو» قبل أن يبلغه الخبر
ويستعد لمواجهة الخطر . وكان على رستم كي يصل إلى ملك الجن أن يعبر سبعة
جبال ينتهى بعدها إلى مغارة مظلمة عميقة هى مقر ملك الجن . وكان يتولى
حراسة هذه المغارة عدد كبير من الجن . وقد عرف رستم من عاداتهم أنهم
يقيمون فى وقت الظهيرة فلا يبقى قائماً على الحراسة إلا القليل فانظر رستم
حتى إذا اشتدت الحرارة وقالوا ركب فرسه الرخش واخترق نطاق الشياطين
فبلغ باب المغارة واقتحمها بفرسه وكانت الظلمة شديدة لكنها لم تمنعه من
النزول إلى قاع المغارة حيث كان الجنى الأكبر رابضاً أسود الوجه ، أحمر
العينين ، أشعث الشعر ، كالح الأنياب . وحين هم الجنى بالوثوب عاجله رستم
بضربة قاضية وخرج من المغارة منتصراً وعاد إلى حضرة الملك كيكوس يزف
إليه البشرى ؛ وانتشر هو ورفاقه فى مدينة مازندران يعملون القتل ؛ ويحرقون
الديار ؛ وينهبون الأموال ، وينتقمون لأنفسهم أشد الانتقام .

وبعد أن فرغ الملك من أمر مازندران عاد إلى مقر ملكه فى بلاد فارس

حيث استقبله الإيرانيون بالفرح . وجلس الملك على تخته ووزع الهبات ؛ وفرق الأرزاق ؛ وأمر لرستم من الهدايا بكل غال وثمان وولاه على ممالك نيمروز .

وفي عهد الملك كيخسرو حارب الإيرانيون بقيادة طوس التورانيين بقيادة پيران . وبدأ أن النصر في جانب الإيرانيين أول الامر ولكن الفوز كان أخيراً للتورانيين وقتل في هذه الحرب خلق كبير من الإيرانيين . ولم يبق لگودرز - أحد ابطال الإيرانيين - من أبنائه وعددهم ثمانية وسبعون سوى ثمانية ؛ كما ضاع لبهرام بن گودرز سوط في المعركة فـرجع ليسترده فكان مصيره هو الآخر القتل . وعادت فلول الإيرانيين إلى كيخسرو تاجر وراءها أذيال الخيبة . لكن الإيرانيين لم يستول عليهم اليأس فعادوا من جديد إلى القتال ؛ وتولى طوس قيادتهم للمرة الثانية . لكنه لم يقو هذه المرة أيضاً على قتال التورانيين فأرسل يستنجد بالملك كيخسرو ويطلب إليه أن يشد أزره برستم . وهكذا لم يجد الملك بداً من الاستعانة برستم فدعاه إليه وكلفه أن يخف لنجدة زميله بعد أن أشرف على الهزيمة . وكان پيران قائد التورانيين قد تلقى في تلك الأثناء الأمداد العظيمة وجمع له افراسياب كل من في مملكته من فرسان وشجعان منهم خاقان الصين وكاموس الكشاني أشجع فرسان ما وراء النهر فقويت بذلك روح پيران المعنوية وعزم على أن يتخلص من أعدائه في غده وأوصى أصحابه بمراقبة الإيرانيين حتى لا يفلتوا ليلاً من الحصار الذي ضربه حولهم في ذلك الجبل الذي اعتصموا به . ولما علم الإيرانيون بهذه الأمداد التي وصلت التورانيين وهن عزمهم ، وعلموا أن أجلهم قد دنا ، وتفرقوا في الجبل جماعات ينتظرون الهلاك في كل لحظة . وبينما هم كذلك إذ

جاءهم الخبر بقرب وصول النجدة فانقلب حزنهم فرحاً ، ويأسهم أملاً ، ووهنهم قوة وعزماً . ووصلت اليهم ليلاً جيوش رستم فاستقبلوها فرحين مهللين . وقضى رستم الليل مع أصحابه كودرز ، گيو ، طوس وسائر الامراء والقواد يتشاورون في الامر . حتى اذا أصبح الصباح ، نشب القتال واستمر بينهم طيلة النهار . وفي اليوم التالي فقد التورانيون أحد أبطالهم - كاموس الكشاني - إذ اختطفه رستم بالوهق وجره اليه أسيراً وأباح دمه لأصحابه . فلما رأت التورانية ذلك مالت فترة الى الصلح ولكن الرغبة في القتال غلبتهم فعادوا الى حرب رستم الذي جنّد أبطالهم واحداً بعد واحد وسحق عساكرهم سحقاً ؛ وأوغل في صفوفهم يقتل ويأسر حتى وصل الى الفيل الابيض الذي يركبه الخاقان فرمى بالوهق وطرح الخاقان عن ظهر فيله وجذبه اليه فأخذه اتباعه أسيراً . ولما رأى پيران ما أصاب الابطال والشجعان ركن الى الفرار وتبدد شمل من كانوا معه من التوران . وهكذا نرى أن هزيمة الايرانيين قد تحولت فيما بعد الى نصر باهر بفضل رستم وشجاعته ، وان جيوش الايرانيين لم تكن تستغنى عنه في واقعة من الوقائع ليحقق لها النصر على الاعداء .

ورستم هو الذي أنقذ بيژن بن گيو في قصة طويلة ملخصها أن أهل أرمان ، وهي ناحية بين مملكة ايران وتوران ، وفدوا على كيخسرو ذات يوم يشكون إليه انتشار الحيوانات الضارية في ناحيتهم مما أفسد الزرع وأتلف الثمر ، فرق لحالهم قلب كيخسرو وندب بيژن بن گيو لتطهير تلك الناحية وتأمين أهلها . وأمر گرگين بن ميلاد أن يرافقه في سفرته ليدله على المسالك والطرق . وقد نجح بيژن في مهمته ، وطهر تلك الناحية مما فيها من الحيوانات المؤذية فاغتاز گرگين لما أصابه بيژن من النجاح ، وانفراذه به ، وامتلأ قلبه حقداً عليه

وسلك سبيل الحيلة ليتخاص منه فأخذ يشق على بيژن ويمتدح شجاعته ويتحدث
عن بأسه وقوته نفاقا وخداعا . ثم شرع بعد ذلك يتحدث عن روضه غناء ،
كثيرة العشب والماء ، طيبة الهواء ملتفة الأشجار ، منوعة الرياحين والأزهار
على مسيرة يومين من مكانها . ثم تمادى فى إغرائه فأخبره أن ابنة افراسياب
منيرة تذهب إلى هناك فى فصل الربيع من كل سنة تقضى فترة من الزمان
مستمتعة بطيب ذلك المكان ، ومعها عدد كبير من الجوارى الحسان من نساء
التوران . فقال قلب بيژن إلى الذهاب ودفعه الشباب وحب النساء إلى الموافقة
على ارتياد ذلك المكان . ولما وصلا جلس بيژن يستريح تحت شجرة قريبة
من خيمة ابنة افراسياب - عدو الايرانيين اللدود - فرأته منيرة وراقها جماله ،
وفتنها شبابه ، فأرسلت إليه جارية من جوارىها تدعوه إليها . وقضت مدة
مقامها معه فى تلك الغيضة حتى تمكن حبه من قلبها . فلما حان وقت الرحيل لم
تطق أن تفارقه فسقته مخدرا أسلمه إلى النوم العميق وحمله معها إلى أن بلغت
قصر أبيها افراسياب فأفردت له حجرة هناك وجعلت تتردد عليه وتقضى جل
وقتها لديه ، حتى بلغ الأمر افراسياب فكلف كرسىوز أن يفتش القصر ويأتبه
بكل غريب يحده فيه . وصدع كرسىوز بالأمر ، وأحاط القصر برجاله من
جميع نواحيه ودخل هو حتى إذا قرب من الحجرة انتهى إلى سمعه صوتها وهما
يلهوان ويقصفان فخلع الباب ودخل فإذا به أمام بيژن بن گيو ، فحملة إلى
حضرة افراسياب الذى أمر أن يصلبوه . لكن پيران حين علم بذلك نصحه
أن يعدل عن صلبه حتى لا يضاعف عداوة الايرانيين له ، فاستصوب رأييه
وأمر أن يقيد ويلقى فى جب مظلم إلى أن يموت ، وأن تخرج ابنته من قصره
ذليلة مكسورة فتلقى فى الصحراء عند جب صاحبها . وكان فى رأس الجب

فجوة صغيرة جعلت منيژه تلقى منها إلى بيژن كل ما يتجمع لديها من كسر وفات ليقتات بها صاحبها . وكانت هي تقضى طول يومها عند رأس الجب تبكى وتنتحب .

ولما اطمأن گرگين الخائن إلى وقوع صاحبه في السكين رجع يبدى الأسف والحزن وأخبرهم بفقده . وكان عند الملك جام عجيب إذا نظر فيه رأى مايجرى في كل الأقاليم فجاء به ونظر فوجد بيژن مقيدا في الجب في قليم كركساران ووجد منيژه قابضة عند رأس الجب تبكى وتنتحب ، ففطن إلى الأمر ، وكلف رستم أن يسرع إلى إنقاذ بيژن . ورأى رستم أنه لا سبيل لخلاص بيژن بالقتال وأن النجح لا يتم إلا بالمكر والاحتياي . فارتدى هو وأصحابه ملابس التجار ودخلوا بلاد التوران بدعوى البيع والشراء حتى اهتمدوا إلى الجب الذى قيد فيه بيژن فرفع رستم عنه غطاءه ودلى الوهق فأخرج بيژن وحمله مع صاحبه منيژه وقفل راجعا . وبلغ افراسياب ما احتال به رستم وكيف أخرج من الجب صاحبه فتبعه في جنده حتى أدركه في بعض الطريق ولكن رستم ومن معه حملوا عليهم حملة قوية فولى افراسياب وجنده منهزمين . وعاد رستم إلى الملك يحمل معه بيژن سالما .

وهكذا ترى أن رستم كان عماد هذا العهد الخرافى ، وبطله غير منازع . ولم تخل حياة هذا البطل الخيالى القومى من مأساتين دامتين : أولاهما مأساته مع ابنة سهراب ، وثانيتهما مأساته مع أخيه شغاز .

مأساة رستم وسهراب :

أما مأساة رستم مع ابنه سهراب فهى أفجع مافى الشاهنامه من المآسى .

وموقف رستم من ابنه سهراب في هذه المأساة من المواقف المؤثرة العنيفة .
 وخلاصة هذه المأساة أن رستم كان قد خرج ذات يوم للصيد وأوغل في السير
 حتى وصل حدود توران . وكان صيده كثيرا فشوى منه وأكل ونام بعد ذلك
 ليستريح . وترك فرسه الرخش يرعى إلا أن بعض المارة من التورانيين رأوا
 الفرس وحيدا فأخذوه إلى بلدتهم سمنجان . ولما صحا رستم لم يجد فرسه فأخذ
 يتتبع أثره حتى وصل إلى تلك المدينة . وشاع في المدينة خبر قدوم رستم فأسرع
 إليه ملكها ورحب به ووعدته بالبحث عن فرسه واستضافه تلك الليلة . وبينما
 هو نائم إذ أحس بحركة في حجرته ورأى امرأة بارعة الجمال تقترب منه
 فسألها عن أمرها فعرفت أنها ابنة ملك سمنجان وقد سمعت بخلفه وشجاعته
 فأحبته وعرضت نفسها عليه تريد أن يرزقها الله مولودا في مثل قوة رستم .
 فبات معها تلك الليلة وأهداها خريزة كانت معه وأوصاها أن تشدها على عضد
 المولود إن جاء ذكرا . ولما أصبح الصباح جاءه الملك بفرسه ففرح به وعاد
 مسرورا إلى إيران . وبعد تسعة أشهر ولدت ابنة الملك مولودا ذكرا سمته
 سهراب كان يشبه أباه في شجاعته وقوته . ولما كبر سأل أمه عن أبيه فأخبرته
 الخبر . وعند ذاك صبح عزمه على خوض غمار الحروب اقتداء بأبيه وجده
 وجمع عساكر عظيمة من الترك أراد بها أن يخلع أولا كيكوس عن عرشه ثم
 يعطف بعد ذلك على افراسياب فيخلو له بذلك ملك الإيرانيين والتورانيين .
 ولما علم افراسياب بعزم سهراب على قتال كيكوس سر لذلك وشجعه عليه
 وأوفد معه بعض أعوانه وأوصاهم إذا التقى الجمعان أن يحولوا بين سهراب
 وبين رستم حتى لا يعرف الابن أباه عند الملاقاة . وقد يسعد الحظ افراسياب
 فيقتل أحدهما الآخر أو يقتلان معا . وقبل أن يرحل سهراب ودعته أمه

وربطت إلى عضده الخرزة وأوصته أن يسعى للقائه أبيه . ولما بلغ الأمر
 كيكاموس كتب إلى رستم يستدعيه ، وتجهزت الجيوش ، وحاول سهراب قبل
 القتال أن يهتدى إلى أبيه رستم بين رجال الأعداء فلم يتحقق له ذلك . وبدأ
 سهراب القتال فهاجم على سرادق كيكاموس فقوضه وأزعج عسكره فأوفد الملك
 « طوس » إلى رستم يخبره بما فعله سهراب ، ويستحثه على لقائه . فخرج رستم
 لمبارزة سهراب وهو لا يعرف أنه ابنه . وكان سهراب قد رأى من قوة رستم
 ومثانة بنيانه وطول قامته وشدة أعضائه ما ذكره بحديث أمه عن أبيه ، فدنا
 من غريمه ، وسأله عن أصله وحقيقته فلم يفز منه بإجابة شافية . وعند ذاك
 يئس سهراب من لقاء أبيه وبدأ المبارزة ، وحمل على عدوه ، أو أبيه ، حملة
 شديدة . وما زالا يتبارزان حتى تكسرت سيوفهما ، وسال عرقهما ، واشتد
 تعبهما دون أن يعرف الأب ابنه ولا الابن أباه . ثم استراحا ساعة عاذا بعدها
 إلى القتال وطال بينهما الأمر فأخرج سهراب جرزته وأهوى به على اكتاف
 رستم فتألم رستم لشدة الضربة ، وضحك سهراب ضحك من يظن أنه ظافر بعدوه
 منتصر عليه . ولما أدركهما الليل توقف بينهما القتال . وفي الصباح تقابل الفارسان
 فأقبل سهراب على رستم يسأله عن حاله كأنه صديق حميم ، وأخذ يعرض عليه
 وقف القتال ، والجنوح إلى السلام لما يستشعره في قلبه من حب له وميل إليه .
 ولكن رستم الذي عرك الدهر ، وصرع الأبطال ، وهزم الملوك من الإنس
 والجان ظن ذلك حيلة وخديعة فرفض ما عرضه عليه سهراب ، ويعلم الله أنه
 فيما عرض كان مخلصا ملييا نداء القلب والدم ولكن هكذا شاء القدر ولا يملك
 الإنسان لنفسه النفع أو الضر . وترجل كل منهما عن فرسه ، وبدأت بينهما
 المبارزة ، وحيت المصارعة إلى أنلقى سهراب رستم على الأرض وجثم على

صدره وهم باحتزاز رأسه لكن رستم عمد إلى الحيلة واستمهل إلى الجولة الثانية واستطاع في هذه الجولة الأخيرة أن يتغلب على سهراب فيلقيه أرضاً ويستل خنجره ويشق به نحرة . ولما رأى سهراب الموت ذكر أمه وما أوصته به من البحث عن أبيه رستم ، فما أن سمع رستم هذا الكلام حتى أظلمت الدنيا في عينيه ومادت الأرض تحت قدميه ثم إنه نظر فوجد في عضد سهراب تلك الخرزة وتيقن عند ذلك أنه قتل ولده بيده ، فأخذ يندبه ويشق عليه الصدر ، وينتف الشعر . وعاد إلى عسكره على تلك الهيئة المنكرة ، أغبر الوجه ، أشعث الشعر ، سائل الدمع ، ممزق الثياب ، معفر الرأس بالتراب . فأقبلوا عليه يعزونه ويواسونه . ورجع بعد ذلك إلى زابلستان يحمل ولده وقيله سهراب في تابوته حيث دفنه في موطنه . وهكذا قتل الأب الابن وقضى بذلك الأمر (١) .

هذه هي المأساة الأولى وفيها قتل رستم ابنه سهراب .

مأساة رستم وشغاذ :

أما المأساة الثانية فقد لقي رستم حتفه فيها على يدي أخيه شغاذ . وخلاصة الخبر في هذه المأساة أن زال بن سام - أبا رستم - كانت له جارية حملت منه وولدت له ولداً سماه شغاذ . ولما كبر شغاذ تزوج ابنة ملك كابل وكان رستم قد فرض على ملك كابل خراجاً يؤديه إليه كل عام . وظن ملك كابل بعد أن زوج ابنته إلى شغاذ أن هذا يعفيه من أداء الخراج ، وحاول أن يسوف في الأداء لكن رستم اشتد عليه حتى أدى الخراج المعلوم فاغتاظ أخوه شغاذ

واعتبر هذا إهانة له ، واتفق مع صهره على اتباع الحيلة للخلاص من رستم فدعواهُ الى كابل وحفرا في طريقه حفائر غرزت في قاعها النصال المحددة والحراب المشرعة وغطوا هذه الحفائر . ولما أقبل رستم بفرسه وقع في حفيرة منها فتمزق جسده وأصيب إصابات خطيرة قضت عليه .^(١)

هذا بعض ما تحدثت به الشاهنامه عن رستم .

وأبطال الإيرانيين في الشاهنامه ، غير رستم ، كثيرون نشير من بينهم إلى اسفنديار بن گشتاسپ .

اسفنديار :

كان اسفنديار ساعد أبيه الأيمن حتى دخل بينهما الوشاة ففسد قلب الأب على ابنه ، وقيده بالأغلال والسلاسل وسجنه في إحدى القلاع . ثم توجه أبوه بعد ذلك إلى زابلستان فأقام في ضيافة زال سنتين . ووصل إلى علم أرجاسپ التوراني أن گشتاسپ بعيد عن مملكته ، وأن ابنه اسفنديار مقيد في إحدى القلاع ، وأنه ليس في مدينة بلخ غير لهراسپ الشيخ مع سبعمائة من عبدة النار فوجد الفرصة سانحة للثأر من الإيرانيين . وكلف ابنه كهرم أن يسرع إليهم . وصل كهرم إلى بلخ وقتل لهراسپ ودخل إلى بيوت النار والمعابد والقصور فهدمها وأحرق ما فيها من كتب الزند وأهلك من كان فيها من الموابذة وأطفأ النيران المشتعلة . وحين وصل الخبر إلى گشتاسپ بما فعله أرجاسپ تقدم لقتاله ، ونشبت بينهما الحرب ، وانهزم الإيرانيون هزيمة

منكرة ، وقتل أبناء گشتاسپ وعددهم ثمانية وثلاثون ، وتراجع گشتاسپ الى جبل عظيم يعصمه ، فجاء ارجاسپ وحصره فيه . ولما ضيق عليهم الحصار ، وقتل أرزاقهم ، وشحت أقواتهم ، وعلم گشتاسپ أنهم صائرون إلى الهلاك ذكر ابنه اسفنديار فأوفد اليه من يطلق سراجه ، ويعتذر اليه ؛ ويستنهض همته لنجدة أبيه في محنته . وركض اسفنديار للنجدة ناسياً ما أصابه على يد أبيه من شدة ، ووصل إلى الإيرانيين فضاغف وصوله حماسهم ، وقوى عزائمهم ، وباتوا طول ليلهم يستعدون . ولما طلع النهار حمل اسفنديار على عسكر الأعداء حملة شديدة ففر أرجاسپ وأعوانه وتركوا عساكرهم للموت يحصدهم حتى امتلأت الارض بجثثهم . وسار اسفنديار من بلخ قاصدا توران يقتني أثر ارجاسپ الذي اختفى في قلعة منيعة هي قلعة روثين دژ . وقد سلك اسفنديار طريقاً مخفوقاً بالمخاطر هي طريق هفتخوان حتى بلغها آخر الامر (١) ، فهاله ما رأى من حصاتها ومناعتها وعرف أنها لا تفتح بالقنال ولا سبيل إليها بغير المكر والاحتيال فأمر باحضار الرواحل وحملوها بصنوف البضائع وأحضر مائة وستين صندوقاً جعل في كل صندوق منها فارساً من فرسانه كامل العدة و السلاح وحمل هذه الصناديق على الرواحل ، ولبس الجميع ملابس التجار من الأتراك وجاءوا الى سور القلعة فسر أهلها بمقدمهم وأرادوا أن يعاينوا ما معهم من بضاعة وتجارة ولكنه رفض أن يعرض عليهم شيئاً قبل أن يعرضه على الملك فأخذوه إليه فخذته عما معه من تجارة ونفائس

(١) راجع تفاصيل المخاطر التي تعرض لها اسفنديار في هذه الطريق وكيف تغلب

وطرائف تركها في الصناديق عند باب القلعة فأمر الملك فرفعوا تلك الصناديق إلى داخل القلعة . ووهبه الملك داراً يقيم بها ومتجراً يبيع فيه ويشترى . وبعد أيام أقام وليمة عظيمة دعا إليها الملك والأمراء والقواد وكبار القوم فقضوا الليل كله في القصف والمنادمة ثم انصرفوا وهم ثملون . وانتهر اسفنديار هذه الفرصة وأشعل النار فوق سور المدينة . وكان هذا إشارة متفقا عليها ، فأقبل بشوتن أخو اسفنديار بالجيش إلى القلعة . ولما علم أرجاسپ بمجيء الإيرانيين أخرج الجيش لمقاتلتهم فخلت بذلك القلعة وعند ذلك أخرج اسفنديار رجاله من الصناديق فهاجموا على أرجاسپ ولم يكن قد أفاق بعد من سكره فقتلوه وألقوا برأسه بين جنده وهم يقاتلون فسادهم الاضطراب وعمهم الذعر فولوا هاربين . وقتل في هذه المعركة كهرم واندريمان ابنا أرجاسپ وأسرت أختاه وبناته وزوجته . وعاد اسفنديار إلى أبيه ظافراً منصوراً .

وكان اسفنديار يطمع إذا انتصر في حربه على أرجاسپ أن يتنحى له أبوه عن التاج والعرش مكافأة له فلما لم يفعل ساء ذلك . والظاهر أن أباه أحس بما يحول في خاطره ولم يكن التنازل عن الملك سهلاً لديه فأراد أن يتخلص منه وأوفده لقتال رستم بن دستان مدعيًا أنه لم يسرع إلى خدمته كما كان يفعل مع الملوك السابقين وأنه اعتزل في زابل من عهد لهراسپ دون سبب وجيه متغافلاً عما يجب عليه نحو الملك . ووعده أن يلقي إليه مقاليد الأمور إذا جاءه برستم أسيراً . فخرج اسفنديار بجيشه لمقاتلة رستم الذي حاول أن يرده بالحسن عن سلوك طريق الشر ، وأخذ يعتذر إليه عما كان من تقصيره في خدمة گشتاسپ ، ووعده أن يسرع لأداء فروض الطاعة والولاء ، وأن يكون عند حسن ظن گشتاسپ كما كان عند من سبقوه من الملوك والأمراء . ولكن

هذا المقال الحلو لم يزد اسفنديار إلا تمسكا بالقتال فانتهى أمره إلى وبال وكان قتله هو العاقبة والمآل .

افراسياب :

ومن أبطال الشاهنامه من غير الإيرانيين افراسياب التوراني . وهو افراسياب بن بشنك من ولد تور بن افريدون . ويقول الشعالي عنه إنه كان بطلا مقاتلا وفاتكا باسلا بل كان شيطان الإنس وسلطان السحرة وجمرة الترك ^(١) . ومع أن افراسياب بطل فذ من أبطال الشاهنامه بلا شك إلا أن الشاهنامه لا تمجد فيه روح البطولة ولا تسلم له بها في صراحة ، بل إنها تحاول أن تنتقص من هذه البطولة بما تصفه من الغدر والنكث بالعهود ^(٢) . وعلة هذا واضحة فأفراسياب توراني والتورانيون في الشاهنامه ألد أعداء الإيرانيين . ولا يستسيغ ناظم الشاهنامه في تعصبه لقومه أن يسلم بمجد أو بطولة لغير الإيرانيين . وسنتحدث فيما بعد عن موقف الشاهنامه من التورانيين وغيرهم من الأمم والشعوب الأخرى .

* * *

هذا بعض ما ورد في الشاهنامه عن هذين العهدين ، عهد الدولة الطشدارية والدولة السكيانية ، وطرف من سيرة الأبطال الذين ذاع صيتهم . وقد أنكر كثير من المؤرخين ما في هذا القسم من الشاهنامه من الخرافات والأساطير .

(١) الفرر : ص ١٠٧

(٢) الشاهنامه : ص ٥٥٦ ج ٣

يقول البيروني « ولهم في تواريخ القسم الأول (أى الپيشداديين) وأعمار الملوك وأفاعيلهم المشهورة ما يستفرد عن استماعه القلوب وتمجده الآذان ولا تقبله العقول ». (١) أما ابن الأثير فيقول عند حديثه على الملك جمشيد « وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد أن كنا عازمين على تركه لما فيه من الأشياء التي تمجها الأسماع ، وتأبأها العقول والطباع فإنها من خرافات الفرس مع أشياء أخرى قد تقدمت قبلها وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فإنهم كثيرا ما يشنعون على العرب بجهلهم . » (٢) ويقول في موضع آخر عن قصة الضحك الخرافية « وهذا أيضا من أكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه أكاذيب أعجب . » (٣)

ويذكر الدكتور عزام في تعليقاته على الترجمة العربية أن قارئ الشاهنامه لا يشعر بالفصل بين العهدين الپيشدادى والکیانی فسياق القصة مستمر لا ينقطع ولا يتغير وأبطال العهد الپيشدادى هم أنفسهم أبطال العهد الکیانی (٤) . ويبدأ الخلاف بين العهدين أيام الملك لهراسپ فتتغير بواعث الحرب وميادينها . (٥) ويذكر أن القارئ حين يبلغ عهد گشتاسپ يشعر أنه قد بدأ ينتقل من ظلمة الأساطير إلى ضوء التاريخ حيث يجد من الحوادث والأسماء ما يشبه ما عرف في تاريخ الآمينيين . (٦)

-
- | | | |
|--------------------------------------|------------|------------------|
| (١) الآثار الباقية | : ص ١٠٠ | ط سخاو ليزج ١٩٢٣ |
| (٢) ابن الأثير | : ص ٢٦ ج ١ | ط مصر |
| (٣) نفس المصدر والجزء | : ص ٣٠ | |
| (٤) تعليقات عزام على الترجمة العربية | : ص ٩٩ ج ١ | |
| (٥) نفس المصدر والجزء | : ص ٣٠٨ | |
| (٦) نفس المصدر والجزء | : ص ٣٢٥ | |

نكتفي الآن بهذا القدر من الحديث عن العهدين الأولين من الشاهنامه
وهما العهد الپيشدادى والکيانى .

* * *

يأتى بعد ذلك القسم الخاص بالاسكندر ومن خلفه من الملوك الأشكانيين .
وهذا القسم فى الشاهنامه موجز ايجازا شديدا لا يتناسب مع الطول والامتداد
اللذين نجدهما فى القسمين السابقين من الشاهنامه . ولعل هذا راجع إلى أن
الفرس لا يعتبرون عهد الاسكندر ومن جاء بعده من الأشكانيين من عهودهم
الزاهرة . ويطلق على هذا العهد العهد الاسكندرى أو الأشكانى وهو من عهود
الانحطاط فى تاريخهم القومى ، ذلك أن الإسكندر حين تغلب على البلاد محاذ
كثيرا من النقوش والآثار الايرانية كما أحرق فى حالة سكره مدينة اصطخر
وكانت عاصمة ملوك الدولة الهخامنشية وخرّبها وأحرق مكسباتها التى كانت تشمل
آثاراً نفيسة فى شتى المعارف الإنسانية . فلما قضى الاسكندر لم يهتم خلفاؤه
بالآداب والعلوم الايرانية وكان من نتيجة هذا أن انتشرت اللغة والثقافة
اليونانية فى البلاد وضعفت العصبية القومية . ولما جاء الأشكانيون (البارث) كانوا
بصفة عامه من أهل الحرب ولهذا لم يهتموا بأحياء التراث الايرانى والعمل على
حمايته . وعلى العكس مما كان ينتظر منهم اتجهوا نحو الثقافة اليونانية كأسلافهم
من خلفاء الاسكندر . وكان أغلب ملوكهم يجيد هذه اللغة وآدابها .

وعلى العموم لم يكن عهد الاسكندر وخلفائه ، وعهد ملوك الأشكانيين
من العهود الزاهرة فى تاريخ الفرس .

وقد دام هذا العهد من فتح الاسكندر إلى انتصار اردشير بن بابك على

اردوان مائتين وستا وستين سنة .

ومع أن الاسكندر غزا الايرانيين وقهرهم وحطم ملك الكيانيين ، إلا أن الشاهنامه تصوره لنا في صورة جميلة . فإنه عند ما آل إليه الأمر أعفى الناس من الخراج خمس سنين ووعد بمساعدة الفقراء دون أن يكون في هذه المساعدة مساس بما في أيدي الأغنياء ^(١) . وأى خلاق أجمل من هذا الخلق الذى تلمسه الشاهنامه للاسكندر حين حضرته الوفاة إذ كتب إلى أمه يوصيها ألا تمسك من الأموال التى جمعها أكثر مما تحتاج إليه فى قوتها وأن تفرق الباقي على المحتاجين . ^(٢)

ولعل سبب هذه الصورة الجميلة التى صور بها الشاعر الاسكندر ما ادعاه من انتساب الاسكندر للايرانيين . ولعل الشاعر أراد أيضاً بنسبة الإسكندر للايرانيين أن يمحو عن هؤلاء عار هزيمتهم أمامه ، فأصبح الاسكندر بهذه النسبة منهم ولا يعيب الايرانيين انهزامهم أمامه . ومادام الاسكندر إيرانياً فمن الواجب أن يصوره الشاعر بهذه الصورة الجميلة .

ويرى الدكتور عزام أن الاشكانيين لتأثرهم بالحضارة اليونانية ولأن سلطانهم لم يكن شاملاً لبلاد الفرس كلها لم تعن بهم الأقاصيص الفارسية بل جارت على تاريخهم فسلبتهم بعض مفاخرهم وأبطالهم ووقائعهم ونسبتها إلى الپيشداديين والكيانيين ، فقارن وگودرز وگيوويژن أبطال العهد الكياني فى الشاهنامه

(١) الشاهنامه : ص ١٨١٠ ج ٧

(٢) الشاهنامه : ص ١٩١٢ ج ٧

ليسوا إلا من أمراء الأشكانيين^(١).

* * *

يأتى بعد هذا العهد الأخير فى الشاهنامه وهو العهد الساسانى . وهذا بيان ملوك هذا العهد ومدة حكم كل منهم :

- ١ - اردشير بن بابك حكم أربعين سنة وشهرين
- ٢ - شابور بن اردشير » احدى وثلاثين سنة وشهر او يومين
- ٣ - هرمزد بن شابور حكم سنة واحدة وشهرين
- ٤ - بهرام بن هرمزد حكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام
- ٥ - بهرام بن بهرام بن هرمزد حكم تسع عشرة سنة
- ٦ - بهرام بهراميان (بن بهرام بن بهرام) » أربعة أشهر
- ٧ - نرسى بن بهرام » تسع سنين
- ٨ - هرمز بن نرسى » تسع سنين
- ٩ - سابور بن هرمز بن نرسى وهو المعروف بسابور ذى الأكتاف » اثنتين وسبعين سنة
- ١٠ - اردشير الملقب بالمحسن (نيكوکار) » اثنتى عشرة سنة آخر سابور
- ١١ - سابور بن سابور ذى الأكتاف » خمس سنين وأربعة أشهر
- ١٢ - بهرام بن سابور بن سابور » أربع عشرة سنة
- ١٣ - يزدجرد بن سابور بن سابور » احدى وعشرين سنة ذى الأكتاف

- ١٤ - بهرام گور بن یزدجرد حکم ثلاثاً وستین سنة .
- ١٥ - یزدجرد بن بهرام گور (جور) » ثمانی عشرة سنة .
- ١٦ - هرمزد بن یزدجرد » سنة وشهراً .
- ١٧ - فیروز بن یزدجرد بن بهرام جور » إحدى عشرة سنة وأربعة أشهر .
- ١٨ - بلاش بن فیروز » خمس سنوات وشهراً وستة أيام .
- ١٩ - قباد بن فیروز » أربعین سنة .
- ٢٠ - کسری أنوشروان بن قباد بن فیروز » ثمانیاً وأربعین سنة .
- ٢١ - هرمزد بن کسری أنوشروان » أربع عشرة سنة .
- ٢٢ - کسری پرویز بن هرمز بن کسری » ثمانیاً وثلاثین سنة
- أنوشروان
- ٢٣ - قباد بن پرویز بن هرمز بن کسری » سبعة أشهر .
- أنوشروان
- ٢٤ - اردشیر بن شیرویه بن پرویز » ستة أشهر .
- ٢٥ - فراتین جراز » خمسين يوماً .
- ٢٦ - پوران دخت بنت کسری پرویز » حکمت ستة أشهر .
- ٢٧ - آزر م دخت بنت کسری پرویز » أربعة أشهر .
- ٢٨ - فرخزاد » شهراً واحداً .
- ٢٩ - یزدجرد بن شهریار بن کسری پرویز » ست عشرة سنة . (١)

* * *

ومن هذا يتبين أن عدد ملوکهم کان تسعة وعشرين ملکا حکموا مدة

أربعمئة وثلاث وتسعين سنة وعشرة أشهر ويوم واحد .

وعهد الدولة الساسانية من أزهى عهود التاريخ الفارسي . وحديث الشاهنامه عن هذه الدولة حديث تاريخي وإن لم يسلم من بعض القصص . ويبدو أن مجال الإنشاد في هذا القسم من الشاهنامه لم يكن فسيحا أمام الشاعر كما كان في العهدين الپيشدادی والکیانی لقلة المادة الأسطورية ولارتباط الشاعر بحوادث التاريخ التي ينظمها من المصادر التي لديه . وأشهر ملوك هذه الدولة أردشير الذي أسس الدولة بعد أن تغلب على اردوان ، وسابور ذو الاكتاف وله مع العرب حروب كثيرة هزمهم فيها وقتل منهم خلقا كثيرا وكان ينزع أكتاف الأسرى حتى سمي ذا الأكتاف . ويمتاز عهد قباد بالفتنة الدينية التي أثارها مزدك في عهده . وقد دخل قباد في دين مزدك وشاع هذا المذهب على عهده حتى ضج الموازنة وسعوا لدى قباد حتى انحرف عن هذا الدين الجديد وترك لابنه أمر التخلص من مزدك واتباعه فقتله ونكل بهم وعاد الناس إلى دينهم الأول . وأما كسرى أنو شروان فعهده من العهود الزاهرة في هذه الدولة إذ ارتفع شأن البلاد في جميع النواحي السياسية والحربية والأدبية والإدارية . ويتجلى الترف الملكي بأجلى مظاهره في عهد كسروی پرويز . وبعد ذلك أخذت الدولة في الانحطاط والتدهور فكان يلي أمر البلاد ملوك ضعفاء لا يبقی الواحد منهم في الحكم غير أشهر أو أيام . ولاختفاء الملوك الا كفاء الممتازين استطاع أن يرقى العرش بعض النساء مما زاد البلاد ضعفا وأطمع فيها أعداءها وأعداها لتكون فريسة سهلة للغزاة العرب .

هذه هي تقسيمات الشاهنامه من حيث عهودها ودولها . ويمكن أن ننظر

إلى الشاهنامة نظرات أخرى فنقسمها على ضوء الاعتبارات الموضوعية
لا العهود والدول السياسية .

تقسيم آخر للشاهنامة :

هناك تقسيمات أخرى يمكن أن نقسم إليها الشاهنامة . أول هذه التقسيمات
تقسيمها إلى ثلاثة أدوار متميزة :

١ - الدور الأسطوري

٢ - دور البطولة

٣ - الدور التاريخي

١ - أما الدور الأسطوري فنعني به عهد گيومرث وهو شنك وطهمورث
وجمشيد والضحاك حتى ظهور افريدون . وتمثل الأساطير في هذا العهد فيما
تصوره الشاهنامة من تسخير الجن لخدمة الملوك كما كان الحال مع گيومرث
وجمشيد ، وفيما ترويه لنا عن ابليس الذي تمثل للضحاك طباحا حاذقا وكيف
كان السبب في ظهور الحيتين على كتفيه وما احتاج إليه الضحاك من قتل العباد
لاطعام هاتين الحيتين إلى أن كثر منه التقتيل وعم الظلم فتأر عليه گاوه .

هذا الدور الاسطوري لا نجد فيه بطولة ظاهرة ، ولا أبطالاً قوميين
تعتمد بهم الشاهنامة ، ولا دوافع قومية تدور من أجلها الحروب ، ولا مثلاً
توجه المنازعات وجهة خاصة . ومن هنا جاء الفرق بينه وبين الدور الثاني
دور البطولة .

٢ - دور البطولة : وهذا الدور مشترك مع الدور الأسطوري الذي قبله

في الأساطير ولكن الفرق بينهما الذي جعلنا نميزها عن بعضها ظهور المثل في حياة الناس ، الوعي القومي الذي يخلق أبطالاً قوميين تدور حروبهم حول الدفاع عن الوطن ، والتعصب للأهله ، والقضاء على أعدائه ، واعتناق دين خاص ، ومحاولة نشره بين الناس إيماناً به . فتورة الشعب ضد الضحاك كانت ثورة واضحة الهدف . وكان هدفها القضاء على الظلم والاضطهاد ، واستطاع الشعب أن ينجح في تحقيق هدفه فعزل الضحاك وولى مكانه افريدون الذي اشتهر بالعدل . وحروب رستم وافرasiاب الذي شغلت الجزء الأعظم من هذا الدور لم تكن حروباً طائشة لا هدف لها ولا مثل من ورائها فهي حروب قامت من أجل تسويد العنصر الايراني وتحقيق السيادة له في الأرض على جميع العناصر والشعوب والقضاء على منافسيه في هذه السيادة وهم التورانيون . وحروب اسفنديار ضد التورانيين في سبيل الدفاع عن العقيدة ، ونشر راية الدين الجديد بقوة السلاح كانت حروباً يدفع إليها الايمان والحماسة الدينية . فالفكرة القومية هنا واضحة ، والمثل العليا ظاهرة . وهذا هو أهم ما يميز هذا العهد عن سابقه . ويبدأ هذا الدور منذ ظهر الناصر الشعبي گاوهر وينتهي بقتل رستم . وهذا العهد أهم ما جاء في الشاهنامه من ناحية تمثيله للحماسة القومية الايرانية .

٣ - الدور التاريخي : وهو القسم الثالث من الشاهنامه . وفيه يختفي عنصر البطولة الفردية القائمة على الأمور الخارقة والأعمال العجيبة . ويحل محل هذا أشخاص عاديون ، وأعمال تاريخية . ولغلبة الناحية التاريخية في هذا العهد يلاحظ أن الأشعار من حيث مستواها الفني ليست في جمالها التي رأيناها عليه في العهود الأسطورية السابقة . وهذا طبيعي حيث يتقيد الشاعر بحوادث

تاريخية لا يسهل عليه أن يحيد عنها أو يضيف عليها كثيرا من الخيال . وفي بعض الأحيان تكون الشاهنامة في هذا القسم أشبه بكتاب التاريخ من حيث سردها للحقائق وحدها .

تقسيم ثالث للشاهنامة :

وهذا تقسيم آخر للشاهنامة من حيث مادتها وما يخالفها من حقائق أو أساطير . فهناك :-

- ١ - عهد اسطوري خالص وهو عهد الپشداديين
- ٢ - عهد اسطوري يمتزج بشيء من التاريخ وهو عهد الكيانين .
- ٣ - عهد تاريخي يمتزج بشيء من الأساطير وهو العهد الساساني .

تقسيم رابع للشاهنامة :

وهذا تقسيم آخر يقوم على التطور الطبيعي للحياة الانسانية ويصور مراحل المجتمع الانساني . فهناك :-

- ١ - العهد الطبيعي أو البدائي : وفيه خلق الانسان الاول « گيومرث » . وفيه عاش الانسان عيشة بدائية أو طبيعية يحاول أن يستكشف البيئة الطبيعية التي حوله ويدللها لمصلحته . وفي هذا العهد توصل إلى النار كما فعل « هوشنك » إذ رمى حية في الجبل بحجر فأفلتت الحية واصطدم الحجر بالصخر فأخرج اصطدامها نارا . وكان هذا كشافا عظيما . وفيه شق مجارى المياه واهتدى إلى الزراعة . واتخذ من جلود الثعالب وأصواف الحيوان غطاء له وكساء . وعلم الجوارح لتكون في خدمته وأذل قوى الشر كالعفاريت ونحوها لتصفو له الحياة كما فعل طهمورث . واتخذ آلات الحرب المختلفة من دروع وسيوف

ورماح ، وتعلم الغزل والنسيج ، واستخرج المعادن وبنى البيوت ، وعالج المرض بصنع الأدوية . وقد حدث كل هذا فى عهد جمشيد .

فهذا العهد اذن يمثل النشأة الطبيعية أو البدائية التى مر بها الانسان والمجتمع الانسانى .

٢ - عهد النزاع : وطبيعى بعد أن يسيطر الانسان على البيئة المحيطة به ويوفر لنفسه حاجاتها من غذاء وكساء ومسكن أن يسعى ليفرض سيطرته على من يحيط به من الناس ليهيئ لنفسه حياة أفضل . ومن ثم ينشأ النزاع بينه وبين غيره من أفراد المجتمع . ويستمر هذا النزاع قائماً إلى أن يستطيع فرد أن يتفوق على الباقين فيخضعهم لسلطانه ، ويصبح هو رأس هذا المجتمع ويدين له أفراداه بالطاعة والولاء . وفى مثل هذا الدور تظهر الغرائز الانسانية من حب للسيطرة ، والتملك ، والمقاتلة ونحو ذلك . وهذا الدور من أدوار المجتمع الانسانى تصويره لنا الشاهنامة خير تمثيل . ويمكن أن نعتبر بدايته النزاع الذى قام بين الاخوة ايرج وسلم وتور ابنا افريدون ، هذا النزاع الذى أدى إلى إشعال نيران الحروب التى استغرقت هذا الدور كله حتى قتل رستم وانتهى العهد السكيانى .

وكان افريدون قد قسم الملك بين أولاده الثلاثة وجعل لسلم وهو أكبر أبنائه أرض الروم وبلاد المغرب ، واعطى لتور بلاد الصين والترك ، ومنح ايرج وهو أصغر الأخوة السراق وبابل حتى الهند وجعله ولياً لعده . ونظر الإخوة فوجدوا أن أباهم قد خص ايرج بأهم أجزاء المملكة فضلاً عن ولاية العهد مع أنه أصغرهم . وبدأت عوامل الغيرة والتنازع تظهر بينهم . ولما أحس ايرج ما يحول بخاطر أخويه - وكان عاقلاً حكيماً - عرض على أخويه أن

يتنازل لهما عن نصيبه الذى خصه به أبوهن لترتفع من بين الاخوة أسباب الشجار وتسود بينهم المحبة والوئام . ولكن السلام لم يدم بين الاخوة طويلا ودفعت الغيرة العمياء والرغبة فى السيطرة والاستعلاء « تور » إلى قتل أخيه ايرج . وكان لإيرج جارية قد حملت منه وولدت له بنتا رباها جدها افريدون حتى إذا كبرت زوجها ابن أخيه بشج . وكان ثمرة هذا الزواج منوچهر الذى استطاع فيما بعد أن ينتقم لايرج وأن يقتل تور . وبعد قتل تور صار سلم وحيدا فى الميدان فلم يستطع أن يقاوم طويلا وانتهى أمره إلى القتل كذلك . ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد إذ انتقل النزاع بعد ذلك من دائرة الفردية إلى دائرة شعبية قومية بين الشعب الايرانى وبين الشعب التورانى الذى ينتسب إلى تور . ولم ينته هذا النزاع القومى إلا بموت أبطاله افراسياب التورانى ورستم الايرانى . وبموت هذين البطلين ينتهى هذا النزاع وينتهى فى نفس الوقت عهد النزاع .

٣ - عهد الاستقرار والحضارة : والحضارة بطبيعتها ثمرة من ثمار الاستقرار وهذا الاستقرار لا يتحقق إلا بانتهاء النزاع بين المتنازعين وخضوعهما لسلطان قوى يقضى على عوامل الفوضى ويبدل جهده فى رفع مستوى الحياة الإنسانية . وهذا الدور من أدوار المجتمع الإنسانى تصوره لنا الشاهنامة فى العهد الساسانى فهو عهد استقرار إلى حد كبير . وفيه قام مجتمع منظم له أصوله وطبقاته . وعرف الناس معنى الدولة ، وظهرت الهيئة الحاكمة بتقاليدها ، ووضعت القواعد والقوانين لتنظيم المعاملات ، وأخذت الدولة بأسباب الحضارة فى كافة النواحي المختلفة .

هذا تعريف عام بالشاهنامه التى ألفها الفردوسى

عصر الفردوسى والشاهنامه :

لم تكن ايران على عهد الفردوسى هى ايران الموحدة القديمة التى عرفناها فى العهد الساسانى إذ كانت تلك الرقعة الواسعة قد تقسمت أقساما سيطر على كل قسم منها دولة من الدول. وبذلك ضاعت الوحدة السياسية القديمة لايران. ولم يعد ممكنا أن نطلق لفظ الدولة الايرانية على أى واحدة من هذه الدول لأنها فى الحقيقة لم تكن تسيطر إلا على جزء من ايران كما كان يشركها غيرها من الدول فى السيطرة على أجزاء أخرى . ولهذا السبب كان يطلق على كل دولة من هذه الدول اسما محليا حسب الإقليم الذى تسيطر عليه ؛ فسمى امرأ السامانيين أمرأ خراسان ، وأولاد بويه ملوك العراق والجبال ، وخلفاء الطيغين الذين استقروا فى غزنة الغزنين .. وهكذا :

وفى القرن الرابع الهجرى الذى ولد فيه الفردوسى وشرع ينظم شاهنامته كان قد ظهر فى كل ركن من أركان الدولة الساسانية القديمة دولة جديدة ، فكانت هناك دولة السامانيين فى خراسان وما وراء النهر ، والدولة الزيارية ، والدولة البويهية ، ودولة الغزنين . وهذه الدولة الأخيرة هى التى تهمنى بصفة خاصة .

الدولة الغزنية :

ولا بأس أن نطيل الكلام بعض الإطالة عن هذه الدولة وعن السلطان محمود أهم ملوكها إذ كان هذا الكلام مما يتصل أشد الاتصال بشاعرنا الفردوسى ومنظومته الشاهنامه .

مؤسس الأسرة الغزنوية الپتگیں أحد عبيد الاتراك الذين كان لهم شأن يذكر في عهد الدولة السامانية . وقد خصه الأمير الساماني عبد الملك (٥٢٣هـ / ٩٥٤ م) بعطف كبير إذ اتخذه حاجباً له وولاه قيادة الجيوش في خراسان . وبعد أن توفي عبد الملك انتقل الپتگیں ومن معه من الاتراك في سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢ م إلى مدينة غزنة التي كان يحكمها أبوه من قبل السامانيين وتولى هو من بعده حكمها . ولم يطل حكم الپتگیں إذ مات بعد سنة دون أن يستطيع أداء عمل ذي شأن سوى أن يضع النواة الأولى للدولة الناشئة .

وجاء من بعده ابنه أسحق (٣٥٢هـ / ٩٦٣ م) ثم ، بلكاتگیں ، (٣٥٥هـ / ٩٦٦ م) الذي كان من مماليك الپتگیں .

ويعتبر سبكتگیں المؤسس الفعلي لهذه الدولة وكان هو الآخر عبداً من عبيد « الپتگیں » وزوجاً لابنته . وكان معروفاً بالشجاعة والحزم فاستطاع أن يمد سلطان دولته وأن يمكن لها في الأرض . وولى وجهه شطر المشرق في الهند فهزم ملوكها وأنشأ حكومة في پيشاور . وكذلك اتجه إلى الناحية الأخرى واستولى على خراسان فلم يجد الأمير الساماني بداً من تعيينه حاكماً عليها . وقد رضى سبكتگیں وهو صاحب القوة الفعلية أن يقدم خضوعه وولاءه إلى الدولة السامانية صاحبة الحكم الشرعي .

وقد جمع سبكتگیں حوله طائفة من أهل العلم والأدب . ولما مات رثاه كثير من الشعراء من بينهم أبو الفتح البستي الذي يقول :-

قلت إذ مات ناصر الدين والدو

لة حياه ربه بالكرامة

وتداعت جموعه باقتراق

هكذا هكذا تكون القيامة

وكان أبو الفتح البستي الشاعر كاتباً للملك في « بست » ووقع بين الأسرى الذين أسروهم سبكتكين حين فتحها .

وجاء بعد سبكتكين ابنه محمود الذي يعتبر أشهر ملوك هذه الدولة ومن أبرز أعلام التاريخ الإسلامي . وقد نال محمود هذه المكانة بما قام به من الغزوات الكثيرة التي رفعت لواء الإسلام . وتعتبر غزواته في بلاد الهند من أعظم الغزوات التي قام بها المسلمون في كفافهم الطويل لنشر الدين . وقبل أن يبدأ هذه الغزوات التاريخية رأى أن يأمن جانب جيرانه ليتفرغ لمحاربة الهنود وهو مطمئن . وكان جيرانه في ذلك الوقت السامانيين ، والأتراك الأيلخانية .

أما السامانيون فقد ضعف أمرهم في ذلك الوقت ضعفاً شديداً ولم يعد بأيديهم سوى إقليم ما وراء النهر بعد أن انتزعت خراسان منهم . وحتى هذا الإقليم ، ما وراء النهر ، لم يدم لهم طويلاً لأن إيلك خان استطاع بجيشه أن يزحف إلى بخارى في سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م . وأن يأسر عبد الملك الساماني ويحبسه بأفكند حتى مات . ومع أن الدولة السامانية لم يعد لها شأن أو مكانة فقد حرص محمود على أن يفي الناحية الشكلية حقها وطلب موافقه الخليفة على ولايته فجاءته خلعة السلطنة من القادر بالله الخليفة العباسي . وكان محمود يحرص وهو صاحب القوة والغلبة على إظهار الخضوع الشكلي للخليفة العباسي حتى أنه كان يلقب نفسه في كتبه إلى الخليفة « عبد مولانا أمير المؤمنين وصنيعته محمود

١. سبكتگين» (١). ومنحه الخليفة لقب يمين الدولة وأمين الملة .

أما ايلك خان التركي فقد رأى محمود أن مسالمتيه أحسن وسيلة لاثمان جانبه فأخذ في توطيد أواصر الصداقة بينهما ، ورأى أن يؤكد ما بينهما من ود وإخاء فأرسل اليه وفداً يرجو مصاهرته ويخطب كريمته . وقد كان لمحمود ما أراد وقبل أيلك خان أن يزوجه ابنته . وبهذا نجح محمود فيما أراده ، وهياً نفسه بعد ذلك لغزو الهند .

وقد بلغت غزوات محمود في الهند اثنتى عشرة غزوة بين سنتى ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م ، ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م . ولا شك أن تفصيل الكلام فى هذه الغزوات لا تدعو اليه ضرورة فى مثل هذا التأليف الأدبى .

والمتتبع لغزوات محمود فى بلاد الهند يرى أنه كان يتخذها وسيلة إلى التقرب من الله بمجاهدة الكافرين ونشر الدين . ويحدثنا ابن الأثير أنه عندما قام بغزوته الأولى فى بلاد الهند كان يتخذ منها كفارة لما كان منه من قتال المسلمين . (٢) ولا مرأى فى أن الغنائم والأسلاب العظيمة كانت تغريه دائماً بمتابعة الفتح والغزو . ويتهمه ابن الأثير بأنه كان محبا للمال فيقول عنه « ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل إلى أخذ الأموال بكل طريق » وروى لذلك قصة رجل عرف عنه الغنى فاتهمه محمود بأنه قرمطى فلما افتدى الرجل نفسه بالمال برأه محمود من هذه التهمة (٣) .

ص ٢٥٩ ج ٤ ط دار الكتب ١٩٣٣ .
ص ٦٣ ج ٩ حوادث سنة ٣٩٢ .
ص ١٥٠ ج ٩ حوادث سنة ٤٢١ .

(١) النجوم الزاهرة :
(٢) ابن الأثير :
(٣) ابن الأثير :

ويبدو أن ابن الأثير غالى فيما نسبته إلى محمود ودليلنا على هذا موقف محمود من الهنود حين هم بتحطيم صنمهم الأكبر « سومنات » فأسرعوا إليه ضارعين ليدع لهم معبودهم على أن يقدموا إليه مالا يحصى من الأموال والنفائس . وقد أغرت كثرة الأموال التي عرضها الهنود رجال محمود فأشاروا عليه أن يقبل هذا العرض ويترك لهم صنمهم ولكنه رفض قائلا « إن محمودا محطم الأصنام وليس بائعها » .

وفي نهاية عهد محمود كانت دولته قد امتدت امتدادا عظيما وشملت خراسان وطبرستان في الغرب ، والتر كستان وما وراء النهر في الشمال ، وإقليم البنجاب في الشرق ، والإقليم المعروف في الوقت الحاضر ببلاد الأفغان في الوسط .

وبعد أن رجع محمود من إحدى غزواته ضد البويهيين التي استولى فيها على أصفهان مات في غزاة سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م بالغاً من العمر إحدى وستين سنة إذ كان قد ولد في سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م .

ولم يجد الزمان على الدولة الغزنوية بمثل محمود . ويذكر البيهقي أن محموداً كان يحس أنه لن يظهر في أسرته بعد موته من يضارعه (١) . فكَانَ هُناكَ
يتنبأ بذلك :

ولم يفطن محمود في حياته إلى الخطر الذي يهدد دولته من وجود الأتراك السلاجقة وازدياد نفوذ رؤسائهم أمثال طغرل بك . ومع أن مسعوداً خليفة محمود كان من الملوك الأكفاء والمقاتلين الشجعان إلا أنه انهزم أمام طغرل في

الموقعة التي دارت بينهما في داندانقان بين مرو وسرخس سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م .
وكان من أثر هذه الهزيمة التي لحقت مسعودا أن انتزع منه السلاجقة خراسان
وجميع الأقاليم الغربية التابعة للدولة الغزنوية . وكانت هذه الهزيمة قاضية على جميع
آمال مسعود بل وعليه نفسه إذ قتل بعد ذلك في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م .

ويتوالى الملوك من الأسرة الغزنوية بعد ذلك وتزداد في نفس الوقت قوة
السلاجقة وقد لجأ بعضهم إلى مسالمة السلاجقة مثل ابراهيم الغزنوي الذي
تجاوزت مدة حكمه أربعين عاما امتازت بالسلم والرخاء . وكان سبب ذلك ما
لجأ إليه من تزويج ابنه مسعود الثالث إلى ابنة ملكشاه السلجوقي . واستغل
ابراهيم هذه الصلة بينه وبين السلاجقة وانصرف إلى الإصلاح الداخلي . وكذلك
كانت الحال في عهد مسعود الثالث ، إلا أن العلاقات قد ساءت بعد ذلك بين
العارفين واستطاع السلاجقة ومن بعدهم الغوريون أن يستولوا على غزنة وأن
يقضوا على ملك الغزنين بها . وفي الحروب التي دارت بين السلطان علاء الدين
حسين من ملوك الغوريين ^(١) وبين بهرام شاه الغزنوي سقطت غزنة واشتعلت
الحرائق فيها حتى صيرتها رمادا ولم يعد لها بعد ذلك مجدها القديم .

وبعد سقوط غزنة ، وضياع الجزء الغربي من الدولة ، اتجه الغزنويون إلى

(١) الغوريون أو آل شنسب هم طائفتان : ملوك الغور الذين حكموا في غور
نفسها وكانت عاصمتهم فيروزكوه ، وملوك طخارستان وعاصمتهم باميان . واشهر
سلاطين الغوريين السلطان علاء الدين حسين الذي هزم بهرام شاه الغزنوي ودخل
غزنة وأشعل النار فيها ونشر الخراب والدمار حتى لقب « جهانسور » أي محرق الدنيا
وقد حكم الغوريون ما يقرب من سبع وستين سنة من ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م - ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م .
راجع أيضا ما كتبه القزويني في حواشيه الملحقمة بالترجمة العربية لكتاب چهارمقاله .

مقاطعاتهم في الشرق واتخذوا لاهور عاصمة لهم واستمروا يحكمون هناك إلى أن قضى الغوريون على الأسرة الغزنوية نهائيا وكان ذلك في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م .

نهضة الادب والحضارة في العهد الغزنوي :

كان العصر الغزنوي عصر نهضة أدبية واسعة . وقد أجمع مؤرخو الأدب على أن هذه النهضة لم يكن لها فيما سبق مثيل . وتركزت هذه النهضة بصفة خاصة في بلاط السلطان محمود الغزنوي الذي اجتمع فيه من أهل الأدب زهاء أربعمائة . وظهر في هذا العصر مجموعة من الشعراء الذين يعتز بهم الأدب الفارسي في جميع عصوره . ويمكن أن نجل في ما يأتي الأسباب التي أدت إلى هذه النهضة الأدبية .

إن انتصارات محمود الحربية وغزواته المختلفة التي قام بها لنشر الدين كانت من الأسباب القوية التي أطلقت لسان الشعراء بمدح محمود والثناء عليه . وقد جعلت الناحية الدينية في فتوحات محمود منه بطلا شعبيا رويت حوله القصص ونظمت فيه الأشعار . وحسبك أن تقرأ مجموعة من الأشعار التي امتدح بها السلطان محمود لتلمس أثر الباعث الديني في نظم هذه الأشعار . ولم يكن موقف الشعراء من هذه الفتوح الدينية والحروب المختلفة قاصرا على مدح السلطان بل تجاوزته إلى غير هذا من الأغراض التي لم يسبق الشعراء الالتفات إليها فيما سبق كوصف الحروب وصف معاينة ومشاركة ، والحث على القتال ، وإثارة الحماسة في نفوس الجنود ونحو ذلك من الأغراض الحيوية في دولة حربية فتية . ولم يكن السلطان محمود وحده هو الذي حرك ألسنة الشعراء بانتصاراته

الحرية ، فأبوه من قبله ، وأخوه نالا من شعر الشعراء نصيبها لنفس السبب .
وكان للانتصارات الحرية ثمرة أخرى ساعدت على رواج الأدب والفن
هى وفرة الأموال والغنائم التى يعود بها الغزاة المنتصرون . وقد أدى تدفق
الأموال وانتشار الثراء إلى شيوع الترف بحيث صار البلاط الغزنى قبلة أنظار
عدد كبير من الشعراء والعلماء . وفيما بين أيدينا من المصادر أمثلة عديدة على هذا .
ومع أن محمودا كان متدينا إلا أن جو الترف الذى ساد بلاطه أدى به إلى
عشق أحد غلمانه الأتراك عشقا عظيما ولكن دينه وخلقه نهاه عن أن يمزج
العشق بالفسق .

وبما يصور الترف الشديد الذى انغمس فيه السلطان وآفاه على من حوله
أن الفرخى الشاعر كان إذا ركب تبعه من الغلمان عشرون قد عقدوا على
خصورهم مناطق الفضة ^(١) .

ونال فن العمارة نصيبه من عناية محمود نتيجة لهذا الثراء والترف . ويحدثنا
العتبي حديثا طويلا عن مسجد غزنة الجديد الذى بناه محمود وكيف كان يغرى
العمال الذين اشتركوا فى بنائه بالأجور والأموال طلبا للإجادة والاتقان ،
وكيف نقل ما احتاجه البناء من الأخشاب من الهند والسند ، وكيف بالغ فى
تجميل المسجد وتزيينه حتى استخدم الأصباغ والألوان والتذهيب ، وفرش
ساحته بالمرمر الصقيل اللامع ، وألحق به مدرسة ملئت قاعاتها بالمؤلفات فى جميع
العلوم . ووكّل التدريس فيها إلى فريق من الفقهاء والعلماء كان يغدق عليهم

ويغمرهم بالنعمة (١).

وظلت غزنين أو غزنة زينة المدائن حتى قامت الحروب التي وقعت بين علاء الدين حسين من ملوك الغور وبين بهرام شاه الغزني . واستطاع الملك الغوري أن يهزم الغزني وأن يستولي على عاصمته ، وينتقم لأخيه الذي كان قد قتله بهرام شاه شر انتقام لدرجة أنه أباح المدينة ، وأشعل فيها الحرائق التي صيرتها رمادا . ولم تستعد غزنة بعد هذه الحروب ما كان لها من مجد وشأن .

وكان محمود نفسه محبا للعلم والعلماء ، والأدب والأدباء . وكان لحبه إياهم يقرب مجلسهم منه ويدنيهم اليه . ومع أن محمودا كان من رجال السيف والحرب ، وقد قام بعدد كبير من الفتوحات ، وحقق لجيوشه كثيرا من الانتصارات الرائعة ، وضم لدولته عن طريق الحرب والسيف ملسا واسعا إلا أنه كان بعد هذا كله يرى أن أفضل ما يخلد ذكر المرء أن يكون ممدحا من الشعراء ، محببا إلى العلماء .

وكان محمود نفسه شاعرا وقد نسبت اليه أشعار مختلفة في الغزل والثناء والبطولة وتورد كتب التذاكر ما بقي له من هذه الأشعار . وحين أنس رجال الأدب فيه هذا الميل التفوا حوله حتى اجتمع ببلاطه منهم عدد كبير . وكان العنصرى كبير الشعراء في بلاطه وقد جرى العرف بين الشعراء أن يعرضوا عليه أولا ما يريدون إنشاده في حضرة السلطان .

ولم يكن الشعر عند السلطان محمود وسيلة من وسائل المتعة الفنية بالبلاط

في أوقات الفراغ واللهم فحسب فكثيرا ما كان يصحب في حروبه عددا من شعرائه أمثال عنصري وفرخى ليستعين بهم في إشعال نار الحماسة وتقوية عزائم الجند في الحروب . وكان هؤلاء الشعراء يصفون في أشعارهم المعارك والوقائع ، ويتحدثون عما يصيبه السلطان من الغنائم أو يفتحه جنده من البلاد . ويتخلل هذه الأشعار بطبيعة الحال الثناء والمدح لما يبيديه السلطان من ضروب البسالة في قتال الأعداء ونشر الدين .

وكان للعلم نصيب عظيم من عناية محمود ، ولم يكن يدخر وسعا في استقدام العلماء اليه . ويذكر صاحب چهار مقالته أن أبا العباس مأمون ملك خوارزم ووزيره أبا الحسين أحمد بن محمد السهلي كانا من أهل الفضل والعلم فاجتمع حولهما كثير من العلماء والفضلاء أمثال أبي علي بن سينا ، وأبي سهل المسيحي ، وأبي الخير الخنار ، وأبي ريحان البيروني ، وأبي نصر العراق . وكان كل واحد من هؤلاء من نوابغ فنه ، فابن سينا وأبو سهل من نوابغ أهل الحكمة ، والخنار من برعوا في الطب ، والبيروني برع في علم النجوم ، والعراق في الرياضيات . وكان أبو العباس المأمون يتولاهم بالرعاية والعناية . فلما سمع السلطان محمود بما كان من اجتماع هؤلاء العلماء وأمثالهم في بلاط ملك خوارزم كتب يطلب إيفادهم اليه ليزدان بلاطه بهم ويفيد من علمهم . وقد وفد منهم بالفعل إلى بلاط السلطان العراق والخنار والبيروني . أما ابن سينا وأبو سهل المسيحي فقد رفضا القدوم . وكان رفض ابن سينا خسارة كبيرة لبلاط محمود^(١) .

وكان لمحمود مشاركة في الفقه . وتذكر بعض المصادر اسمه بين أسماء الفقهاء .

ويروى أنه ألف في الفقه كتاباً^(١)، كما كان مولعاً بعلم الحديث يجمع الناس لسماع الأحاديث من الشيوخ بين يديه، ويقارن بين المذاهب المختلفة ويدعو العلماء إلى التناظر فيها وترجيح بعضها على بعض^(٢).

ومما ساعد على نهضة الأدب والعلم في العصر الغزنوي — وخاصة الأول — وجود مراكز أخرى للحضارة إلى جانب بلاط غزنة. وكانت هذه المراكز تجتذب إليها العلماء والأدباء. وأهمها البلاط البويهى حيث كان صاحب ابن عباد الذى كان يقيم غالباً في اصفهان أو الرى، والبلاط السامانى في بخارى، وبلاط قابوس بن وشمگیر في طبرستان، وبلاط ملوك خوارزم في خيوه الذين يعرفون بالمأمونيين. ويلاحظ أن هذه المراكز لم تحتفظ جميعها بطابعها أو حيويتها زمنياً طويلاً. ففي العشرين سنة التى انقضت بين ٣٨٧هـ / ٩٩٧ م، ٤٠٨هـ / ١٠١٧ م مات صاحب ابن عباد في ٣٨٧هـ / ٩٩٧ م وسقطت الدولة السامانية في ٣٩٠هـ / ٩٩٩ م، وقتل شمس المعالى قابوس بن وشمگیر في ٤٠٣هـ / ١٠١٢ م، وقتل مأمون الثانى ملك خوارزم وضمت مملكته إلى أملاك السلطان محمود في ٤٠٨هـ / ١٠١٧ م.

ولا جدال في أن هذه المراكز ساعدت على نهضة الأدب ونشر الحضارة فترة من الزمان. وكان العلماء والأدباء يجدون من العناية والتشجيع ما يجذبهم إليها. وقد ذكرنا فيما سبق كيف اجتمع العلماء في بلاط المأمون أمير خوارزم أمثال ابن سينا، البيرونى. وكان محمود الغزنوى حريصاً على ضم ابن سينا إلى

ص ٣٥ ج ١ لشبلى النعمانى ترجمة نخر گیلانی

ص ١١٠ ج ٢

(١) شعر العجم :

(٢) ابن خلکان :

بلاطه ولكنه آثر منذ أن ترك بلاط أمير خوارزم أن يتصل أولا بشمس المعالي قابوس بن وشمگیر الذي اعتز به ولم يسلمه إلى محمود ثم رحل بعد ذلك إلى الري ودخل في خدمة علاء الدولة محمد وصار وزيره . وفي خلال هذه الفترة كان يكتب في الصباح الباكر من كل يوم - إلى جانب عمله الرسمي - بعضا من صفحات كتابه الشفاء .

وكما فعل السلطان محمود في بلاطه بغزاة من رعاية العلماء والأدباء كان الأمراء المحليون يتنافسون في استقدام العلماء ورعاية الأدباء ، ومنهم في نيشابور أبو المظفر نصر - أخو السلطان محمود - . وكان أبو المظفر هذا يرعى الأدباء والعلماء . وقد جمع حوله عددا كبيرا من الشعراء مدحوه في حياته ، ورثوه في مماته بالكثير من الأشعار ^(١) .

وكانت هناك طائفة من الأدباء تنتقل من بلاط إلى بلاط كما فعل أبو منصور الثعالبي النيسابوري فإنه قدم لطائف المعارف إلى صاحب اسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة البويهى ، وقدم المبهج والتمثل والمحاضرة لشمس المعالي قابوس بن وشمگیر ، وقدم سحر البلاغة وفقه اللغة للأمير أبي الفضل الميكالى ، والنهية فى الكناية ونثر النظم واللطائف والطرائف للأمون بن مأمون خوارزمشاه .

وكذلك كان أبو ريحان البيروني فإنه قضى الجزء الأول من حياته فى رعاية المأمونيين أمراء خوارزم أو خيوه ، ثم اتصل بعد ذلك ببلاط شمس المعالي قابوس بن وشمگیر فى طبرستان حيث أهداه مؤلفه عن الأمم القديمة ، ثم عاد

بعد ذلك إلى خوارزم إلى أن جاء كتاب السلطان محمود الغزنى يستقدم من كانوا فى بلاط خوارزم شاه من العلماء. وبقى فى البلاط إلى أن توفى محمود. وبعد ذلك بسنين ألف كتابه « التفهيم فى صناعة التنجيم » ثم القانون المسعودى الذى وجهه إلى السلطان مسعود بن محمود ثم كتابه عن الأحجار الكريمة الذى أهداه إلى ابن مسعود وخليفته مودود^(١).

منى نظمت الشاهنامه :

يذكر الفردوسى أنه سأل كثيرين لعل أحدا يهديه إلى الكتاب الفهلوى الذى جمع قصص الماضين. ويذكر أن ماله لم يكن يكفيه للقيام بعبء هذا العمل فضلا عن أنه لن يجد من يشتري منه هذا الجهد وأخيرا أحضر له الكتاب أحد أصدقائه وطلب إليه أن ييغى بعمله المكانة عند العظماء^(٢). وكان الشاعر إذا ذاك شابا^(٣).

ولكن متى بدأ الشاعر فى نظم هذه القصيدة ؟ فى بعض نسخ الشاهنامه أنه نظمها فى ثلاثين سنة آخرها ٣٨٤ هـ^(٤). فيكون قد بدأ نظم الشاهنامه على هذا الأساس سنة ٣٥٤ هـ. وفى بعض الروايات الأخرى وهى الأشهر أنه أتمها سنة ٤٠٠ هـ وعلى هذا الأساس يكون قد بدأ نظمها حوالى ٣٧٠ هـ وهذا أقرب إلى الصواب لأن المعروف أن الفردوسى بدأ عمله بعد موت الدقيقى سنة ٣٦٧ هـ.

(١) Browne : Lit. His. of Persia. Vol 2. p. 101. Cambridge 1951

(٢) الشاهنامه : ص ١٠ ج ١

(٣) الشاهنامه : ص ١٠ ج ١

(٤) الترجمة العربية للشاهنامه : ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ج ٢

وقد اختلفت المصادر في عدد السنوات التي قضها الشاعر في نظم الشاهنامه بين خمس وعشرين سنة ، وثلاثين سنة ، وخمس وثلاثين سنة . كما اختلفت في تحديد تاريخ انتهاء الشاعر من النظم بين سنتي ٣٨٤ هـ ، سنة ٤٠٠ هـ . ويتعذر مادام الأمر كذلك أن نقطع بالسنة التي بدأ ينظم فيها الشاهنامه ولكن هذا لا يمنعنا من أن نحاول معرفة السن التي بدأ الشاعر فيها ينظم قصته . وقد ذكرنا فيما قبل أن ولادة الفردوسي كانت في إحدى السنوات الواقعة بين ٣١٩ ، ٣٢٩ هـ . فإذا أخذنا تاريخاً متوسطاً بين هاتين النهايتين وليكن سنة ٣٢٤ هـ وتاريخاً متوسطاً بين سنتي ٣٥٤ هـ ، ٣٧٠ هـ وهما السنتان اللتان يحتمل أن يكون قد بدأ في إحداهما نظم الشاهنامه ولتكن سنة ٣٦٢ هـ وجدنا أن سن الشاعر حين بدأ هذا العمل الأدبي العظيم تقارب الثامنة والثلاثين . وهذه السن تناسب الشباب الذي يصفه به صاحبه الذي أهداه الكتاب الفهلوي لينظمه ^(١) .

وعلى أي حال كان شروع الفردوسي في نظم الشاهنامه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . ولا شك أن الجزء الذي نظمه الدقيق « گشتاسپ نامه دقيقي » كان قد شاع أمره وعرف الفردوسي ما يلائمه مثل هذا العمل من اهتمام الناس وإقبالهم فشرع ينظم الشاهنامه ولم يكن في يده نسخة منها حتى أهداها إليه أحد أصدقائه . والغالب على الظن أن تكون تلك الشاهنامه التي أهداها إليه صديقه هي شاهنامه المنصوري المنشورة التي تحدثنا عنها فيما سبق . وسنعود إليها مرة أخرى عند الكلام على مصادر الفردوسي .

سبب تأليف الشاهنامة :

لاحظنا فيما سبق أن الشاعر بدأ في نظم شاهنامته في سنة ٣٥٤ هـ في رأى، سنة ٣٧٠ هـ في رأى آخر . وقد اخترنا تاريخاً ترجيحياً وسطاً بين هذين التاريخين هو سنة ٣٦٢ هـ . ومهما يكن أمر الاختلاف في التاريخ الصحيح فالمؤكدم مراجعة هذه التواريخ أن الشاعر قد بدأ ينظم قصته قبل أن يرتقى السلطان محمود العرش (٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) بزمن طويل . وفي هذا ما ينفي صحة الرواية الذائعة التي تزعم أن الشاعر نظم قصته بتكليف من السلطان محمود ويثبت أن الشاعر كان مدفوعاً إلى نظم قصته بدافع شخصي آخر لم يفرضه عليه أحد .

لقد رأى الفردوسى الذبوع والشهرة التي نالتها أبيات الدقيقى فرأى أن يسير هو أيضاً في الطريق المؤدية إلى المجد والشهرة . وقد تحقق له ما أراد . يضاف إلى هذا أن الفردوسى كان فارسياً متعصباً ، وقد رأى ما حل ببلاد ايران القديمة من تفكك وانقسام ، وكيف ضاعت وحدتها ، وأخذت الدول المختلفة التي قامت في تلك الرقعة الواسعة تتطاحن وتتنازع . وكان طبيعياً في هذه الرقعة التي تتنازعها دول من أصول مختلفة كالفرس والترك والديلم أن تعم الحروب جميع البلاد وأن ينصرف الناس ومن بينهم الفرس عن التغنى بأجداد أجدادهم وأن تضعف فيهم العناية بالنواحي القومية والوطنية خصوصاً بعد أن أصبحت الكلمة العليا للاتراك منذ أسس الغزنيون ملكهم . فأراد الفردوسى أن ينبه الفرس إلى ما غفلوا عنه ، وأن يوجب في قلوبهم نيران العصبية التي نحدث بفعل العوامل الكثيرة المختلفة كالدين الاسلامى ، واللغة

العربية ، وانتشار الحروب ، وكثرة المنازعات ، وأخيراً غلبة الأتراك على البلاد وكانت وسيلته إلى ذلك أن ينظم لهم تاريخهم الحافل فيردهم بذلك إلى ماضيهم الذي نسوه وتخلوا عنه .

وكان الفردوسى يتوقع لنفسه ما ينتظره من مجد فهو يصرح أن كتابه إذا تم سيكون حديث الناس فى كل مكان وأن أصحاب العقل والفضل والرأى والدين سيقدرّون له هذا الجهد فيترحمون عليه بعد موته ويحيون اسمه على ألسنتهم فيخلد بذلك ذكره ^(١) .

أما عطاء السلطان ، وتحصيل المال فلم يكن للشاعر إليهما حاجة وقت أن شرع فى النظم لأنه كان مستغنياً فى ذلك الوقت بما لديه من دخل خاص . ويظهر أن هذا الدخل كان متواضعاً إلى حد كبير كما رأينا فى الباب الأول من هذا البحث ولكنه على أى حال كان يكفيه ويغنيه ، وهو الفنان الأبى ، عن طلب المعونة من الناس . وهذا ما تفيدّه نصوص العروضى فى حديثه عن الفردوسى . وقد شجعه ما لقيه أول الأمر من عطف بعض الفضلاء أمثال أبى منصور بن محمد على التفرغ للنظم والانصراف عن الاهتمام بشئونه الخاصة مما بدد ذلك الدخل الذى كان يغنيه عن الناس . فلما توفى أبو منصور وانقطع عن الشاعر عونهُ لم يجد بداً من أن يسعى إلى السلطان لينال من عطائه ما يعينه على مواجهة أعباء الحياة .

صلة الشاعر بالسلطان :

سعى الشاعر إلى السلطان محمود بعد أن فقد أبا منصور لأنه كان فى حاجة

إلى معين . ومثل هذا العمل الأدبي الضخم الذى يقوم به الشاعر يتطلب مالا كثيرا وقد نصحه أبو منصور قبل موته أن يهدى كتابه إلى الملوك فهم أقدر على تقويمه ، وأسخرى فى المكافأة .

رحل الشاعر إذن إلى السلطان محمود بعد أن كان قد نظم من شاهنامه قدرًا . ورحلة الشاعر إلى السلطان ومعه هذا القدر المنظوم من الشاهنامه دليل آخر على بطلان ما زعمه الزاعمون من أن السلطان محمود هو الذى كلفه القيام بهذا العمل . ومن المستبعد بطبيعة الحال أن يهتم السلطان محمود ، وهو التركى ، بإحياء مجد الإيرانيين فضلا عما قد يتطلبه نشر تاريخ الإيرانيين من التعرض لديانتهم القديمة وإذاعتها بين الناس الأمر الذى لا يمكن أن يقره محمود وهو المعروف بتعصبه للدين الإسلامى . زد على هذا أن الشاهنامه تمجد الإيرانيين وتحقر التورانيين أجداد محمود وأن نشرها قد يثير نوازع الشر السكامة بين العنصرين الإيرانى والتورانى . فليس من مصلحة محمود إذن ، بعد كل ما قدمناه ، أن يدعو شاعرنا لينظم الشاهنامه .

ومما يؤيدنا أيضاً فى رأينا أن الشاهنامه ، فيما عدا المقدمة ، لا تمدح السلطان محموداً للمرة الأولى إلا بعد فترة طويلة فى أواخر قصة كيخسرو مما يحمل على الاعتقاد بأن هذا الموضع هو بداية ما نظمه الشاعر عند محمود . وقد وجد من واجبه أن يبدأ عمله معه بمدحه ، فمدحه بهذه الأبيات . ولكن ما بالنا نرى الشاعر يمدح السلطان فى نهاية مقدمته ؟ أغلب الظن أن هذه المقدمة قد كتبت بعد أن انتهى الشاعر من نظم الشاهنامه . ولذلك نراه يمدح السلطان محموداً بعد أن مدح أبا منصور محمد . وإلا لو كان كتبها قبل أن يشرع فى النظم لخص أبا منصور وحده بالمدح .

وفى أول مديح مدح الشاعر به السلطان نراه يصفه بشدة الكرم حتى
لنشكو كنوزه من فرط ما يهب منها للناس ، ويصفه بالشجاعة والقوة إذ ينتزع
الممالك من الملوك إذا تأخروا في دفع الخراج . ويمدح في نفس هذا النص
وزيره الفضل بن أحمد ويصفه بالحزم والجود والفصاحة . ويذكر أنه بدأ
صلته بالسلطان محمود وله من العمر ثمان وخمسون سنة . وجعل الكتاب باسمه
ليحقق له الآمال ويقضى الحاجات (١) .

ويعود مرة ثانية إلى مدح السلطان فيصفه بأنه جنة فيحاء اهتدى إليها بعد
عشرين عاما ، وأنه في عظمته وعلياه تسجد له النجوم والأقمار ، وأنه فرد بين
الملوك ليس له بينهم نظير ، وأنه في الحروب سيف باتر ، وفي الولائم ذهب
غامر (٢) . وفى هذين النصين ما يفيد أن الشاعر كان قد شرع في نظم الشاهنامه
قبل أن يتصل بالسلطان محمود بعشرين عاما . وفيها أيضا ما يؤيد رأينا الذي
رجحناه من أن الشاعر بدأ ينظم الشاهنامه وله من العمر ثمان وثلاثون سنة .
وقد سبق (٣) .

ويمدح الشاعر السلطان مرة أخرى في الفصل الخاص بمقتل رستم ، ويستدر
عطفه عليه بما يذكره من ضعفه ، وحلول الشيخوخة به . ويذكر في صراحة
أنه يقدم كتابه باسم محمود ويقضى الليل والنهار في التسبيح بحمده حتى ينال من
عطائه وتقديره ما يجعل له ذكرا باقيا بعد موته (٤) .

(١) الشاهنامه : ص ١٢٧٤ ج ٥

(٢) الشاهنامه : ص ١٥٥٥ ج ٦

(٣) راجع : ص ١٠١

(٤) الشاهنامه : ص ١٧٣٠ ج ٦

ويتكرر مدح الشاعر للسلطان بعد ذلك فنراه يمدحه في مقدمة الفصل الخاص بالاسكندر ^(١) ، وفي مقدمة حديثه عن ملوك الطوائف ^(٢) ، وفي مواضع أخرى بعد هذه .

ولكن هذا المدح الذى صاغه الشاعر فى السلطان ، وهذا العمل الأدبى الخالد الذى ألقى فيه عمره لم يلق من السلطان ما هو جدير به من المكافأة والاحسان نتيجة الوشاية كما يذكر فى بداية قصة خسرو وشيرين ^(٣) .

أما لماذا لم يحقق الشاعر آماله فى السلطان محمود ورجع من عنده يائساً خائباً فهذا ما ذكرناه فى الباب الأول من هذا البحث .

والطريف أن خيبة الشاعر لم تقتصر على آماله فى السلطان وحده إذ خابت آماله عند الجميع فقد نسخ أغلب الكبراء وأهل الفضل والعلم كتابه مجاناً دون أن يدفعوا له شيئاً ينتفع به . وكانت كل مكافأته عندهم أن قالوا له « أحسنت » وقد غاظ الشاعر منهم هذا الاستحسان الذى لا يغنى وأثر فيه أسوأ التأثير . ولكن هناك نفرأ قليلاً أشفق على الشاعر فلم يضع جهده سدى كما فعل الآخرون . ومن هذا نفر على الديلمى ، أبو نصر الوراق ، وحسين بن قتيب . وقد خصهم الفردوسى بشكره ^(٤) .

(١) الشاهنامه : ص ١٨٠٨ ج ٧

(٢) الشاهنامه : ص ١٩٢٠ ج ٧

(٣) الشاهنامه : ص ٢٨٦٩ ج ٩

(٤) الشاهنامه : ص ٣٠١٧ ج ٩

مصادر الفردوسى :

ونقصد بمصادر الفردوسى المصادر المباشرة التى لجأ إليها فى نظم الشاهنامه ولا شك أن الفردوسى كان ينظم شاهنامته من مصادر مكتوبة لديه فهو يذكر مثلاً أنه أرق ذات ليلة وعز عليه النوم فأيقظ غلامه وأمره أن يهيئ المجلس والشراب . وقد صدع الغلام بأمر سيده وأخذ يغنيه ويسقيه ويقرأ عليه من الكتاب الفهلوى ، والفردوسى يشرب ويطرب وينظم ما يسمع ^(١) . وإذا كان الشاعر قد وصف الكتاب بأنه فهلوى فلا ينبغى أن ينصرف الذهن إلى أنه كان مكتوباً بالفهلوية ساعة كان ينظمه الفردوسى ولعل الشاعر يقصد أصل الكتاب حين ألف بالفهلوية . فالكتاب مؤلف فى الأصل بالفهلوية فهو إذن فهلوى الأصل أو فهلوى كما يصفه الشاعر . ولا شك أيضاً أن هذا الكتاب الذى كان ينظم عنه الفردوسى هو الشاهنامه المنشورة التى ألفت بأمر أبى منصور محمد بن عبد الرزاق الطوسى والتى تحدثنا عنها فيما سبق . وقد ذكرنا أن الذين تولوا كتابة هذه الشاهنامه هم تاج بن خراسانى من هراة، يزدان داذ بن شابور من سيستان ، وماهوى خورشيد بن بهرام من نيشابور ، شادان بن برزین من طوس . وهؤلاء الأربعة مجوس ولم يكن يجيد قراءة الفهلوية غير المجوس ^(٢) . وهؤلاء المجوس هم الذين تولوا جمع المادة ونقلها من المصادر الفهلوية وترجمتها على الصورة التى وردت فى شاهنامه أبى منصور النثرية التى نظمها الفردوسى فيما بعد . والفردوسى يذكر أسماء هؤلاء العلماء المجوس فى

مواضع متفرقة من شاهنامه . فهو يذكر « ماخ » في بداية عهد هرمزد بن كسرى انوشروان ، ويصفه بالعلم بأخبار الملوك المتقدمين ويدعى أنه اتصل به وسأله عما يعرف من أحوال هرمزد حين ارتقى العرش فأجابه ماخ إلى ما طلب ^(١) . وفي مفتتح قصة احضار كليله ودمنه من بلاد الهند يصرح باسم « شادان برزين » ^(٢) . وفي بداية قصة گو وطلحند واختراع الشطرنج يشير إلى مصدر الرواية في هذه القصة وهو « شاهوى پير » ^(٣) . ويرجح نولدكه أن شاهوى پير الذى أخذ عنه الفردوسى رواية احضار الشطرنج هو « ماهوى » . ومن السهل التصحيف بين شاهوى وماهوى . وهذه الشاهنامه المنثورة التى ينقل عنها الفردوسى اعتمدت هى الأخرى فى مادتها على خدائنامة .

ومن الرواة الذين يرد ذكرهم فى شاهنامه الفردوسى « آزاد سرو » . ^(٤) وكان من ملازمى احمد بن سهل أحد عظماء العهد السامانى الذى اشتهر أمره فى عهد نصر بن أحمد السامانى (٣٠١ - ٣٣١ هـ) إذ عينه واليا على نيسابور لكنه عصى وانتهى أمره إلى الأسر ومات فى بخارى سنة ٣٠٧ هـ . ويذكر الفردوسى عن سرو أنه كان متقدما فى السن ينتهى نسبه إلى سام بن نيرم ولذا كان يحفظ أخبار آبائه واسلافه من الايرانيين .

ويتوهم القارىء لكلام الفردوسى أنه استمع رأسا لهؤلاء الرواة وأخذ

(١) الشاهنامه : ص ٢٥٦٧ ج ٨

(٢) الشاهنامه : ص ٢٤٩٩ ج ٨

(٣) الشاهنامه : ص ٢٤٧١ ج ٨

(٤) الشاهنامه : ص ١٧٢٩ ج ٦

عنهم مادته مباشرة . ولكن الواضح أنه لم ينقل عنهم بطريق مباشر ، إنما كان ينقل من مصادر مكتوبة لا سماعية .

ويشير الفردوسى إلى الشاهنامه المنصورية بأسماء مختلفة فى مواضع كثيرة فيسميها نامه خسروى ، نامه خسروان ، نامه پهلوى ، نامه شيريار ، نامه باستان وأحيانا يكتفى بكلمة نامه .

ومن المصادر التى يبدو أثرها واضحاً فى الشاهنامه « كارنامك أردشير » . وقد استفاد الفردوسى من هذه القصة التى امتزج فيها التاريخ بالأسطورة . ويرى نولدكه أن الفردوسى قد رفع من هذه القصة أجزاء وأسقط ما تحدثت به عن الديانة الفارسية القديمة لعدم ملاءمته للمسلمين كما اختصر فى بعض الحوادث وأضاف إلى بعضها ^(١) . ومن أمثلة التشابه القوى التى يوردها نولدكه دليلاً على استفادة الفردوسى من هذا الكتاب قصة الملك فيروز الذى قتل بالقرب من دهستان فى إحدى وقائعه ضد هياطلة الشمال دون أن يعثر له على أثر فتعرضت مملكته بذلك لإغارة العدو المتوحش ، ولكن بطلاً من سلالة أسرة قارن فى ذلك الوقت رد لآيران شرفها وأجلى العدو عن البلاد وارغمه على طلب الصلح . ونفس هذا الدور مثله بطل آخر فى الأزمنة القديمة حين أسر الملك نوزر فى حربه مع أعدائه الشماليين بالقرب من دهستان حيث قتل ما مكن الأعداء من السيطرة على إيران . وهذه المشابهة القوية بين القصتين لا يحتمل أن ترجع إلى المصادفة وحدها ^(٢) .

(١) نولدكه : ص ١١

(٢) نولدكه : ص ١٦

دراسات الشاهنامه و ترجمانها :

من أحسن الاحصائيات التي وضعت عن الدراسات والترجمات الخاصة بالشاهنامه ما ورد في كتاب نولدكه « الحماسة الإيرانية » وقد استفاد منها كثير من وضعوا احصائيات عن هذا الموضوع أمثال نفيسي وخانم سياح في مجلة مهر وذبيح الله صفا في كتابه حماسه سراني در ایران . ومن مجموع ما كتبه هؤلاء نستفيد في هذا الجزء من البحث .

ونولدكه يذكر أن الشاهنامه قد نسلخت نسخاً كثيرة ولكن ليس من بين هذه النسخ الكثيرة التي بأيدينا ما هو قديم يرجع إلى عهد المؤلف أو يقرب منه مما يشكك في أصالة النسخ الموجودة ومطابقتها للأصل الذي كتبه الشاعر . ويبدو أن النساخ قد أباحوا لأنفسهم حرية واسعة في النسخ مست النص الأصلي مما أدى إلى هذا التفاوت بين النسخ الموجودة . ومع أن الفردوسي يذكر أن عدد أبيات قصته ستون ألف بيت إلا أننا نجد مخطوطة واحدة أوفت على هذا القدر إذ بلغ عدد أبياتها ٦١٢٦٦ وهذه المخطوطة هي الموجودة بالمتحف البريطاني Brit. Mus. Add. 27, 258 . كما أن هناك مخطوطتين أخريين بلغ عدد أبيات كل منهما حوالي ٦٠٠٠ . أما معظم المخطوطات الأخرى فينقص عدد أبياتها عن هذا القدر ويتراوح عدد الأبيات فيها بين ٤٨٠٠٠ ، ٥٢٠٠٠ . ويرتفع بعضها إلى ٥٥٠٠٠ وهناك مخطوطة ينخفض فيها عدد الأبيات إلى ٣٩٨٥١ ^(١) . ويلاحظ نولدكه أن النسخة التي بلغ عدد أبياتها ٦١٢٦٦ فيها ٣٧٠٠ بيت من « برزو نمه » الحقت بالشاهنامه وليست من عمل

الفردوسى . وكذلك الحال فى النسخ الأخرى كنسخة ستراسبورج التى يرتفع عدد الآيات فيها ارتفاعا كبيرا . ومثل هذه الزيادة فى عدد الآيات ترجح أن الشاهنامه قد أضيفت إليها إضافات أخرى فى عصور متأخرة مثل نسخة Vullers - Landauer, Macan, Lumsden وإذا كانت هناك زيادات قد زيدت على النص الأصلى فهناك أيضاً بعض القطع أو المقالات قد حذفها النساخ . ويذهب نولدكه إلى أبعد من هذا فيختار قصصا بعينها ويقارن بينها فى النسخ المختلفة ليظهر مدى الاختلاف بين النسخ فى القصة الواحدة . فهناك قصه ييژن . ومنيرة بلغ عدد أبياتها فى طبعة Vullers ١٣٣٥ ، وفى Mohl ١٣٨٧ ، وفى Macan ١٣٩٢ ، وفى مخطوطة ليدن ١٥٠٣ ، وفى مخطوطة ستراسبورج ١٥٦١ . وقصة رستم والعفريت الأبيض بلغ عدد أبياتها فى مول وثورلز ٩٦ ، وفى ماكان ١١٨ ، وفى سان بترسبورج ٧٥ ، وفى ليدن وستراسبورج ٧٩ .^(١)

وفى رأى نولدكه أن النساخ قد حرفوا النسخ عن طريق تبديل بعض الألفاظ والتعبيرات القديمة واحلال غيرها من المفردات والتعبيرات المألوفة كما أنهم كانوا يبدلون ما لا يفهمونه أو ما كان غامضا عليهم .^(٢) هذا كله بالإضافة إلى الحذف أو الزيادة . وينقل نولدكه عن Lumsden أنه من بين الأسباب التى أدت إلى هذه الاختلافات فى النسخ أن كثيرا منها كان ينقل أجزاء من النص قبل أن يتم النص كله أو من نص قد كمل ولكن لم يفرغ الشاعر من مراجعته . والفردوسى نفسه فى الجزء الختامى من أشعاره يصرح بأن عمله

(١) نولدكه : ص ١١١

(٢) نفس المصدر : ص ١٢٢

قد نسخ قبل أن يتم . ومن كثير من اشاراته يستدل على أن الشاعر كان يراجع أشعاره لمدة طويلة .^(١)

وفما يتصل بالترجمات والدراسات تعتبر ترجمة البندارى العربية أول الترجمات للشاهنامه . وهى ترجمة ملخصة نثرية كتبها البندارى الأصفهاني بين سنتي ٦١٥ ، ٦٢٣ هـ (١٢١٨ - ١٢٢٧ م) .

وقد ترجمت إلى التركية على يد على افندى سنة ٩١٦ هـ . وهذه الترجمة شعرية كاملة . وهناك ترجمة تركية أخرى وليكنها نثرية قام بها مهدي أحد رجال البلاط في عهد السلطان عثمان ثاني سلاطين العثمانيين في سنة ١٠٣٠ هـ . وفي سنة ١٠٦٢ هـ قام توكل بك بتلخيص الشاهنامه وترجمها إلى النثر الفارسي باسم « منتخب التواريخ » وهو أوجز بكثير من ترجمة البندارى^(٢) .

ولم يظهر في الشرق دراسات وتعليقات كثيرة على الشاهنامه . وهناك « لغت شاهنامه » كتبه عبد القادر البغدادي بالتركية في القرن السابع عشر الميلادي ونشره Salemano في بترسبورج سنة ١٨٩٥ .^(٣)

أما المستشرقون فقد كان أول من لفت الأنظار منهم إلى الشاهنامه السيروليم جونس W. Jones في كتابه المسمى شرح آداب آسيا . وترجم فيه قطعاً من الشاهنامه في سنة ١٧٧٤ م .

وجاء بعده المستشرق الانجليزي Lumsden وكان حجة في اللغة الفارسية

(١) نفس المصدر : ص ١٢٤

(٢) حماسة سرأى : ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٣) نولدكه : ص ١٢٨

فحاول أن ينشر النص كله ولكنه لم يوفق إلى أكثر من الجزء الأول الذى يحتوى على مقدمة باللغة الانجليزية وملحق . وكان ترنر ما كان Turner Macan أسعد حظا وأكثر توفيقا فى عمله إذ أفاد من مجهودات سابقيه . وتحتوى طبعته على ملحق فارسى أيضا للقطع الجاسية التى ألفت على نسق الشاهنامه ، ومقدمة فارسية تحوى مقدمة پايسنقر ، ومقدمة انجليزية ثم مجموعة بالاصطلاحات الصعبة .

ومن الطبقات الأخرى التى ظهرت للشاهنامه طبعة آموزنده شيرمرد Amuzanda Shirmard فى بومباى سنة ١٩١٤ ، وطبعة مول J. Mohl وقد ارفق النص الفارسى بترجمة فرنسية . ولمقدمات مول اهميتها وخاصة مقدمته فى الجزء الأول .

وهناك طبعة Vullers وقد استفاد من نسختي ما كان ومول Macan & Mohl وقد اتبع على العموم نسخة مول وحاول أن يصحح أخطاءها فى مواضع كثيرة . وبعد موته أكمل الطبعة Landauer .

فاذا تركنا جهود المستشرقين فى ميدان الطبع والنشر إلى ميدان الترجمة رأينا James Atkinson قد ترجم إلى الانجليزية فى سنة ١٨١٤ قصة رستم وسهراب وهى ترجمة سهلة . كما أنه ترجم الشاهنامه كلها ترجمة مختصرة نثرية وإن لم تخل من بعض الأشعار . وهى فى الحقيقة ترجمة للشاهنامه المختصرة التى كتبها توكل بك وكانت رائجة فى الشرق .

وبعد Atkinson شارك فى ميدان الترجمة Stephan Weston سنة ١٨١٥ . وهناك ملخص بالألمانية لمحتويات الشاهنامه حتى عهد رستم فى شكل قصة

نثرية بقلم J. Gœrres

وفي سنة ١٨٣٧م قام F. Ruckert بترجمة قصة رستم وسهراب ترجمة شعرية. وكان روكرت أحد الذين تزعموا فن الترجمة إلى الألمانية، كما كان واحدا من علماء اللغة الفارسية الذين استطاعوا امتلاك ناصيتها.

وفي سنة ١٨٣٨ ظهرت ترجمة J. Mohl وهذه الترجمة في سبعة مجلدات من الحجم الكبير. وقد كتب مول في بداية كل مجلد من هذه المجلدات مقدمة. وفي المجلد الأخير الفهارس المختلفة. وقد ظهر لترجمة مول طبعات مصورة ومزينة. وفي سنة ١٨٣٩، ١٨٤٠ ظهرت ترجمات Halisten إلى اللاتينية، Von Estarkenfels إلى الألمانية.

وفي سنة ١٨٥١ ظهرت ترجمة Schack وصدرت بحديث مفصل عن الفردوسي. وهي من أحسن الترجمات.

وفي سنة ١٨٨٨ ظهرت الترجمة الإيطالية الشعرية الكاملة للعالم الإيطالي Italo Pizzi الذي قام إلى جانب هذه الترجمة بكتابة بعض المقالات عن الشاهنامه.

وظهرت بعد ذلك ترجمة Joukovsky الروسية لقصة رستم وسهراب. ثم ترجمة Krymsky الذي نظم بالروسية من أول الشاهنامه حتى عهد منوچهر. وترجمة Sokoloff بالروسية أيضا في سنة ١٩٠٥م وهي ترجمة نثرية من أول الشاهنامه حتى نهاية عهد أفريدون. وفي نفس سنة ١٩٠٥ ظهرت ترجمة W. Buxton و Arthur G. Warner & Edmond Warner وتلاها في سنة ١٩٠٧ ترجمة W. Buxton إلى الإنجليزية. وفي نفس هذه السنة ظهرت ترجمتان أخريان بالإنجليزية هما ترجمة William Stigand و Alexander Rogers، وفي سنة ١٩١٢ ظهرت بالإنجليزية ترجمة Wallace Gandy وفي سنة ١٩١٩ ظهرت ترجمة Essigmann الألمانية. ثم

جاءت بعد ذلك ترجمات George L. Leszczinski بالألمانية في سنة ١٩٢٠ ،
ترجمة Werner Yansen في سنة ١٩٢٢ بالألمانية ، ترجمة Christensen سنة ١٩٣١
بالدانيهاركية ، ترجمة Axel Eric Hermelin بالسويدية في نفس السنة ، ترجمة
Joseph Orbely بالروسية في سنة ١٩٣٤ .

هذا بعض جهود المستشرقين في ميدان الترجمة . أما مجهوداتهم المتصلة
بالدراسات فهناك ما كتبه J. Von Hammer بالألمانية في كتابه عن تاريخ الأدب
الإيراني المطبوع في سنة ١٨١٨ م .

وفي كتاب Baumgarten الألماني الذي كتبه عن التاريخ العام للأدب
العالمية فصل مفصل عن الفردوسي والشاهنامه .

وهناك دراسات هرمان اتيه Herman Ethé في كتابه عن تاريخ الأدب
الفارسي الحديث Neu Persische Literatur وحديثه عن الفردوسي الشاعر
الغنائي • Firdausi Als Lyriker

ثم دراسات تيودور نولدكه وهي من أهم الدراسات التي اعتمدنا عليها في
هذا البحث . وقد نشرت أولاً في كتاب فقه اللغة الايرانية ثم نشرت منفصلة
بعد ذلك في سنة ١٩٢٠ في برلين .

وبراون تكلم في هذا الموضوع في كتابه تاريخ الفرس الأدبي .
ومن الدراسات المهمة في اللغة الفرنسية دراسات مول في مقدماته لأجزاء
ترجمته . وقد اطلع فيما كتبه على أغلب المصادر التي تحدثت عن الشاعر .

وهناك كتاب Darmesteter الذي طبع في سنة ١٨٨١ وتحديث فيه المؤلف
عن نشأة الشعر الفارسي وأثنى فيه على الفردوسي ثناء جماً . وقد أصدر هنري

ماسيه كتابا عن الفردوسى والحماسة القومية Firdousi et l'épopée Nationale

وقد ظهر عن الفردوسى بالروسية كتاب Nazariants ثم كتاب Zinoveff الذى يدرس أساطير الايرانيين . وقد رجع هذا المستشرق إلى مؤلفات قديمة وانتهى إلى أن الأساطير الهندية أثرت فى كتاب الأقيستا . وهناك كتاب Krimisky عن تاريخ إيران وأديباتها . وقد طبع فى موسكو ١٩١٣ .

وقد كان لانتشار الترجمات الخاصة بالشاهنامة فى أوروبا أثر كبير إذ لفت أنظار كثير من شعراء القرن التاسع عشر إلى ما فيها من مادة خصبة لنظم الاشعار وخاصة قصة رستم وسهراب . وقد اشتغل كثير من شعراء أوروبا بنظم هذه القصة فى لغاتهم المختلفة مثل ماتيو آرنولد المولود فى ١٨٢٢ والمتوفى فى ١٨٨٨ وواسيلي اندريقتش ژوكوفسكى Vassili Andrievitch Joukovsky المولود فى ١٧٨٣ والمتوفى فى ١٨٥٢ وهو من مشاهير شعراء الروس . وهناك من شعراء أوروبا من تأثر بالفردوسى أمثال جيته Goethe فى كتابه المعروف باسم ديوان الشرق والغرب . وفكتور هوغو فى كتابه "Orientales" . ولشاعر الالمان Henri Heine منظومة فى قصة الفردوسى مع السلطان محمود الغزنى حين وصلته الجائزة من محمود بينما كانت جنازته تخرج من باب المدينة .

١ — المنظومات التي قلدت الشاهنامة^(١)

كان للشاهنامة أثر كبير في الأدب الفارسي وقد حاول الكثيرون أن ينظموا على نسقها . وفيما يلي موجز لأهم المنظومات الحماسية القومية التي قلدت الشاهنامة

كرشاسپ نامه :

نظمها أبو نصر علي بن أحمد أسدي طوسي . وقد انتهى من نظمها سنة ٥٨٤ هـ . وأسدي من شعراء الفرس الكبار . وتعتبر منظومته كرشاسپ نامه من أعظم الأعمال الأدبية التي جاءت على نسق الشاهنامة . وليست منظومة أسدي قاصرة على نظم تاريخ الفرس وسرد أقاصيلهم فحسب لأنها تتضمن إلى جانب ذلك كثيرا من الفوائد والالتفاتات والآراء الخاصة بالشاعر في المسائل الخلقية والاجتماعية . ويقدر ما ورد من أبيات هذه المنظومة في الحكمة والموعظة وشئون الحياة بثلاثها كما أن الشاعر يعرض في ثنايا كلامه كثيرا من الآراء الفلسفية والمذهبية والموضوعات التاريخية . وفي كثير من المواضع يترجم في كتابه بعض عبارات القرآن المجيد والأحاديث بعبارات جامعة موجزة كما يعرض بشيء من التفصيل العقائد المختلفة للفلاسفة القدماء من اليونان فيما يتعلق بمبدأ الكون وأصل الخليقة . ولما كان بطل المنظومة قد صال وجال في شرق العالم المعروف وقتذاك وغربه فقد دعا هذا إلى أن يتحدث الشاعر عن كثير من الممالك والبلاد والجزائر ويعدد ما فيها من العجائب .

وكرشاسپ نامه كما هو واضح من اسمها تتعلق بقصة كرشاسپ بطل

(١) أهم مصادر هذا الموضوع مقدمة مول علي ترجمته الفرنسية ، حماسه سراني .

سیستان وجد رستم الأكبر ، وینتهی نسب گرشاسپ فی بندھشن إلى أفريدون
وفی گرشاسپ نامه إلى جمشید .

ولا یبعد أن یكون أسدی الطوسی قد استفاد فی منظومته من شاهنامه أبي
المؤید البلخی إلى جانب المؤلفات والمصادر البهلوية .

ولیست لدينا عن حياة صاحب هذه المنظومة ، أسدی الطوسی ، تفصیلات
محقة وأسدى هذا هو أسدی الصغیر إذ ینبغی أن نفرق بین أسدی الكبير
وهو الأب والصغیر وهو الابن . فالأصغر هذا هو صاحب گرشاسپ نامه .
أما أبوه أسدی الكبير فكان یقال إنه من أساتذة الفردوسی ، وكان صاحب
المناظرات المعروفة باسمه ، وقد توفي فی عهد السلطان مسعود . وقد اتفق كتاب
التذاکر علی أن مولد صاحب المنظومة وموطنه كان فی طوس وأنه فی حوالی
منتصف القرن الخامس ذهب إلى نخبوان واتصل بحاكمها أبي دلف . وقد دفعه
إلى ذلك الفتنة فی خراسان وانتقال الملك من الغزنیین إلى السلاجقة مما أدى
إلى كساد سوق الشعر ، الأدب فی خراسان . ولم یعد هناك من یقوم الشعر
ویقدره حق قدره سوى أبي دلف . وقد عاش الشاعر فی بلاط أبي دلف مكرما
معززا . وقد دفعه ما لقيه من انعام الملك إلى نظم هذه القصة . وقد فرغ من
منظومته سنة ۴۵۸ هـ بعد أن تقدمت به السن . وتحمل أشعاره التي وردت فی
آخر گرشاسپ نامه هذا المعنی ^(۱)

ولأسدی هذا ، غیر المنظومة ، كتابه المعروف لغت فرس .

وقد صدر أسدى منظومته بعدد من المقدمات، الأولى فى مدح الله ، والثانية فى نعت النبي ، والثالثة فى مدح الدين ، والرابعة فى ذم الدنيا ، والخامسة فى وصف السماء ، والسادسة فى الحديث عن العناصر الأربعة ، والسابعة فى شكر الناس ، والثامنة فى صفة الروح والبدن ، والتاسعة فى سبب نظم القصة ، والعاشر فى مدح الشاه أبى دلف ، والحادية عشرة فى بيان رجولة گرشاسپ . ثم تبدأ القصة بعد ذلك^(١)

ويتراوح عدد أبيات المنظومة تبعاً لاختلاف النسخ بين سبعة آلاف ، وأحد عشر ألف بيت .

بمعنى نامه :

وهو من المصادر التى استفاد منها صاحب مجمل التواريخ ويسميه فى مقدمة الكتاب أخبار بهمن^(٢) ويعود إلى ذكره مرة ثانية ويسميه بهمن نامه . وينسب تأليفه إلى الحكيم إیرانشاه بن أبى الخير^(٣) .

وهذا الكتاب ، ولو أنه معنون باسم بهمن بن اسفنديار ، إلا أن القسم الأكبر منه حديث عن سلسلة أبطال سيستان من أسرة رستم . وهذا الكتاب من مؤلفات أواخر القرن الخامس أو أوائل السادس وهو كغيره من المنظومات التى قلدت الشاهنامه منظوم فى البحر المتقارب المثنى . ويشمل أربعة أقسام على هذا الترتيب : -

(١) گرشاسپ نامه : ص ٢١ .

(٢) مجمل التواريخ : ص ٢ . نشر بهار .

(٣) مجمل التواريخ : ص ٩٢ .

القسم الأول : عن جلوس بهمن على تخت السلطنة . وفي نهاية هذا القسم قصة موت رستم .

القسم الثاني : عن حرب بهمن مع أبطال سيستان

القسم الثالث : عن تعقب بهمن بنات رستم في سيستان وأسرهن ، ثم ما كان من ندمه على هذا العمل وإعادته الأسيرات إلى موطنهن .

القسم الرابع : عن آذر برزين بن فرامرز . وكان بطل العالم في عهد بهمن .

وفي بهمن نامه ميل إلى التحسينات الأدبية وبه مقدمة يقد فيها الفردوسي ويذكر أنه اعتمد على المصادر الشفهية . والمؤلف لا ينقل عن كتاب الملوك ولا يمكن الشك في أنه اعتمد على روايات قديمة إذ أن الكتاب يدور في دائرة الشعر الحماسي القديم إلى حد بعيد . وقد كشف المؤلف في منظومته عن جهل كبير . وفي الجزء الرابع يبين عجزه التام عن أي نوع من النقد وملاحظة العيوب الظاهرة في الخرافات الشعبية التي ذكرها . وفي هذا الجزء يخلط بين طيسفون وبغداد كما يخلط هاتين المدينتين ببابل أو بأى مدينة أخرى من مدن ما بين النهرين .

ويصل عدد أبيات بهمن نامه إلى عشرة آلاف .

فرامرز نامه :

وفرامرز هذا هو ابن رستم وقد ذكرنا فيما سبق كيف لقي رستم مصرعه بيد أخيه شغاد بالتواطؤ مع ملك كابل . أما شغاد فقد لقي مصرعه جزاء فعلته ذلك أن رستم لما شعر بدنو الأجل ، وانقضاء العمر عز عليه أن يفارق الحياة

قبل أن ينتقم من قاتله شغاد فدعاه إليه ورجاه أن يحضر له قوسه مع نشابتين
ليدفع بهما عن نفسه السباع والكلاب إلى أن تخرج روحه فانخدع شغاد وقدم
لأخيه القوس والنشابتين ووضعهما بين يديه . فمدرستم يده إلى القوس وأحس
شغاد منه الشر فاحتمى خلف شجرة . وألقى رستم إحدى النشابتين فاخترقت
الشجرة ونفذت إلى شغاد فقتل من فوره . وهكذا مات رستم بعد أن انتقم لنفسه .
أما ملك كابل فقد توجه للانتقام منه فرامرز بن رستم الذي استطاع أن
يسحق جيشه وأن يأسره مع عدد كبير من أهله . ثم أخذه إلى تلك الحفيرة
التي تردى فيها رستم فسلخ جلده وعلقه على حاقها ، وأحرق أهله جميعا . وعاد
إلى مدينة كابل فخرّبها وأباد سكانها .

وقد أشار إلى هذه المنظومة صاحب مجمل التواريخ^(١) ، كما أن صاحب
تاريخ سيستان يشير إلى قصة فرامرز المنشورة التي كانت معروفة في القرن
الخامس^(٢) مما يرجح أن القصة المنظومة قد اعتمدت على سابقتها المنشورة . ولم
تصل إلينا المنظومة الاصلية كاملة وقد أورد مول منتخبات منها في ألف
وخمسمائة بيت .

كوشى نام :

ذكر هذه القصة صاحب مجمل التواريخ باسم قصه "كوش پيل دندان"^(٣) ،
مما يدل على أنها ألفت قبل سنة ٥٢٠ هـ وهى السنة التي ألف فيها مجمل التواريخ .

-
- (١) مجمل التواريخ : ص ٢ .
(٢) تاريخ سيستان : ص ٧ .
(٣) مجمل التواريخ : ص ٢ .

ومؤلف كوش نامه إيرانشاه بن أبي الخير . وقد كتب هذا الكتاب في بداية عهد السلطان محمد بن ملكشاه يعنى في سنة ٥٠٠ هـ أو سنة ٥٠١ .

وكوش پيل دندان هو ابن كنعان بن كوش أو ابن كوش ابن اخى الضحاك الذى يذكر فى بضع مواضع قبل افريدون . ولما فرغ افريدون من أمر الضحاك أرسل إلى الصين قارن بن گاوہ فأسر كوش وأتى به إلى افريدون الذى سجنه ثم أطلق سراحه بعد فترة وولاه على الجنوب والمغرب ولكنه عاد إلى العصيان .

وقد نقل موضوعات هذه المنظومة الكونت دى جوبينو de Gobineau فى الجزء الأول من كتابه عن تاريخ الفرس .^(١)

بانو كسب نامه :

لرستم غير فرامرز ابنتان إحداهما بانو گشسپ هذه والأخرى اسمها زربانو وكانت فى غاية الشجاعة^(٢) واشتركتا فى الحرب ضد بهمن حين أغار على سيستان وحارب أبطالها بعد موت رستم ولكنها وقعتا فى الأسر ثم أطلق بهمن سراحهما بعد ذلك .^(٣)

وتروى الأقاصيص أن كثيرا من الملوك والأمراء قد تقدموا لخطبة بانو گشسپ ولكن رستم اختار لها من بين المتقدمين گيو بن گودرز وأثمر هذا الزواج بیژن .

(١) Histoire des Perses. Paris. 1869 P. 139-144

(٢) مجمل التواريخ : ص ٢٥

(٣) نفس المصدر : ص ٥٤

ويستفاد من مقدمة مول في الجزء الأول من الشاهنامه ان شجاعة بانو
 كخشپ بلغت، إلى حد أنها كانت تقاتل الأسود وتبارز الرجال فتشطرهم بضربة
 واحدة من سيفها شطرين . ومنظومة بانو كخشپ منظومة صغيرة بلا مقدمة
 وتسكون من تسعمائة بيت في البحر المتقارب . وناظم هذه القصة مسلم لأنه يصلح
 على النبي في بداية الحكاية الرابعة وفي نهاية الكتاب . وهذه المنظومة من آثار
 القرن الخامس الهجري وتتحدث عن أربع وقائع منفصلة ليس بين بعضها كبير
 ارتباط . وفي برز ونامه وبهمن نامه روايات عديدة عن بانو كخشپ ليس منها
 أثر في هذه المنظومة مما يمكن معه القول بأن هذه المنظومة منتخبة من أخرى
 أكبر .

برزو نامه :

وبرزو هو ابن سهراب وتشبه قصة برزو إلى حد كبير قصة أبيه سهراب
 فقد أحب برزو في بلاد شنگان ابنته شهرو واتصل بها فحملت منه ولما حان
 وقت رحيل سهراب أعطاها خاتمه ليكون علامة منه . وعندما ولدت الطفل
 سمته برزو وظلت تخفى عنه أمر أبيه مخافة أن يندفع في طلب الثأر فيكون
 مصيره مصير أبيه ، إلى أن كان يوم وصل فيه افراسياب إلى بلاد شنگان هاربا
 من رستم . وهناك التقى ببرزو ونشأت بينهما صلة فقربه إليه ووجهه لحرب
 الايرانيين فوقع أسيرا في أيديهم . وفي ذلك الوقت الذي قضاه في أسر
 الايرانيين عرف نسبه فانضم اليهم وأصبح واحداً من أبطالهم .

وبرزو نامه مجموعة الروايات المتصلة بأسرة رستم التي لم يعن بها الفردوسي
 وهي في نفس الوقت تحوى قصة برزو التي وضعت في شرح بطولته ورجولته

ومن مطالعة هذه القصة يشعر القارئ أن مراد الناظم أن يجعلها ذيلًا للشاهنامة.

وتاريخ نظم برزو نامه مشكل . ولم يذكرها بحمل التواريخ وليس لدينا علم بنظمها وينسب Anquetil du Perron هذه المنظومة إلى شاعر اسمه عطاي ولكنه لا يذكر المصدر الذي بنى عليه هذا الرأي . ولو صح أن عطاي هذا هو ناظم المنظومة لما ارتفع الإشكال لأننا لا نعرف شيئًا عنه .

ويظهر أن برزو نامه من آثار القرن الخامس أو بداية السادس . وهي على كل حال تقليد لقصة رستم وسهراب وخاصة في بدايتها .

شهریار نامه :

وشهریار هو ابن برزو بن سهراب بن رستم . وناظم هذه القصة سراج الدين عثمان بن محمد الغزنى المعروف بالمختارى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ / ١١٥٠ م أو سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م . وله ديوان مدح فيه أربعة من ملوك عصره .^(١) ويذكر المختارى في نهاية منظومته أن نظمها كان بإشارة من مسعود بن ابراهيم الغزنى .^(٢) وقد قضى الشاعر ثلاث سنوات في هذه القصة حتى فرغ من نظمها . وهي مأخوذة من قصة نثرية مشهورة .

وشهریار نامه ثلاثة أقسام :-

القسم الأول : وهو أكثر هذه الأقسام تفصيلاً فيه حديث عن حربين مشهورتين لفرامرز بن رستم . أولاهما مع جنى اسود ، وثانيتهما مع قائد جيش الهند واسمه شهریار . وكان شهریار هذا ابن أخى

(١) حواشى چهارمقاله لاقزوينى الملحقه بالترجمة العربية ص ١٢٤

(٢) ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م - ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م

فرامرز. ولم يكن أحدهما يعرف صلته بالآخر في بداية القصة .

القسم الثانى : يتصل بزال فى ذهابه إلى بلاط سليمان وحربه مع الجنى المسمى اهرمين .

القسم الثالث : يتعلق بنهاية قصة داستان .

آذر برزین نامه :

هو آذر برزین بن فرامرز من ابنة صور ملك كشمير . وكان يساعد أباه فى حربه مع بهمن . ودارت بينه وبين بهمن حروب شديدة انتهت بالصلح بينهما . وكان آذر برزین بطل العالم على عهد بهمن .

جها نگیر نامه :

وجها نگیر ابن آخر من أبناء رستم . وكان يجمل صلته برستم كما كان سهراب يجمل بنوته لرستم . فالقصة من هذه الناحية تشبه قصة سهراب ورستم ففى كلا القصتين تبدأ الحرب بين البطلين جها نگیر ورستم ، وسهراب ورستم دون أن يعرف أحدهما الآخر وتنتهى قصة رستم وسهراب بمأساة على نحو ما ذكرناه إلا أن قصة جها نگیر ورستم تختلف فى نهايتها إذ يعرف كل بطل صلته بالآخر .

ومن هذه القصة نسخة فى المكتبة الأهلية بباريس عدد أبياتها حسب احصاء مول ٦٣٠٠ وقد طبعت من هذه النسخة طبعة أخرى سنة ١٨٩٢ م فى بمباى .

وناظم هذه القصة شاعر اسمه قاسم وتخلصه مادح . وليست هناك أى معلومات أخرى عن الشاعر للافادة عن عصره أو معاصريه من الملوك .

ولكن الشاعر يشير في البيت الأخير من المنظومة إلى أنه نظمها في هراة .

ويرى مول أن نظم هذه القصة كان في القرن الخامس الهجري لأن عناصر القصة وعرض موضوعاتها يشبه ما هو موجود في الحماسات الأصلية الإيرانية فضلا عن أن أسلوب الكلام ليس مما عرف عن القرون التي تأخرت عن القرن الخامس . ويرى مول أيضا أن هذه المنظومة تخلو من الأثر والنفوذ الاسلامي .

وبعد أن ينقل صفا خلاصة رأى مول يخالفه فيه مستندا إلى أن الناظم يستعمل كلمة راوى كثيرا بينما كانت الحماسات السابقة في القرن الرابع والخامس تذكر كلمة الدهاقين والموابذة باعتبارهم مصادر الروايات وهذا من التأثير الإسلامي وقد وجد في اللغة الفارسية المتأخرة . كما أن الأثر الإسلامي واضح في هذه القصة إذ نجد فيها العناية بمبدأ التوحيد . وهذا بلا شك من الأثر الاسلامي . وكذلك تحارب جهانگیر نامة فكرة السحر والسحرة ، وفيها اصطلاح جديد هو الاسم الأعظم وكان هذا الاسم الأعظم مبطلا للسحر ، ولهذا كان جهانگیر يلجأ إليه في ابطال خاصية السحر . وبالإضافة إلى ذلك يلاحظ أن جهانگیر نامة تصف التورانيين بأنهم الجنس الأصفر الضيق العينين السفاك للدماء الطويل الأنف الكريه المنظر المتوحش . وقد جاءت هذه الأوصاف لأول مرة في جهانگیر نامة مما يدل على كراهية الناظم لهذا الجنس . وربما رجعت هذه الكراهية إلى ما كان يقوم به الأتراك من الهجمات والإغارات الشديدة في القرن السادس وما بعده . ومن الجائز أن تكون تلك الإغارات هي الإغارات التي قام بها الغز في القرن السادس ٥٤٨ هـ أو المغول في القرن السابع ٦١٦ هـ وأبدوا فيه من آيات التوحش والقسوة ما جعل الناس ينفرون

منهم . وينتهى صفا بعد كل ما تقدم إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب من مؤلفات القرن السادس أو السابع .

سام نام :

وهذه منظومة ترجع إلى أواخر القرن السابع وأوائل الثامن . وتدور حوادثها الأساسية حول سفر سام إلى بلاد الصين وعشقه لابنة ملك الصين فغفور المسماة پريدخت ، وما كان من علم الاب بما يجرى حوله خفية وأسرره لسام ، ثم خلاصه على يد ابنة أحد حراس القلعة التي أسر فيها ، ثم ما كان بعد ذلك من خطف سام معشوقته وحربه مع فغفور إلى أن انتهى الأمر بينهما صلحا .

ويغلب أن يكون ناظم هذه القصة هو خواجو الكرماني الشاعر المعروف في القرن السابع والثامن . ولا يعرف متى بدأ الشاعر النظم ولا متى انتهى منه .

* * *

وهناك إلى جانب هذه المنظومات الأدبية القومية التي تدور حوادثها في الغالب حول البطولة والابطال وما يتصل بذلك من أساطير وقصص منظومات أخرى تتخذ من الحوادث التاريخية مادة لها . ولذلك كانت منظومات تاريخية . ومن هذه المنظومات التاريخية التي قلدت شاهنامه الفردوسي ما يأتي : —

اسكندر نام :

وهناك أكثر من كتاب ومنظومة في هذا الموضوع فنبدأ بأشهرها وهي منظومة اسكندر نامه لنظامي الشاعر المعروف . وقد ولد نظامي على الأشهر بين

سنوات ٥٣٥ ، ٥٤٠ هـ في مدينة گنجه . وتوفي في إحدى السنوات بين ٥٩٩ و ٦١٩ هـ .

وكان من معاصري الشاعر ومدوحه فخر الدين بهرامشاه بن داود المتوفى في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م وطغرل بن أرسلان السلاجوقي من سلاجقة العراق وکردستان^(١) . وأبو جعفر محمد بن ايلدگز المعروف بجهان بهلوان^(٢) . وقزل أرسلان بن ايلدگز أخو محمد^(٣) وشروانشاه أبو المظفر اخستان بن منوچهر و نصرة الدين أبو بكر بن محمد بن جهان بهلوان^(٤) . وعز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان صاحب الموصل^(٥) وعلاء الدين كرب أرسلان من أولاد آقسنقر .

وقد بقي من آثار هذا الشاعر العظيم ديوان شعر ، مشنويات خمسة هي مخزن الأسرار التي نظمها في حدود سنة ٥٧٠ هـ باسم فخر الدين بهرامشاه بن داود المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، خسرو وشيرين التي أتمها في سنة ٥٧٦ هـ وجعلها باسم محمد جهان بهلوان ، وليلى والمجنون التي قدمها إلى شروانشاه اخستان بن منوچهر في سنة ٥٨٤ هـ ، وهفت پيكر التي أهداها إلى كرب أرسلان في سنة ٥٩٣ هـ ، اسكندر نامه .

واسكندر نامه قسمان يسمى الاول منهما شرفنامه ويسمى الثاني اقبال نامه أو خرد نامه .

(١) ٥٧٣ - ٥٩٠ هـ / ١١٧٧ - ١١٩٤ م

(٢) ٥٦٨ - ٥٨١ هـ / ١١٧٢ - ١١٨٥ م

(٣) ٥٨١ - ٥٨٧ هـ / ١١٨٥ - ١١٩١ م

(٤) ٥٨٧ - ٦٠٧ هـ / ١١٩١ - ١٢١٠ م

(٥) ٦٠٧ - ٦١٥ هـ / ١٢١٠ - ١٢١٨ م

وقد قدم الشاعر شرفنامه إلى الأتابك نصرة الدين أبو بكر بن محمد جهان بهلوان من أتابكة آذربيجان ، وقدم إقبال نامه إلى عز الدين أبي الفتح مسعود ابن نور الدين أرسلان صاحب الموصل كما يدل على ذلك الأشعار الأخيرة فيه (١) .

ويتحدث الشاعر في القسم الأول المعروف بشرفنامه أى كتاب الشرف عن الاسكندر ملكا ، وعن حروبه وفتوحاته وأجاده . ويتحدث في القسم الثانى المعروف بإقبال نامه أى كتاب السعد أو خردنامه أى كتاب الحكمة حديثا يدور فى الغالب حول الحكمة والحكام وصلة الإسكندر بهؤلاء .

ويبدو أن الشاعر قد استفاد فى نظمه هذه القصة من قصة منشورة فى هذا الموضوع كانت معروفة فى القرن الخامس . هذا إلى جانب المصادر الأخرى التى يحتتمل أن يكون الشاعر قد رجع إليها سواء أكانت فارسية أو عربية .

وقد قلد نظامى الفردوسى فى عمله وحاول أن يبلغ مبلغه إلا أنه لم يستطع أن يصل إلى عذوبة أسلوب الفردوسى . وفى قصة نظامى كثير من المعانى المهجورة . ووصفه الجند والمعارك والحروب لا يرتفع إلى مستوى الوصف عند الفردوسى فى هذا الباب . وقد جرى نظامى فى منظومته على عادة شعراء عهده من إيراد الاصطلاحات العلمية واللغات والتراكيب العربية والكثير من أفكار الفلاسفة ومن ثم فإن قارئ منظومته لا يجد نفس المتعة الفنية واللذة الأدبية الخالصة التى يجدها قارئ الشاهنامه .

آئینه سکندری :

قلد كثير من الشعراء نظامى فى منظومته . واتخذوا من قصة الاسكندر مادة نظمهم كما فعل نظامى . ومن هؤلاء المقلدين الأمير خسرو بن الأمير سيف الدين محمود الدهلوى الذى ولد فى مدينة پيتالى من بلاد الهند سنة ٦٥١ هـ وتوفى فى دهلى فى حدود سنة ٧٢٥ هـ . وكان الأمير خسرو من مشاهير شعراء الفارسية فى الهند وواحدا من أبرز من قلدوا نظامى فى نظم الخمسة . وله ديوان ومثنويات خمسة هى مطلع الأنوار ، وشيرين وخسرو ، ومجنون ولىلى ، وهشت بهشت ، وآئینه سکندرى . وقدم آئینه سکندرى إلى علاء الدين محمد شاه من سلاطين الهند فى سنة ٦٩٩ أى قريبا من مائة سنة بعد منظومة نظامى اسكندر نامه .

خردنامه اسكندرى :

ومن كبار الشعراء الذين طرخوا هذا الموضوع نور الدين عبد الرحمن بن احمد بن محمد الدشتى المتخلص بجامى المولود فى سنة ٨١٧ هـ والمتوفى فى هراة سنة ٨٩٨ هـ .

وقد بقيت لجامى آثار كثيرة منها خردنامه اسكندرى . وهو يبدأ هذه المنظومة بمقدمات فى التوحيد والمناجاة وإظهار ضعف الشيخوخة ونعت الرسول وبيان المعراج والدعاء لعبيد الله أحرار ومدح السلطان حسين بايقرا وبعض النصائح وقول فى فضيلة الكلام ثم يشرع بعد ذلك فى نظم القصة . وقد نظم خردنامه قبل سنة ٨٩٥ هـ وهى السنة التى مات فيها عبيد الله الذى ورد مدحه فى المنظومة وبعد سنة ٨٨٩ هـ وهى السنة التى نظم فيها قصة لىلى والمجنون .

قصّة ذى القرنين :

وهناك ، غير ما سبق ، مشنويات أخرى فى البحر المتقارب قلدت اسكندر
 نامه منها منظومة بدر الدين عبد السلام بن ابراهيم الحسينى الكشميرى من
 شعراء القرن العاشر فى الهند . واسم منظومته « قصه ذى القرنين » . وقد قدمها
 إلى عبد الله بهادر خان ثانى ملوك الأزبك وكان بدر الدين شاعراً مكثراً وقد
 بقيت له بضعة مشنويات .

* * *

ظفر نامه :

ألف هذه المنظومة حمد الله المستوفى صاحب تاريخ كزیده فى سنة
 ٧٢٥ هـ / ١٣٣٥ م وهى منظومة طويلة يبلغ عدد أبياتها ٧٥٠٠٠ بيت . وتتحدث
 هذه المنظومة عن تاريخ العرب والعجم والمغول من بداية الاسلام حتى سنة
 ٧٣٢ هـ / ١٣٢١ — ١٣٣٢ م .

وكانت سن المؤلف حين بدأ النظم أربعين سنة ، وقضى خمسة عشر عاماً
 حتى فرغ من منظومته .

وقد بدأ المستوفى فى نظم هذه المنظومة قبل أن يبدأ فى كتابة تاريخه المنشور
 فى التاريخ المعروف بتاريخ كزیده . ويذكر أنه لما أتم منها ٥٠٠٠ بيت رأى أن
 يؤجل إتمامها وأن يشرع فى كتابة تاريخه المنشور حتى إذا فرغ منه عاد إليها .

وقد خص العرب من حديث هذه المنظومة ٢٥٠٠٠ بيت ، وخص الفرس
 ٢٠٠٠٠ بيت ، وخص المغول ٣٠٠٠٠ بيت .

ولهذه المنظومة نسخة وحيدة تتألف من ٧٧٩ ورقة . وقد نسخت في شیراز سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م . وهي الآن محفوظة بالمتحف البريطاني تحت رقم Or. 2833 .

ويتحدث ريو Rieu عن هذه المنظومة فيقول إنه لا يمكن إغفال قيمتها التاريخية وخاصة فيما يتصل بالمغول . ومن أمثلة الصور الحية التي يقدمها الناظم في منظومته المذبحة التي اقترفها المغول في موطنه قزوين . وقد استمد الناظم جانباً من مادته من جده أمين نصر المستوفى الذي كان في الثالثة والتسعين من عمره في ذلك الوقت . ويورد براون في كتابه مثالا لما في هذه المنظومة ^(١) .

شرفشاه نامه :

وهذه المنظومة كسابقتها مهداة إلى السلطان أبي سعيد . وقد نظمها المؤلف في ثمانى سنوات انتهت سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ - ١٣٣٨ م ولكن أجل السلطان أبي سعيد لم يممه حتى يقدم اليه الشاعر هذه المنظومة إذ توفي قبل انتهائها بسنتين ^(٢) . وتحدث هذه المنظومة عن تاريخ المغول من عهد جنكيز خان حتى سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ - ١٣٣٨ م في ١٨٠٠٠ بيت . ولهذا يقال لها أحياناً جنكيز نامه .

(١) Browne : Lit. His. of Persia p. 95-96 vol. III Cambridge 1951 .

وراجع أيضاً : مصادر فارسية في التاريخ الإسلامى للدكتور ابراهيم أمين ص ١٧ بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد المجلد السابع سنة ١٩٤٤ . ط الاعتماد .

(٢) مصادر فارسية في التاريخ الإسلامى . ابراهيم أمين . ص ١٩ .

غازانه نامه :

ألف هذه المنظومة في سنة ٧٦٣ هـ / ١٣٦١—١٣٦٢ م نور الدين بن شمس الدين محمد . ويذكر براون أن هذه المنظومة وسابقتها نادر تان ^(١) . ومنظومة غازان نامه تبلغ في عدد أبياتها نصف سابقتها . وليس لها تين المنظومتين كما يقول براون أهمية كبيرة فيما يتعلق بالناحيتين التاريخية أو الشعرية وإن كان يمكن بعد الدرس الدقيق استخراج بعض المعلومات النافعة عن العصر الذي تحدث عنه هاتان المنظومتان ^(٢) .

شاهنامه هاتفي :

يذكر سام ميرزا أن الشاه اسماعيل في سنة ٩١٧ هـ بعد فتحه بلاد خراسان توجه الى العراق . وعرج في طريقه على خر جرد جام ومر بحديقة هاتفي هناك . فأسرع هاتفي إلى استقباله والمثول بين يديه . وبعد أن تعطف الشاه بالسؤال عن أحواله طلب أن يسمع بعض أشعاره فأنشده هاتفي وكان شاعراً مجيداً واستحسن الشاه ما سمعه منه وكلفه أن ينظم فتوحاته فامثل هاتفي ونظم من هذه الفتوحات ما يقرب من ألف بيت ولكنه لم يوفق إلى إتمام العمل . ويقول سام ميرزا إن هذه المنظومة لو تمت لانسخت كل ما سبقها من مثنويات الشاعر ^(٣) .

(١) Browne : Lit. His. of Persia p. 103 vol. III.

ص ١٠٤

(٢) نفس المصدر :

ص ٩٦ ط ارمغان تهران

(٣) تحفه سامي :

وقد توفي مولانا عبد الله هاتفي في خر جرد ودفن في حديقته وكان ذلك في سنة ٩٢٧ هـ .

* * *

وهناك غير ما سبق منظومات تاريخية كثيرة منها شهنامه قاسمي في شرح سلطنة الشاه اسماعيل الصفوي وابنه طهماسب وقد نظمها قاسمي گنابادي من شعراء القرن العاشر المعاصرين للشاه اسماعيل ولابنه طهماسب ، شهنشاه نامه صبا وهي من المنظومات التاريخية الجميلة نظمها فتحعلي خان صبا الكاشاني من شعراء العهد القاجاري وهي في شرح حروب عباس ميرزا .
وغير هذه المنظومات كثير . . .

* * *

وهناك غير المنظومات الأدبية القومية والتاريخية التي قلدت الشاهنامه منظومات دينية اتخذت مادتها من تاريخ الإسلام ، والشيعه بوجه خاص ، وأبطال المسلمين .
وفيما يلي مجمل بعضها :-

خاورانه نامه :

وهي منظومة دينية شيعية في شرح أحوال وأخبار علي بن أبي طالب عليه السلام . وناظم هذه المنظومة مولانا محمد بن حسام الدين المشهور بابن حسام من شعراء القرن التاسع . وقد انتهى من منظومته في سنة ٨٣٠ هـ وتوفي في سنة ٨٧٥ هـ .

صاحبقران نامه :

وتحدث، هذه المنظومة عن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبي عليه الصلاة والسلام . وقد نظمت في سنة ١٠٧٣ هـ . ولا يعلم ناظمها .

محمد مهدي :

تعلق هذه المنظومة بحياة محمد بن عبد الله وعلى بن أبي طالب وناظم هذه المنظومة ميرزا محمد رفيع خان باذل بن ميرزا محمد . اتصل ببلاط معز الدين في دهلي وتولى من قبله حكومة كواليار وبقي في منصبه هذا حتى آخر عهد أورنگ زيب وبعد موته عاد إلى دهلي حيث توفي في سنة ١١٢٣ أو سنة ١١٢٤ هـ . وعندما مات ميرزا محمد رفيع خان لم تكن المنظومة قد تمت فأتمها من بعده أبو طالب الأصفهاني .

ارديبهشت نامه :

نظمها ميرزا محمد علي شمس الشعرا سروش أصفهاني من الشعراء الكبار في العهد القاجاري .

دراسات موضوعية

١١ — الحرب في الشاهنامه

وما يتصل بها

إن أهم ما يلفت نظر القارىء في الشاهنامه كثرة حروبها وامتدادها أزماناً طويلة . ويمكن تقسيم حروب الشاهنامه قسمين ؛ حروب العهد الأسطوري ويمكن أن ترد كلها أو أغلبها إلى أصل واحد هو النزاع الذى قام بين أبناء أفریدون ایرج ، تور ، سلم وكان من جرأته قتل ایرج واشتعال نيران الحرب . وقد امتدت السنة هذه النيران إلى أخوى ایرج فأهلكتهما على نحو ما ذكرناه فيما سبق . وانتقلت العداوة بعد موت الأخوة إلى سلالاتهم من الأفراد والشعوب ، وحروب العهد التاريخى وترجع إلى ما يكون بين الدول عادة من تنافس ورغبة فى السيطرة أو زيادة دخل الدولة الغازية بما تضمه إليها من أراض وما تفرضه على المغلوبة من الضرائب كما كانت الحال بين الفرس والروم أو نشر مبدأ من المبادئ وعقيدة من العقائد كما كانت الحال بين الفرس والعرب بعد الاسلام .

وقد وقعت أغلب حروب العهد الأسطورى فى شرق إيران وشمالها الشرقى . وكان نهر جيحون حـدّاً فاصلاً بين التورانيين والإيرانيين ولكن الطرفين المتنازعين كانا يجتازانه من حين إلى آخر . بينما وقعت أغلب حروب العهد التاريخى فى الغرب والشمال الغربى بين الإيرانيين من ناحية والروم أو العرب من ناحية أخرى .

أعداد السّباب للحرب:

ويمكن أن نعتبر الشعب الفارسى ، كما تصوره الشاهنامه ، شعباً حريياً .

وقد نالت الناحية الحربية عناية كبيرة من ملوك الفرس في العهود المختلفة فكان أردشير بابكان يرسل الرسل إلى جميع البلاد ليأمرؤا الناس بتعليم أولادهم الفروسية وأصول الحرب واستعمال آلات القتال المختلفة حتى إذا نما الأولاد وصاروا أقوياء وأجادوا فنون القتال سارعوا من بلادهم إلى بلاط الملك وقدموا أنفسهم ليكونوا في خدمته إذا دعا داعى الحرب . وعند ذاك يثبت العارض أسماءهم في الصحف المخصصة لذلك فإذا جد الجد ونشب القتال وجه الملك هؤلاء الشبان إلى الميدان تحت إمرة من يختاره لهم من القواد الشجعان . ولم يكن أردشير يكتفى بالتوجيه والإعداد بل كان يرقب هؤلاء بعين بصيرة إذا مارسوا القتال بالفعل فكان يكل مراقبة كل ألف منهم إلى موبذ مجرب خبير يوافيه بأخبارهم فمن أبدى شجاعة ومهارة في القتال أثبت في ديوان الجيش وضوعف له في المكافأة والجزاء ومن أظهر الضعف والعجز أخرج من بين صفوف الجيش (١).

وبلغ من عناية أردشير برجال الجيش أنه فضّلهم على جميع الطبقات الأخرى التي يتكون منها المجتمع الإيراني في عهده لأنهم يقدمون أرواحهم فداء للوطن ودفاعاً عن مصالح أهله .

دعوة الجيوش :

وكان هؤلاء الشبان إذا قيدوا أسماءهم في سجل العارض عادوا إلى بلادهم ليكونوا رهن إشارة الملك فإذا قامت الحرب أو توقع الملك قيامها كتب إلى

عماله في الأقاليم يكلفهم بجمع مالههم من الجند، وتجهيزهم، وتوجيههم بعد ذلك إلى حضرته. وحين تتجمع الجيوش الآتية من الأقاليم المختلفة يتولى الملك بنفسه قيادتها أو ينتخب لها من يراه جديراً بقيادتها.

وبعد انتهاء الحرب يتفرق المحاربون إلى ديارهم على أن يعودوا كلها دعاهم الملك إلى ذلك.

عرض الجند :

ولم يكن الجند في وقت السلم يتركون وشأنهم لتفسيدهم حياة الدعة، ويلهمهم الاشتغال بشئون الحياة اليومية عما يجب عليهم من التدريب والاحتفاظ بمهارتهم في شئون القتال. ومن ثم كان عرض الجند أمراً ضرورياً للاطمئنان على استعداداتهم والتأكد من صلاحيتهم.

وكان عرض الجند يتم في كل وقت، وفي وقت السلم على فترات مختلفة يحددها العارض، وقبل المعركة، كما يحدث أيضاً بعد المعركة.

وكان لعرض الجند ديوان مهم يسمى ديوان العرض أو ديوان الجيش أو ديوان الجند. كما كان يتولى هذا الديوان موظف من كبار موظفي الدولة يقال له العارض. وقد بلغ هذا العارض شأواً كبيراً في عهد كسرى انوشروان. ويروى الدينوري في الاخبار الطوال أن كسرى اختار لهذه الوظيفة كاتباً معروفاً بالكفاية والذكاء اسمه بابك بن النهروان. وقد طلب بابك من كسرى قبل أن يتولى هذا المنصب الخطير أن يطلق يده وأن يمنحه الحرية في العمل وأن يتجاوز له عن كل ما قد يصدر عنه من غلظة أو شدة تحقيقاً لمهمته على الوجه الأكمل. فأقره كسرى على ما طلب. وكان بابك يعرض الجند في

كل أربعة أشهر ، ويأخذهم بالشدة إذا بدا من أحدهم تقصير ، ويحاسب المدربين الذين يدربون الرجال على الفروسية والرمي حساباً عسيراً . واتخذ له في ميدان العرض منصة مرتفعة يشرف منها على الجند . وكان قد أراد عرض الجند في إحدى المرات فكلف مناديه أن ينادى « لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضر للعرض » فاجتمع الجند وعرضهم بابك لكنه لم يجديهم كسرى ، فصرهم وأعاد عرضهم في اليوم التالى بعد أن كلف مناديه أن ينادى « أيها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسرير فإنه عرض لارخصة فيه ولا محابة » وبلغ كسرى ما يريد بابك فلبس سلاحه واشترك مع الجند في العرض عن طيب خاطر ولكن أسلحته لم تكن كاملة فعاد واستكمل ما نقص منها ومر أمام بابك في العرض من جديد فأجازه كما أجاز غيره من الجند وإن كان ميزه بدرهم واحد ، فقد بلغ أكبر مبلغ أعطى أربعة آلاف درهم وأمر هو لكسرى بأربعة آلاف درهم ودرهم^(١) .

وكان الجند يعرضون أيضاً قبل المعارك للوثوق من حسن تدريبهم واستكمال عددهم وعدادهم . وعندما تتجمع الجيوش يقوم العارض بالاشتراك مع الملك أو القائد بعرض الجيش واعداد الجند وتعيين مكان كل واحد منهم في المعركة .

وكذلك كانوا يعرضون بعد الحرب لمعرفة عدد القتلى والأسرى وتقسيم الغنائم على الباقين . وكان الملك إذا جلس للعرض أعدوا له تختاً من الفيروزج

فوق فيل ليشرف على الجند^(١).

الاستعداد للحرب :

وكانت إذا ظهرت بوادر الحرب أرسل الملك السفراء إلى العدو حتى يقيم عليه الحجة ويلزمه المسؤولية . وكان العدو إذا اقتنع بما يحمله إليه السفير تم الصلح وحسمت مادة النزاع . وإذا لم يقتنع فهي الحرب . وكانوا يختارون السفراء والرسل اختياراً دقيقاً سيأتى ذكره فى موضعه من البحث .

وكان من علاماتهم فى الاستعداد للحرب أن يرتقى الملك الفيلىل ، وأن يحرك الصدفة فى الجام ، وأن يأمر بدق الطبول ، ونصب الخيام والسرادات فى الميدان . وعند ذاك يجتمع إليه الجنود من كل مكان فيرتفع غبار الخيل حتى يعتكر الجو ، ويتحفز أبطال الجيش للوثوب والقتال كأنهم النمر^(٢).

وكان من عادتهم المبارزة قبل القتال فيخرج بطل من أحد الجيشين منادياً هل من مبارز فيتقدم له غريم من جيش عدوه لمبارزته فإذا فرغوا من المبارزة تراموا بالنبال ثم تقارعوا بالرماح ثم تقارعوا بالسيوف ، وتضاربوا بالأعمدة وينتهى الأمر بينهم إلى التشابك والتلاحم^(٣).

تنظيم الجيوش :

كان الفرس يعنون بتنظيم الجيوش قبل بدء القتال فكان القائد يدعو إليه

(١) الشاهنامه : ص ١٢٧٧ ج ٥

(٢) نفس المصدر والجزء : ص ١١٤٦

(٣) الفرر : ص ٥٧

الابطال ويعهد إلى كل منهم بمهمة في الحرب . وكان الجيش يقسم عادة خمسة أقسام الميمنة ، الميسرة ، القلب ، الطلائع ، الساقة أو مؤخر الجيش .

وكانت مهمة الطلائع أن يستكشفوا الطريق وأن يمهّدوه أمام الجيش فيتحققوا من خلوه من الكمائن والعقبات . وإذا شاهدوا مقدم جيش الأعداء عن بعد أبلغوا ذلك على جناح السرعة إلى قائد الجيش حتى يستعد للقمام فلا يفاجأ .

وكانت مهمة الساقة أو المؤخرة أن تحمى ظهر الجيش فلا يباغته عدوه من الخلف بما يؤدي إلى اضطرابه وتبدد شمله .

وكان اختيار الموقع أمراً مهماً كما فعل جودرز (گودرز) في حربه مع الاتراك بقيادة قائدهم پيران فإنه أى گودرز قد اختار لنفسه مكاناً حصيناً يرتفع الجبل على يمينه ويمتد الماء على يساره .^(١) وعندما حان وقت القتال قدم المشاه المزودين بالحرا ب والدروع والسهام النافذة التي تحرق الحديد والأقواس ، وجعل خلفهم الفرسان ثم رتب وراءهم الفيلة الشاحنة كالجبال التي تضطرب الأرض من وقع أقدامها . ونصب العلم الجاوى (گاويانى) المبارك بين الجند^(٢) وجعل فريبرز على الميمنة ووجه رهام مع فرسانه إلى الميسرة ووكّل حماية ظهر الجيش إلى جيو (گيو) . وكلف ثلاثمائة فارس ومعهم عليهم بحفظ جانب الجيش من ناحية الماء ، وكلف مثل هذا العدد من الفرسان بحماية جانب الجيش من ناحية الجبل . ووضع على قمة الجبل ديدباناً . وبعد أن أعد جودرز

(گودرز) جيشه هذا الإعداد اتخذ مكانه في القلب عند العلم^(١). ودعا إليه رؤساء الجيش فجعل شيدوش خلفه وفرهاد أمامه^(٢).

ويذكر الثعالبي في حديثه عن الحرب بين بهرام وملك الترك شابه أن بهرام قد عبأ عسكره أحسن تعبئة. وأنه نظم جيشه فجعل الرجال في المقدمة ووراءهم الفيلة ووزع الجند على اليمين والميسرة وكلف فريقا من الأبطال بمراقبة الجند لسد الطريق على من ينهزم أو يحاول الفرار^(٣).

أقسام الجند :

كان الجند ينقسمون قسمين أساسيين : الفرسان والمشاة .

وكان للفرسان في عهد الساسانيين المقام الأول . وكان الفتح والظفر في الحروب منوطا بقوة هؤلاء الفرسان وشجاعتهم . وكان هؤلاء الفرسان ينظمون صفوفهم ويخرجون جماعات لمقاتلة الروم مزودين بكامل أسلحتهم محتمين بدروعهم البراقة . ولم يكن الفارس يترك شيئا من جسمه دون حماية حتى كانت أجسام الفرسان تغطي كلها بصفائح الحديد فإذا تحرك الفارس فكأنما هو قطعة من الحديد تتحرك . وكانت هذه الدروع والصفائح تصنع وفق أعضاء الجسم بدقة تامة فلا تعوق حركة أى عضو من أعضائه . ولم يكن الوجه يترك عاريا إذ كانوا يستعملون له نقابا في سبيل المحافظة عليه . ولهذه الوقاية السابعة

ص ١١٥٧ ج ٥

(١) الشاهنامه :

ص ١١٥٨ ج ٥

(٢) الشاهنامه :

ص ٦٤٦

(٣) الفرار :

لم يكن من السهل نفاذ السهام إلى جسم الفارس لأنه مغطى كله بما يقيه فيما عدا فتحتين صغيرتين للعينين ومثلها لفتحتي الأنف . وقد عرف العرب عن الفرس هذا التسليح الكامل فكانوا يتوخون العيون ، وكانوا إذا التقوا بالفرس أشرعوا الرماح وسددوها إلى عيونهم ^(١) . وهذا بالطبع لأنهم كانوا يتسلحون بسلاح كامل فلا تبدو من اجسامهم سوى عيونهم .

وكما كان الأمر في عهد الهخامنشيين كانت هناك أيضا في عهد الساسانيين هيئة مشكلة من الفرس اسمونها هيئة الخالدين . وتتألف هذه الهيئة من عشرة آلاف فارس يلقب رئيسهم بلقب « ورهر نيكان خوداي » . ويجوز أن يكون قد وجد إلى جانب هؤلاء هيئة أخرى أطلق عليها اسم « چان سپار » (الفدائيون) نظراً لشجاعتهم واقدامهم على الموت في غير مبالاة .

وكان هناك الفيالة وهم الذين يركبون الفيلة في الحروب .

وتتكون مؤخرة الجيش من المشاه (پايدگان) ويقال لرئيسهم پايدگان سالار . ولم تكن الدولة توجه عناية كبيرة إلى هذا القسم من الجند . وكان هؤلاء المشاه من الفلاحين الذين يشتركون في الحروب تطوعاً دون أن ينتظروا جزاء ولا أجراً . ولم تكن أسلحتهم على درجة من الجودة والصلاحية . ومن ثم فإن هذا القسم من الجند لم يكن على درجة طيبة من الكفاءة والمهارة وكان جوليان قيصر الروم يغري جنوده في ميدان القتال بهؤلاء الفلاحين الذين تسهل هزيمتهم فيسرعون إلى الفرار وينشرون الاضطراب في صفوف الجيش ^(٢)

(١) الطبري : ص ١٢٠ ج ٣ ط الاستقامة ١٩٣٩

(٢) كريستنسن: إيران در زمان ساسانيان الترجمة الفارسية لرشيد ياسمى ص ١٣٧

وهؤلاء الجنود المتطوعون الذين كانوا يلحقون بالجيوش الفارسية النظامية أيام الحرب كانوا معروفين أيضاً في العصور الإسلامية . ففي حرب الأفشين مع بابك الخرمي أخذ الأفشين يتلبث ويتمهل قبل أن يساجز بابك الحرب . ولم يكن استعداد هؤلاء المتطوعين كافياً سواء أكان ذلك في أسلحتهم أو أقواتهم فتضايقوا من إطالة الوقت وشكوا إلى الأفشين الضيق في العلوقة والأزواد والنفقات . ولكن الأفشين لم يكثر لشكواهم وقال لهم من أراد أن يبقى فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع . وكان اعتماده على جند أمير المؤمنين النظاميين .^(١)

ومن هذا يتبين أن هذا القسم من الجند ، قسم المتطوعين ، لم يكن له شأن كبير في الحروب الإيرانية قبل الإسلام ، وفي الحروب الإسلامية .

وكان الملك يعين قائد الجيش (الاصبهد) وكثيراً ما كان الملوك يتولون بأنفسهم قيادة الجيوش . وفي الحروب التي يشترك فيها الملك بنفسه كانوا ينصبون له في وسط الجيش عرشاً عظيماً يحيط به عدد من الجند والقادة للذود عنه . ومكان القائد في قلب الجيش وهو الذي يحمل العلم الجاوي (گاوياني) ويطيعه سائر القواد والرؤساء .

وكان كسرى انوشروان قد جعل على الجيش أربعة قواد لكل واحد منهم الإشراف على ربع المملكة . فكان قائد الشرق يشرف على خراسان وسجستان وكرمان ، وكان قائد المغرب يحكم العراق حتى حدود الدولة البيزنطية

وكان اصبيد الشمال يحكم ممالك ماد الكبرى وآذر بيجان ، وكان قائد الجنوب يتولى أمر فارس وخوزستان .

وهناك إلى جانب هؤلاء الجند الرقباء الذين ينتشرون في اطراف الجيش حتى لا يفر أحد .

والديدبان الذى يقف فوق الجبال أو المرتفعات للمراقبة .

والجاسوس ومهمته معروفة .

العلم :

وكان لكل واحد من أبطال ايران علم . ولكن أهم أعلام الجيش الايرانى هو العلم الجاوى (گاويانى) الذى هو علم الجيش كله . ويكون هذا العلم مع قائد الجيش فى القلب . وترجع قصة هذا العلم الجاوى إلى عهد الضحاك . ذلك أن الضحاك حين تمادى فى الضلال وأمعن فى البطش والعدوان ثار عليه الناس بقيادة حداد اسمه جاوه (گاوه) كان الضحاك قد قتل أحد ولديه وهم بقتل ولده الآخر . وتبع جاوه فى ثورته خلق كثير . وكان فى تزعمه لهذه الثورة قد رفع عصاربط فوقها جلدة الحدادة التى يستعملها الحدادون لتقيهم الشرر ، فكانت بذلك تشبه العلم . وسمى هذا العلم العلم الجاوى نسبة إلى جاوه هذا .

ونادى الثائرون بسقوط الضحاك ، وتمليك أفريدون . وقبل أفريدون الملك وحارب الضحاك حتى هزمه وتولى الملك بعده . وصادف يوم توليه العرش اليوم الأول من شهر مهر فاحتفل به احتفالا عظيما وصار ذلك اليوم عيداً من أعياد الفرس هو المعروف بعيد المهرجان .

وكان ملوك الفرس يقيمون بهذا العلم ويعتبرونه فال خير وظفر ويتوارثونه فيما بينهم . وقد ورد ذكر العلم الجاوى هذا فى بعض الأشعار العربية . من ذلك قول المتوكلى ، وكان من كتاب المتوكل وندمائه ثم كره بعد المتوكل صحة أبنائه فتركهم ولحق يعقوب بن الليث ، فى قصيدة يفخر فيها بالعجم على العرب مطلعها :

أنا ابن الأكارم من نسل جم وحائز إرث ملوك العجم
إلى أن يقول :

معى علم الكائنات الذى به ارتجى أن أسود الأمم^(١)

والكائنات هنا تصحيف وصحتها الكاويان . وتذكر فى بعض المصادر العربية الكاويان محرفة عن الأصل الفارسى كاويان .

ويذكر الثعالبي فى حديثه عن هذا العلم أن أفريدون لما ظفر بالضحاك واستولى على الملك دعا بجلدة جاوة فأمر بنسجها بالذهب وترصيعها بالجواهر وكان يقيم بها فى الحروب . وكان هذا العلم فألا طيبا له ولما بعده من الملوك ولهذا كانوا يتبركون به ويتسابقون إلى الزيادة فيه وتجميله بمختلف الجواهر وكان لا يحمله فى الحروب إلا المقدم والرئيس المعظم من قوادهم ، فاذا انتهت الحرب رده إلى الخازن المكلف بحفظه^(٢) وظل الفرس يحتفظون بهذا العلم حتى كانت حرب القادسية بينهم وبين العرب . وفيها قتل رستم قائد الفرس

(١) معجم الادباء : ص ١٨ ج ٢ ط مصر

(٢) الفرر : ص ٣٨

ووقع العلم في يد ضرار بن الخطاب الفهرى فعوض عنه ثلاثين ألفاً وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف^(١) ويقال إن عمر رضى الله عنه أمر بحله وفتقه وتقسيمه بين المسلمين .

وكان لهذا العلم معنى رمزى عظيم عند الجنود الإيرانيين فالجيش بخير ما ظل هذا العلم خفقا فإذا سقط فعنى هذا الهزيمة والانكسار . ولذلك كانوا يحرصون على أن يبقى مرفوعاً دائماً ولا يتأخرون عن تفديته بكل غال عندهم لئلا يحفظوه من كل سوء . وتروى الشاهنامه أن فريبرز لما انهزم في الحرب أمام الأتراك بقيادة قائدهم پيران هرب من مكانه إلى الجبل ومعه العلم . فلما التفت الجند والقواد ولم يروا العلم في مكانه علموا أنها الهزيمة وهموا بالفرار . وخشى جودرز (گودرز) على جيشه الهزيمة فأمر بيژن أن يذهب إلى فريبرز ويسترد منه العلم ليثبت الجند في الميدان ويعود إليهم الأمل في الانتصار . ولكن فريبرز لم يرجع مع بيژن ولم يسلم إليه العلم فغلى الدم في عروق بيژن وضرب بسيفه العلم الجاوى ضربة شقته نصفين فأخذ نصفاً وعاد به مسرعاً إلى الميدان فلما رأى ذلك پيران أراد أن يحول بين بيژن وبين العودة بالعلم إلى الإيرانيين وكلف بعض أتباعه بانتزاعه منه . لكن الإيرانيين حين رأوا ذلك تكاثروا حول بيژن وحموا علمهم من الوقوع في يد الأتراك وبذلك عاد العلم يخفق بين صفوف الإيرانيين فقتلهم المعنوية وعادوا القتال^(٢) .

(١) الطبرى : ص ٦٩ ج ٣

(٢) الشاهنامه : ص ٨٥٥ ج ٣

وكما قلنا من قبل كان لكل واحد من أبطال الإيرانيين والقادة ، إلى جانب العلم الجاوى العام ، علمه الخاص الذى يتميز بلون خاص وعليه صورة أحد الحيوانات كالفيل أو الأسد أو العقاب .

أساليب الحرب :

للحرب فى الشاهنامه مظهران ، الحرب فى مظهرها الفردى وهى حرب الفرد للفرد ، أو المبارزة ، والحرب فى شكلها الجماعى المعروف الذى تتلاحم فيه الجيوش المتحاربة .

المبارزة :

والحرب الفردية أو المبارزة تكثر فى الشاهنامه بشكل واضح . وتقع هذه المبارزة غالباً قبل تلاحم الجيوش .

ومن أمثلة هذه المبارزات تلك المبارزة التى جرت بين شیده بن افراسياب والملك كيخسرو ، فإن افراسياب قد تقدم لحرب كيخسرو فى جيش عظيم وأراد أن يتفاهم معه عسى أن ينتهى الأمر بينهما صلحاً ولكن الإيرانيين صمموا على القتال . وجاء دور المبارزة الذى يسبق القتال فخرج شیده بن افراسياب مبارزاً وتقدم لمبارزته من الجانب الإيرانى كيخسرو نفسه . وركب كل من المتبارزين فرسه ، واستكمل سلاحه وعدته ، وتبعه أحد أعوانه يحمل له العلم . وقد اتفق المتبارزان على أن يختارا للمبارزة مكاناً بعيداً عن الجيوش وألا يتعرض المنتصر منهما لتابع غريمه بالسوء . وذهبا إلى مكان قفر وأخذوا فى القتال واشتد الأمر بينهما حتى بلغ من حدته أن تقصفت رماحهما فليجا إلى العمد والسيوف . ولما لم يستطع شیده أن يقهر غريمه كيخسرو علم أنه يستمد

هذه القوة من السعادة السماوية وفكر في أن يلجأ إلى أسلوب آخر عسى أن يكون فيه المخرج من هذا المأزق، فدعا الملك كيخسرو إلى التمرج والمصارعة فامتنع كيخسرو في أول الأمر لأنه رأى المبارزة مترجلا عملا لا يليق بالملوك فضلا عن أن السوابق لم تجرب به ، ولكنه في آخر الأمر أجاب شيده إلى مادعاه إليه وترجل عن فرسه بعد أن أسلم زمامه إلى تابعه رهام . وهجم على شيده هجوم الأسد الضاري على حمار الوحش وأخذ يتقاذفه بيديه ثم ضرب به الأرض ضربة كسرت فقار ظهره واستل سيفاً حاداً من وسطه مزق به قلبه . وبذلك قضى عليه وأوصى رهام أن يقيم له ناووساً يدفن فيه كما هي العادة عند دفن الملوك إكراماً لشيده فإنه كان خال كيخسرو . وعاد تابع شيده حاسر الرأس متنفخ العين من كثرة البكاء ونعاه إلى قومه فأظلمت الدنيا في عين افراسياب لفجيعة في ابنه شيده وصار ينتف شعره ويخثو التراب على رأسه (١) .

ومن أشهر قصص المبارزات في الشاهنامه قصة الاثنى عشر رخا (٢) وهي من قصص الشاهنامه الممتعة . ففي إحدى الحروب التي دارت بين التورانيين والإيرانيين وجه افراسياب جيشاً عظيم بقيادة پيران لقتال الإيرانيين وأمره أن يسرف في القتل والنهب ، وألا يقبل من أحد حديثاً في صلح أو سلم . فلما

(١) الشاهنامه : ص ١٣٠٢ ج ٥٥ .

(٢) رخ لها أكثر من معنى فقد تكون بمعنى الوجه ، والطائر الخرافي الكبير المعروف بهذا الاسم ، وتطلق هذه الكلمة مجازياً على المحارب والبطل تشبيهاً له بطائر الرخ في القوة وعظم الجثة .

بلغ ذلك كيخسرو جمع إليه أعيان مملكته وشاورهم في الأمر فاستقر الرأي بينهم على الاستعداد وإعلان التعبئة العامة للجهاد . واختار لقيادة جيشه جودرز بن كشواذ . وقد أحسن جودرز (گودرز) اختيار موقعه في المعركة فجعل الجبل على يمينه والماء على يساره وبذلك صار من الصعب على پيران أن يفجأه من يمين أو يسار . وقد ضايق پيران ما رأى عليه الإيرانيون من حسن التنظيم ودقة الترتيب فاضطر إلى إعادة تنظيم جيشه ليواجه الموقف . وبقي كل فريق متربصاً بصاحبه . وأطال پيران المكث والتلبث وكان قصده أن يضجر الإيرانيون أو تنفذ أقواتهم فيتحرروا من مكانهم الحصين فيسهل عليه بعد ذلك أن يحيط بهم ويقضى عليهم .

وبينما كانت الجيوش تتربص وتنتظر تقدم هومان من قواد پيران في صلف وغرور إلى معسكر گودرز بطلب فارساً ينزله أو بطلا يبارزه فتقدم له من المعسكر الإيراني بيژن . واتفقا على أن يبعدا عن جيشيهما حتى لا يأتي لنصرتهم أحد من التورانيين أو الإيرانيين . واختارا مكاناً قفرا في الصحراء لا يرى فيه أرلإنسان ولا يطير في سمائه طير . وتعاهدا ألا يتعرض الظافر منهما بالأذى لحامل راية غريمه . ثم بدأ المبارزة فتراميا بالسهم حتى نفذ ما كان معهما فعمدا إلى الرماح والحرا ب حتى إذا تكسرت الرماح استعملا السيوف . ولما لم تجد السيوف رفعا العمدة وظلا يتضاربان ويتقاتلان حتى جفت حلوقهما من العطش وغرقا في العرق من شدة الحر والتعب ، فاستراحا برهة وجيزة قصدا في خلالها إلى عين ماء للشرب وانهز بيژن الفرصة فضرع إلى ربه الذي يعلم ما خفى من أمره وما ظهر ودعاه أن ينصره على خصمه . ثم عاودا بعد ذلك القتال ، وما زالا يتقاتلان حتى تمكن بيژن من عدوه

من التورانيين رويين . وبينما هما يتبارزان فاجأه بيثن بضربة من عموده دقت عظامه وألقته على الأرض فنزل اليه وفصل بالسيف رأسه عن الجسد ، وربطه إلى فرسه وأسرع عائدا يخفق عليه علم النصر .^(١)

وكان سابع المبارزين من الايرانيين هجير بن گودرز الذي بارز من التورانيين سپهرم . وكان سپهرم هذا من أقارب افراسياب ومن ذوى المكانة بين التورانيين . وعندما بلغا مكان المبارزة تضاربا بالسيوف واشتد تضاربهما حتى كان الشرر يتطاير من حديد السيوف . وتقدم هجير من خصمه كالأسد ودعا الله وتيمن بسعد الملك وضرب خصمه بالسيف على رأسه ضربة كانت القاضية فسقط عن فرسه غارقا في دمه . ونزل هجير البطل السعيد فرفعه عن الأرض وقيده إلى سرج فرسه ثم اعتلاه وأرخصى له العنان .^(٢)

وكانت الجولة الثامنة بين جرجين (گرگین) الايراني واندريمان التوراني وكان كل منهما رجلا مجربا وبطلا محنكا فلما بلغا مكان الموقعة تراميا بالحراب والسهام حتى كانت كالطمر إلى أن رمى جرجين سهما أصاب من أندريمان الرأس فاضطرب من شدة الألم وعاجله جرجين بسهم آخر أزهق روحه فخر من فوق فرسه فنزل اليه جرجين وفصل رأسه وعاد إلى معسكره^(٣) .

ثم جاءت الجولة التاسعة بين برته أحد فرسان الايرانيين وكسهرم أحد فرسان التورانيين . وأخذ الفارسان يتضاربان حتى حانت الفرصة لبرته

-
- | | | |
|-----------------|--------|-----|
| (١) الشاهنامه : | ص ١٢٣٨ | ج ٥ |
| (٢) الشاهنامه : | ص ١٢٣٩ | ج ٥ |
| (٣) الشاهنامه : | ص ١٢٤٠ | ج ٥ |

فضرِبَ خصمه بالسيف ضربة شقت صدره ثم حملهُ معه بعد أن أسلم الروح وعاد إلى معسكره شاهراً سيفه صائحاً صيحة النصر . (١)

وفي الجولة العاشرة تبارز زنگه بن شاوران مع أخواست . وقد طالت بينهما المبارزة حتى أعياهما التعب وأضناها العطش فاستراحا فترة من الزمان وشربا ثم عاودا بعد ذلك القتال فراش زنگه سهما أصاب أخواست فانقلب عن حصانه إلى الأرض وتبعه زنگه بسهم آخر حتى أجهز عليه وعلقه في سرج فرسه وعاد مختالاً إلى قومه . (٢)

عند ذاك لم يبق للمبارزة سوى البطلين الكبيرين جودرز (گودرز) قائد الايرانيين وپيران قائد التورانيين. وقد استعد كل منهما لهذه الجولة بكل ماله من أسلحة وآلات كالسيف والخنجر والعمود والوهق والسهم . وبعد فترة من القتال صوب گودرز سهما أصاب فرس پيران فاضطرب وسقط وسقط تحته پيران. وانكسرت يده اليمنى من ثقل الحصان ثم نهض بعد ذلك ولم يكن أمامه بعد أن انكسرت يده سوى الهروب . وكان هروبه إلى جبل قائم هناك ظن أنه يعصمه. فلما رأى گودرز ذلك بكى وذكر حال الدنيا التي لا تدوم على حال واحدة وأنها إن أعزت أذلت ، وإن وصلت جفت. وصاح في پيران أن يقف وأن يطالب الأمان حفظاً على حياته . ولكن پيران رفض هذا العرض وعز عليه أن ينتهى أمره إلى هذه النهاية الذليلة وفضل أن يختم حياته ختماً مشرفاً

(١) الشاهنامه : ص ١٢٤١ ج ٥

(٢) الشاهنامه : ص ١٢٤١ ج ٥

كالأبطال في ساحات القتال فنزل گودرز عن فرسه وتبع پيران الذى أعد نفسه لمواصلة القتال وبينما كان گودرز يرتقى الجبل استدار اليه پيران ورماه بحربة كانت معه فأصابه في عضده فاستشاط گودرز غضبا وفوق اليه سهبا حطم مجنه ونفذ من ظهره إلى كبده فوق وقع يتخبط في دمه ويتقلب في التراب . ولما وصل اليه گودرز عرف من دمه غرقة شربها تشفيا منه وأراد أن يحتز رأسه لكنه عدل رحمة به وإشفاقا . وأراد أن يكرمه في ميتته فرفع عليه عند رأسه ليقى وجهه حرارة الشمس القائلة في تلك الصحراء . وعاد بعد ذلك إلى معسكره والدم يسيل من عضده الدامى كما تسيل المياه في مجاريها . وكان الايرانيون حين أبطأ عليهم گودرز قد توهموا أنه أصيب وأخذوا ييكونه وينتجبون فلما رأوا عليه مرفوعا من بعيد فرحوا ودقوا الطبول حتى ارتفع صوتها إلى عنان السماء . ولما وصل اليهم گودرز التفوا حوله متهللين ضاحكين .^(١)

الحرب الجماعية :

أما الحرب الجماعية التى يشترك فيها الجيش كله فأمرها معروف . وكانت الجيوش تنظم إلى ميامن ومياسر ، وقلب ، وطليلة ، وساقة . ويأخذ كل جندى مكانه استعدادا لأداء واجبه . وعند ذاك تدق الطبول ، وينفخ فى النفير ، فيكون ذلك إيذانا ببدء القتال .

* * *

وكانت لهم فى حروبهم أساليب كثيرة منها استخدام عنصر المفاجأة والسير الصامت ونغى به أن يسير الجيش فى صمت وسكون فلا تسمع له

جلبة ، ولا تدق طبول ، ولا يصدر من الجنود صوت ينبه الأعداء إلى اقترابهم . من ذلك ما فعله پيران في إحدى حروبه مع الإيرانيين إذ جاءته الرسل والجواسيس بأنهم منصرفون عن الاستعداد متفرغون للهو والشراب لا تفارق الكأس أيديهم في ليل أو نهار فانتهاز هذه الفرصة واختار من جيشه ثلاثين ألف فارس سار بهم سيرا صامتا في منتصف الليل فبغتوا الإيرانيين في مكانهم وأوقعوا بهم .^(١)

* * *

وكانوا يعمدون إلى التخذيّل بين المتحالفين من أعدائهم حتى يسهل القضاء على كل عدو على حدة . من ذلك ما حدث في الواقعة المعروفة بواقعة الاثنى عشر رخا (يازده رخ) التي أشرنا إليها فيما سبق فإن التورانيين قد نظموا صفوفهم وأعدوا جيوشهم لقتال الإيرانيين وتولى شیده بن أفراسياب قيادة جانب من هذه الجيوش وتولى پيران قيادة الجانب الآخر ففكر كيخسرو أن يخذل بينهم ويفرق وحدتهم فأوصى گودرز أن يحاول قبل القتال استمالة پيران إليه وصرفه عن القتال فانه إن نجح في هذا كان خليقا أن يهزم الجيوش الأخرى التي يقودها شیده في سهولة .

* * *

ومن حيلهم في القتال أن يستدرجوا عدوهم بعيدا عن جيشه كما حدث في الحرب بين پيران وگيو إذ كان النهر يفصل بينهما وأراد گيو أن يظفر بپيران

وبذلك يتبدد شمل جيشه فأخذ يعيره بأنه لا يستطيع القتال إلا بين جنده
فغضب پيران وعبر النهر إلى گيو ليثبت له شجاعته ويريه عاقبة الإساءة اليه
وبعد أن تقاتلا فترة تظاهر گيو بالانهزام وهرب أمامه . وكان قصده من
هذا أن يستدرج پيران وراءه بعيداً عن جنده . وقد كان له ما أراد إذ
انخدع پيران بهذه الحيلة وأخذ يتبعه حتى بعد عن جيشه فاستدار له گيو وقاتله
حتى هزمه وأسره .

* * *

وكانوا يعمدون إلى التبييت أو المباينة وهي الهجوم على الأعداء وقت
المبيت أى بالليل . ومع أن العرف جرى في ذلك العهد على أن يكون القتال
نهاراً فإذا جاء الليل استراح الجيشان المتقاتلان إلا أن هذا لم يمنع الجيوش
المتحاربة في ذلك الزمان من أن تلجأ إلى هذا الأسلوب من أساليب الحرب .
وهو بهذا أسلوب من القتال يخرج عما جرى به العرف وقتذاك . وكان يعتبر
نوعاً من الاحتيال أو السرقة . وقد روى عن الاسكندر أنه لما أشير عليه
بتبييت الفرس في إحدى حروبه معهم قال لا أجعل غلبتي سرقة . (١)

وفيما نقله ابن قتية أنه ينبغي للبيتين أن ينتهزوا فرصة هبوب الريح ، أو
خرير نهر قريب من الأعداء لتبييتهم فإن صوت الريح وخرير الماء يساعدان
الجيش المهاجم فلا يسمع له صوت أو جلبة ، وأن يكون هجومهم في منتصف
الليل أو إذا اشتد الظلام . ومن الأساليب البديعة التي يلزم أن تتخذ أن يكلف

المبيتون جماعة من جندهم ليتسللوا إلى معسكر العدو بحيث يذهبون إلى وسطه وأن يحيط بقية الجند بالمعسكر من الخارج . وعلى الذين توسطوا صفوف الأعداء أن يبدءوا المعركة لأن العدو إذا سمع ضجة القتال في قلب المعسكر توهم أن عدوه استطاع أن يخترق صفوفه حتى يبلغ قلبه فتهدد بذلك عزمته على القتال وتضعف روحه المعنوية .

ومما يجب على المبيتين كذلك أن يثيروا الاضطراب في صفوف الأعداء قبل الموقعة . ومن أساليب إثارة الاضطراب إهاجة الدواب والحيوان بأن تقطع أرسانها وتهمز بالرماح في أعجازها فتنتطلق بذلك هائجة متحيرة مما ينشر الفوضى والاضطراب ويثير الرعب .

ومن أساليب المبيتين في هذا المجال التي تفت في عضد العدو أن يهتف هاتف ويقول يامعشر أهل العسكر النجاة . النجاة ، فقد قتل قائدكم فلان، وأسر فلان وهرب فلان . أو أن يرتمي أحد الجنود من المبيتين بين صفوف العدو ويتأوه ويتوجع كأنه جندي من العسكر قد أصيب مما يحدث أثراً نفسياً سيئاً بين جند الأعداء . (١)

* * *

ومن سياسة بعض القواد في الحروب ألا يسرع إلى الهجوم والقتال إذا تقابل الجيشان حتى يعتاد جيشه رؤية الأعداء فتقل هيبتهم عنده ويصبح لقاءهم مألوفاً فيقبل الجيش بعد ذلك على القتال مطمئناً .

* * *

ومن الأمور التي يجب على صاحب الجيش أن يرهاها في الحرب أن يستدبر جنده عين الشمس والريح ، وأن يحافظ على أرواح جنده ما أمكن فلا يدفعهم إلى القتال لغير ضرورة قصوى لا مفر معها من القتال .

ومما نقله ابن قتيبة عن الآيين أن الجند إذا كانوا قد نزلوا على ماء وأراد العدو أن ينالوا من الماء فليس من الرأي أن يحال بينهم وبينه لئلا يحوجوا إلى الجند في محاربتهم . وإن كان العدو قد نزلوا بماء وأراد الجند غلبتهم عليه فإن وقت ذلك عند رى العدو من الماء وسقيهم دوابهم منه وعند حاجة الجند إليه فإن أسلس ما يكون للانسان عن الشيء عند استغنائه عنه وأشد ما يكون طلبا للشيء عند حاجته إليه .

ويتابع ابن قتيبة كلامه نقلا عن الآيين فيقول : « ولتسر الطلائع في قرار من الأرض ويقفوا على التلاع ولا يجوزوا أرضا لم يستقصوا خبرها . وليكن السكينة في الخمر والأماكن الخفية وليطرح الحسك في المواضع التي يتخوف فيها البيات .

وليحترس صاحب الجيش من انتشار الخبر عنه فإن في انتشاره فساد العسكر وانتقاضه .

وإذا كان أكثر من في الجند من المقاتلة مجريين ذوى حنكة وبأس فبدار العدو الجند إلى الوقعة خير للجند وإذا كان أكثرهم أغمارا ولم يكن من القتال بد فبدار الجند إلى مقاتلة العدو أفضل للجند .

وليس ينبغي للجند أن يقاتلوا عدواً إلا أن تكون عدتهم أربعة أضعاف

عدة العدو أو ثلاثة أضعافهم فإن غزاهم عدوهم لزمهم أن يقاتلوهم بعد أن يزيدوا على عدد العدو مثل نصف عدتهم . وإن توسط العدو بلادهم لزمهم أن يقاتلوهم وإن كانوا أقل منهم .

وينبغي أن ينتخب للكمين من الجند أهل جرأة وشجاعة وتيقظ وصرامة وليس بهم أنين ولا سعال ولا عطاس ويختار لهم من الدواب ما لا يصهل ولا ينهت . ويختار لكمونهم مواضع لا تغشى ولا تؤتى قرية من الماء حتى ينالوا منه إن طال مكثهم وأن يكون إقدامهم بعد الروية والتشاور والثقة بإصابة الفرصة ولا يخفوا سباعاً ولا طيراً ولا وحشاً ... الخ .^(١) ،

* * *

وكان أردشير يوصى صاحب جيشه أن يتفقد العسكر بنفسه وأن يفرق الطلائع إلى مسافة أربعة أميال ، وأن يهتم بتقوية الروح المعنوية بين جنده وذلك بأن يعدهم ويمنيهم ويصغر في عيونهم أعداءهم . وكان يوصيه أيضاً بأن يوجه ميمنة جيشه لحرب ميسرة الأعداء ، وميسرة جيشه لحرب ميمنة الأعداء وأن يكون الجند كلهم في الحرب قلباً واحداً ، وأن يثبت قلب الجيش في مكانه فلا يتحرك إلا إذا تحرك قلب الأعداء . وإذا انتصر في القتال فعليه أن يكف عن إراقة الدماء وإذا ولى عدوه فراراً فلا يغتر بذلك وينشغل عنه ويهمل اليقظة الواجبة^(٢) .

* * *

(١) عيون الأخبار : ص ١١٣ ج ١

(٢) الشاهنامه : ص ١٩٨٤ ج ٧

وكان من أساليب الفرس في حروبهم حفر الخنادق ويقال إن منوچهر أول من خندق الخنادق . وقد عرف المسلمون حفر الخنادق في غزوتهم المعروفة بغزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة . وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي ، وقد قال له « يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا » فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشورته وعمل مع العاملين في حفر الخندق ترغيباً للمسلمين في الأجر ^(١) .

* * *

وبما برع فيه الفرس في الحروب محاصرة القلاع والحصون والاستيلاء عليها . وكان للساسانيين مهارة تذكر في هذا الشأن والساسانيون وخاصة في العهد الأخير كانوا اذا وجهوا همتهم لفتح قلعة مهمة لم يستعص عليهم فتحها . وكانت طريقتهم أن يحفروا أرضاً منخفضة ثم يتقدموا منها الى خندق المدينة فيملأوه بالتراب والعلف ثم يعملوا أدواتهم في الجدار حتى يفتحوا فيه منفذاً ينفذون منه الى المدينة أو يبنوا أبراجاً متحركة قرب الجدار ويحطموا استحكامات العدو بالمجانيق . وكانت لهم أسلحة خاصة بحرب القلاع وفتح الحصون كالمنجنيق والحجارة والقوارير ومزج الأخشاب بالنفط واشعالها والقائها ليلاً على القلاع المحاصرة .

وبما ينبغي الأخذ به في محاصرة الحصون ما يذكره ابن قتيبة من استمالة من يستطيع استمالتهم من أهل الحصن والمدينة ففي استمالة هؤلاء فوائد منها أن يعرف المهاجمون أسرار أهل الحصن وأن يتخذوهم وسيلة لإخافة المتحصنين

وإضعاف روحهم المعنوية .

واصطناع الحيلة أمر مهم في فتح القلاع والحصون . من ذلك أن يحتال المهاجمون حتى يصل بعض رجالهم الى داخل الحصن ويختلط بأهله ثم يأخذ في تصغير شأنهم وتعظيم قوة أعدائهم ، ويؤيسهم من المدد . . . الى غير ذلك من الحيل التي تنشر في أهل القلعة روح التخاذل والخور . وبما يحتال به أيضاً في خداع أهل القلعة لإضعاف عزائمهم أن يطوف المهاجمون حول الحصن ويشيروا بالأيدي الى مواضع فيه ويأتوا من الحركات والاشارات ما يتوهم معه أهل الحصن أن العدو المهاجم يختار المواضع الضعيفة من الحصن للنفاذ منها الى الداخل ، وأنه يعين المواضع التي تصلح لنصب المجانيق عليها أو تهبأ لها العرادات أو توضع عليها السلام أو يتسور منها الى داخل الحصن أو تضرم فيها النيران ليملاهم ذلك رعباً ^(١) .

الرسالة والرسالت :

قلنا فيما سبق إن كسرى ولى ديوان الجند رجلاً اسمه بابك . وكان بابك هذا يعرض الجند من حين الى حين ويؤدى عمله في شيء كثير من الحزم والصرامة حتى إنه دعا ذات مرة المقاتلة جميعاً الى الاشتراك في العرض وكان من بينهم كسرى إلا أنه لم يكن كامل العدة والسلاح فلم يحزه بابك وطلب اليه أن يعود لاستكمال سلاحه ففعل كسرى ما طلبه بابك . ونذكر الآن أن السلاح الكامل الذي كان يطالب به الفارس في ذلك الوقت على نحو ما يذكره الدينورى

هو التجفاف والدرع والجوشن والبيضة والمغفر والساعدان والساقان والرمح والترس والجرز يعلقه في منطقته والطبرزين والعمود وجعبة فيها قوسان بوترهما وثلاثون نشابة ووتران ملفوفان يعلقهما الفارس في مغفره ظهريا . وكان كسرى حين اشترك في العرض الأول قد نسي الوترين اللذين يستظهر بهما . (١)

وكان كسرى شديد الاهتمام بأمر الفرسان بوجه خاص فكان يعرضهم ويقدم اليهم المساعدات المختلفة والهدايا من الخيل والأسلحة كما كان يقرر لهم المرتبات الثابتة . وكانت أسلحتهم الرئيسية في القتال القوس والسهم أى نفس الأسلحة القديمة التى عرف الايرانيون بالمهارة فى استخدامها .

وكانت السهام تؤخذ من عيدان خاصة تقطع وتشذب عنها الأغصان ثم تصلى بعد ذلك بالنار حتى تلين . ويتكون السهم من جزأين : القدح وهو العود، والنصل . ويراش السهم بأن يجعل عليه الريش . ولا بد للحارب من وعاء السهام وهو الجعبة أو الكنانة . وقد تتخذ هذه الجعبة من الجلد الخالص أو من الخشب الخالص . ويراعى فى الجعبة أن يكون فيها فتحات حتى ينفذ الهواء إلى ريش السهام فلا يفسد . (٢)

ومن أسلحة القتال الرماح ويستخدمها الفرسان فوق الخيول . ويتكون الرمح من جزأين . متن الرمح ، وحده أو سنانة أو نصله . ويجعل للرمح حديدة

(١) الأخبار الطوال : ص ٧٢ والتجفاف آلة للحرب يتقى بها كالدرع ؛ والجرز هو العمود ، والطبرزين محرف تبرزين آلة تشبه البلطة من آلات القتال .

(٢) المخصص لابن سيده : ص ٦٩ ج ٦ ط الاميرية ييولاق ١٣١٨ هـ .

في أسفله تثبته يقال لها الزجاج . وبما يشبه الرمح من أسلحة القتال الحربة وإن كانت أصغر منه .

ومن آلاتهم في الحرب الدرع . وتتكون الدرع من أجزاء يعرف كل جزء منها باسم خاص . فما وقى الصدر فهو الجوشن ، وما وقى الرأس فهو البيضة أو الخوذة أو المغفر . ويستفاد من نص الدينورى السابق أن من أجزاء الدرع ما يقي الساعدين والساقين . وكانوا يلبسون تحت الدرع غلالة تخفف من أثر صلابته على الجسم . وربما أمعن بعض المقاتلين في الحيلة والتوقى فلبس تحته درعا أخرى صغيرة . وهناك ضرب من الدروع يقال له القردمانى كانت الأكاسرة تحتفظ به في خزائنها وأصل هذه الكلمة بالفارسية كردماند أى عمل وبقى ^(١) وأنشد ابن الأعرابى للبيد .

فحمة ذفراء ترقى بالعرى قردمانيا وتركاً كالبصل ^(٢)

وبما استعملوه في القتال الترس ويقال له أيضاً المجن والدرقة . وكان يتخذ من الجلود ليتقى به المحارب وقع السيوف فلا تنفذ إلى جسمه .

وبما استعملوه في القتال المنجنيق . وقد عرف العرب هذا السلاح الفرس . وقد استخدمه أول الأمر الفينيقيون ثم أخذه عنهم العرب . وبعد ذلك إلى الفرس . وكانوا يتخذون المنجنيق آلة من الخشب والدمار والفضة أو السهام أو المواد المشتعلة لهدم الحصون .

(١) المخصص

(٢) المخصص

ومن آلاتهم في القتال الجرز أو العمود أو الدبوس . وينسب الثعالبى إلى
أفريدون أنه أول من صنع هذا السلاح في حربة مع الضحاك . وكان العمود
الذى أمر بصنعه هو المعروف « گرزگاوسار » ومعناه بالفارسية العمود الذى
فى رأسه صورة ثور ^(١) . ويعلق العمود فى حلقة السرج .

وكان الوهق من أهم أسلحة الفرس . وهو حبل تجعل منه أنشوطه فإذا
ألقاه المحارب على عدوه شد إليه الحبل فضاقت الأنشوطه على جسم العدو
فلا يستطيع منها فككا ، ويقع أسيرا . ومثل هذا ما يستعمله رعاة البقر
المعروفون اليوم فى أمريكا . وقد مهر الفرس فى استخدام هذا السلاح . ولم
يكن أعداؤهم من التورانيين يعرفونه أو يستخدمونه حتى إن كاهوس الكشاني
التقى برستم عجب أن يكون هذا الحبل من بين آلاته فى القتال وازدراه
فطرح رستم عليه الوهق وأحكمه على وسطه ثم جره إليه وأخذه أسيرا .

وكانوا يستعملون الحسك وربما اتخذوه من حديد أو خشب يلقونه فى
طريق أعدائهم فينشب فى أرجل خيلهم فيعوقها عن السير والحركة . وقد لجأ
الفرس إلى هذا السلاح فى حروبهم مع العرب . ويروى الطبرى أن النعمان
بن عبد الله بن جندب مع العجم لما انتهى إلى نهاوند طرحو له حسك الحديد
فألقى به على وجهه فمات . وفى حروبهم مع العرب فى حروبهم فرسه وقد دخلت فى يده
فإذا فى حافره حسكة فأقبل بها وأخبر
أشاروا عليه أن ينتقل من مكانه ويظهر
أشاروا به فخرج الأعاجم فى

طلبه وكنسوا الحسك من الطريق. ولما علم النعمان أنهم كنسوا الحسك وأصبحت الطريق آمنة عطف عليهم. ^(١) وفي هذه الحرب نفسها يتحدث الطبرى فيقول إن الفرس لما قدموا على العرب «كانوا كأنهم جبال حديد قد ثوابثوا أن لا يفروا من العرب وقد قرن بعضهم بعضا سبعة في قران والقوا حسك الحديد خلفهم وقالوا من فر منا عقره حسك الحديد». ولما رأى الفرس صبر العرب في القتال وأنهم لا يبرحون رغم ما أصابهم من المصائب العظيمة «انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قباد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد الذى وضعوه خلفهم». ^(٢)

وكانت الفيلة تقوم بدورهم في الحروب يقدمونها أمام الجند فتكون كالسور المنيع أمامهم. ولكن الفيلة كانت مصدر خطر في بعض الأحيان على الجند لأنها إذا خافت واضطربت داست الجند وقتلت منهم عددا كبيرا ولذلك كانوا يتخذون الحيلة لمثل هذا فيزودون الفيلة بالسكاكين الطويلة حتى إذا خافت الفيلة وخيف على الجند أن تدوسهم طعنوا الفيلة بسكاكينهم في الفقرات الخلفية من عنقها. ^(٣)

وكانوا يصحبون الأسود والضواري في حروبهم. وتقتصر مهمتها على حراسة خيمة الملك حتى لا يتسلل إليها العدو.

فإذا وضعت الحرب أوزارها سلم الجند أسلحتهم لتوضع في المخازن

(١) الطبرى : ص ٢٠٣ ج ٣

(٢) نفس المصدر والجزء : ص ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣) كريستنسن : إيران در زمان ساسانيان : ص ١٣٨ ترجمة رشيد ياسمى

الخاصة بها . وكان يوكل بهذه المخازن موظف مختص يقوم بمراقبة هذه الأسلحة وتنظيمها بحيث يمكن توزيعها عند الحاجة إليها في قليل من الزمن .^(١)

أرزاق الجند :

كان من عادة الملك قبل القتال أن يفتح خزائنه ويوزع منها على الجند في شيء كثير من السخاء تشجيعاً لهم على القتال . وكان اطلاق أرزاق الجند وتقديم الاعطيات اليهم قبل القتال أمراً معروفاً . ولم يكن هذا يمنع من تخصيص رواتب خاصة للجند يعطونها في فترات معلومة . فدارا مثلاً كان يعطى جنوده ما بين أربعة إلى ثمانية دراهم كل يوم^(٢) . وكان الجند في بعض الأحيان ينالون رواتبهم كل عشرين يوماً ولذا سميت العشرينيات^(٣) . يضاف إلى هذا نصيبهم فيما يصيبون من غنائم . ولكن كان عليهم أن يقدموا الغنائم أولاً كاملة الى الشاه وهو الذى يأمر بتوزيعها فيما بينهم . ولم يكن قائد الجيش يجرؤ أن يمس شيئاً من هذه الغنائم بغير إذن الملك . وحينما احتجز بهرام چوبين لنفسه بعض الغنائم التى حصل عليها دون أن يستأذن الملك كان هذا سبباً من أسباب غضب الملك عليه .

وكان بعض الملوك يحرمون على جنودهم أن يمدوا أيديهم إلى شيء من مال الرعية يأخذونه غصباً وظلماً .

وكانت الدولة تتولى إعداد ما يلزم للجند من طعام وتهيئة ما يلزم للدواب

-
- | | |
|-----------------|------------|
| (١) كريستنسن : | ص ١٤٣ |
| (٢) الشاهنامه : | ص ١٧٨٤ ج ٦ |
| (٣) الشاهنامه : | ص ٢٨٠٢ ج ٩ |

من الأعراف فإذا استعد الجيش للخروج إلى القتال كتبوا بذلك إلى حكام النواحي المختلفة التي يمر بها هذا الجيش ليقدّموا له ما يلزم من الزاد .

وكان أنوشيروان يهتم بجنده وخاصة الفرسان اهتماماً شديداً . فكان يقدم لفقرائهم المساعدات المالية ، والهبات ، والهدايا المختلفة التي تناسب رجل الحرب كالخيل أو الأسلحة . كما كان يدفع معاشاً لورثة المتوفين من الجند .

الموبذ في الحرب :

ذكرنا فيما سبق أن الموبذ كان من رجال الدولة الذين يكلفون بملازمة الجيوش في الحروب . وقلنا إن أردشير كان يجعل على كل ألف من المقاتلة موبذا عالماً خبيراً لمراقبتهم وإخباره بما يكون منهم عند القتال من شجاعة أو جبن وبما يكون عليه سلوكهم بصفة عامة .

الطائب في الحرب :

من بين الشخصيات التي يعتمد عليها في الحروب الكاتب . وكان يقوم بحملة أعمال منها أن يسفر بين الملك وأعدائه قبل القتال محاولاً أن يحسم مادة الخلاف ، وأن يصد العدو عن التمدد في الشر ، وأن يوفق بين الطرفين بما فيه مصلحة مولاة . وكان الملوك يختارون هذا السفير من بين الكتاب اختياراً دقيقاً . وكان أردشير يختار في مثل هذه المهمة أحد كتابه العلماء العقلاء ^(١) . ومن مهمات الكاتب أن يقوم بتحرير ما يطلب إليه من رسائل توجه إلى الملوك والقواد في الإنذار والتهديد ، أو الإغراء والتخريض أو المسالة والمهادنة وعقد

شروط الصلح ، أو رواية ما جرى من وقائع وأحداث في الحرب . وكان من مهمته أيضاً أن يشير على الملك وينصح له . ويروى أن بهرام چوبين لما أراد أن يقاتل جنود الترك نصحه رجاله أن لا يفعل لقلّة من كانوا معه وكثرة جند الأتراك فأبى أن يقبل النصح فجاءه الكاتب ونصحه بدوره ألا يصمم على القتال محافظة على حياة من معه من الرجال . ويبدو أن الكاتب أطلّ في النصح فضجر بهرام وطلب إليه أن يكف عن النصح وأن ينصرف إلى دواته وقرطاسه ويدع أمر الحرب لرجال الحرب ^(١) .

وكان من مهمة كاتب الجند أن يثبت في سجلاته أسماء المقاتلين ، وأن يحصى الغنائم التي يظفرون بها . وحين استولى بهرام چوبين على قلعة برموده ابن ساوه دخلها الكتاب ليؤدوا واجبهم في إحصاء ما بها من غنائم وظلوا يؤدون واجبهم إلى وقت متأخر من الليل ^(٢) .

ويحدثنا النویری عن واجبات كاتب الجيش فيذكر أن عليه أن يرتب أسماء الأمراء والأجناد ويضع لذلك جريدة على حروف المعجم يثبت فيها أسماءهم ويذكر الاسم وابتداء امرته أو جنديته في أي سنة كانت من السنين ... الخ. ^(٣)

السامر :

وكانوا يستعينون بالسحرة في القتال لبث الرعب والفرع في قلوب الأعداء

(١) - الشاهنامه : ص ٢٦١٢ ج ٨

(٢) - الشاهنامه : ص ٢٦٣٨ ج ٨

(٣) - نهاية الارب : ص ٢٠٠ ج ٨

وكان الساحر قادرا على أن يُرى العدو الأحلام المزعجة التي تؤثر في أعصابه وتضعف ثقته بنفسه وقدرته على مواجهة عدوه . من ذلك أن بهرام چوبين لما حارب الأتراك استعانوا بالسحرة فلما جاء الليل ونام بهرام رأى في نومه أن الأتراك قد غلبوه على أمره وهزموه شر هزيمة ونهبوا ما في جيشه وبقي هو وحيدا يرجو الأمان ، فقام من نومه مذعورا مضطربا . (١) وكان مما فعله سحرة ساوه في حربه مع الايرانيين أن سحروا أعينهم وخيلوا لهم أنهم يرون نيرانا تملأ الجو ورياحا عاصفة وسحبا سوداء مظلمة تمطرهم بوابل من النبال (٢).

مع عاداتهم في الحروب:

وكان مما جرت به عاداتهم في الحروب ألا يعرضوا لها الملوك حرصا منهم على حياتهم أن يصيبها مكروه فيتبدد شمل جيشهم . وحين حارب كيخسرو افراسياب طلب هذا منه أن يخرج لمبارزته بنفسه وكان مناه أن يتغلب عليه في مبارزته فينهزم بذلك جيشه . ولكن رستم وهو المجرب الخبير فطن إلى الامر ومنعه أن يخرج لمبارزة افراسياب وإلا فما حاجة الملوك إلى الجنود والآلات إذا كانوا يقاتلون بأنفسهم . (٣)

وكان من عاداتهم أن يكتبوا على الشباب أسماء مختلفة فمنها ما يكتب عليه اسم الملك ومنها ما يكتب عليه اسم المقاتل نفسه أو اسم امرأته أو ابنه إلى غير ذلك . ويروى أن كسرى بعث وهرز إلى اليمن لقتال الحبشة فلما اصطفوا قال وهرز

(١) الشاهنامه : ص ٢٦١١ ج ٨

(٢) الشاهنامه : ص ٢٦١٤ ج ٨

(٣) الشاهنامه : ص ١٣٥٣ ج ٥

لغلامه : أخرج الى من الجعبة نشابة فأدخل الغلام يده فأخرج له نشابة عليها اسم امرأته فتطير من ذلك . (١)

وكان من عاداتهم إذا خرجوا للحرب أن يتطيروا إذا عاد المحارب من سفره قبل أن يصل إلى ميدان القتال .

وكانوا يتغنون في مجالس لهوهم بانتصاراتهم .

ملحوظة متصل بالحروب :

يلاحظ أن الشاهنامة مع اهتمامها بالحديث المفصل عن الحروب والوقائع والانتصارات التي يحرزها الإيرانيون لا تتحدث بنفس هذا التفصيل عن الوقائع التي يهزمون فيها ، وكثيراً ما يكون الحديث عن مثل هذه الوقائع عابراً بجملاً وقد تهملها الشاهنامة . وبما أهملته الشاهنامة مثلاً واقعة ذي قار التي انتصر فيها العرب على العجم . ولعل العصبية الإيرانية هي التي حدت بالشاهنامة إلى أن تتجاهل هذه الواقعة . وربما كان هذا التجاهل راجعاً إلى عجز الشاهنامة عن أن تجد مخرجا مناسباً تخفف به وقع هذه الهزيمة كما فعلت مع الاسكندر الذي غزا الإيرانيين وحطم ملكهم واستولى على بلادهم ومع ذلك ذكرته الشاهنامة بالخير ولم تأنف أن تتحدث عن انتصاراته على الإيرانيين وإن كان حديثاً بجملاً في أغلبه . وسبب هذا أن الشاهنامة اعتبرت الاسكندر إيرانياً ومن ثم لم يكن غريباً على الإيرانيين ولم تكن انتصاراته عليهم انتصارات غريب دخيل . أما كيف اعتبرته الشاهنامة إيرانياً فتفصيله أن داراب بن بهمن بن

اسفنديار تزوج ابنة قيصر الروم ولكنه نفر منها بعد الزواج لأنها كانت بخراء . وقد عالجها من هذا الداء وشفيت منه إلا أن قلبه لم يفتح لها بعد ذلك ، فردها إلى أبيها . وهناك ولدت له الاسكندر وكانت حاملاً منه . وأخفى قيصر الروم فيلقوس صلة الاسكندر بأبيه داراب وادعى أنه ولده ^(١) . وفي الشاهنامه أن ابنة قيصر الروم فيلقوس وأم الاسكندر كانت تسمى ناهيد وأن العشب الذي عولجت به كان اسمه الاسكندر ، ولذا سميت مولودها الاسكندر على اسم هذا العشب الذي شفاها من بخرها ^(٢) . ولكن الطبرى يسمى ابنة قيصر الروم هلاى ، ويذكر أن الدواء الذى عولجت به يقال له بالفارسية سندر . وقد أذهب هذا الدواء كثيراً من رائحتها الكريهة وإن كان لم يذهبها كلها فانصرفت نفس دارا الأكبر (داراب) عنها لبقية ما بها وعافها وردها إلى أهلها وقد علقت منه فولدت غلاماً سمته باسمها واسم الشجر الذى عولجت به فكان اسمه هلاى سندروس ثم صار اسكندروس ^(٣) .

ومن هذا نرى أن الشاهنامه جعلت الاسكندر ايرانياً لتبرر بهذا ما لحق الايرانيين من الهزائم على يديه ، وأنها جعلته ابناً لداراب بن بهمن بن اسفنديار وأخا لدارا بن داراب آخر الملوك الكيانيين الذى هزمه الاسكندر وبانهزامه انقضى ملك الكيانيين فكان الأمر بهذا لا يعدو أن يكون نزاعاً بين أخوين ايرانيين انتصر أحدهما على الآخر .

(١) الشاهنامه : ص ١٧٧٧ ج ٦

(٢) الشاهنامه : ص ١٧٨٠ ج ٦

(٣) الطبرى : ص ٦٩٦ ج ١ ط بريل

وكما قلنا منذ قليل لو كانت الشاهنامة قد استطاعت أن تجد مثل هذا المخرج والتبرير فيما يتصل بهزيمة الايرانيين على يد العرب في واقعة ذى قار لتحدثت عن هذه الواقعة كما تحدثت عن وقائع الإسكندر .

الشطرنج والنرد :

قد يبدو غريباً ان تذكر الشطرنج والنرد في بحث كهذا ولكن الواقع أن لعبة الشطرنج كانت أثراً من آثار حياة الحرب، فاختراع الشطرنج والنرد وثيق الصلة بالحرب . ولعل كثرة الحروب التي سادت الحياة هي التي أوحى باختراع هاتين اللبتيين . فهما في الحقيقة مظهر من مظاهر الحياة الحربية التي كان يحياها الناس في ذلك الزمان . وقد اخترع الهنود الشطرنج وأهداه ملوكهم إلى كسرى انوشيروان وأوجب ملوكهم على نفسه أن يلتزم الضريبة عن بلاده كل سنة إذا استطاع كسرى ومن عنده أن يفكوا رموز هذه اللعبة ، وأن يحل نفسه من هذا الالتزام إذا عجزوا . ورأى كسرى أنه أمام هدية خطيرة ليست كسائر الهدايا فعهد بها إلى حكيمه المشهور بزرجمهر الذي أخذ يتأملها ويدرسها ويدقق النظر فيها حتى فهمها وعرف سرها الذي بنيت عليه . وفطن إلى أن تلك القطع والحجارة تصور نظام الجيوش في الحرب وقال إن هذه اللعبة « إنما وضعت للحرب وجعل الأكبر منها الملك والذي يليه الوزير والقطاع السكبار القواد المسمين للأمور والبيادق الرجال وحركاتها مناوشة القتال » (١) ولما علم ملك الهند أن الايرانيين فطنوا إلى سر اللعبة التزم بالضريبة يؤديها كل عام .

أما سبب اختراع الهنود لتلك اللعبة فيرجع إلى أن إحدى ملوكات الهند كان لها ولدان يتنازعا على الملك هما جو (گو) وطلحند . وقد تطور النزاع بينهما ، فأعد كل منهما جنده ونظم جيشه إلى ميمنة وميسرة وطلیعة ومؤخرة ، وجهاز الخيل لركوب الفرسان ، والفيلة لركوب الملوك . ولما تقابل الجيشان انهزم جيش طلحند فعز عليه ذلك وحزن لما أصابه من الهزيمة حزنا شديدا ووقع ميتا . وانتهت بهذا الحرب بين الأخوين فعاد جو إلى أمه وأخبرها الخبر فظنت أنه قتل أخاه ولكنه أكد لها أن أخاه مات ميتة طبيعية وأنه لم يمسه بسوء . ولكن الأم لم تصدق ما قال فأراد أن يشرح لها واقعة الحال شرحا عمليا لتفهم كيف دار القتال ، فدعا إليه العلماء وكلفهم أن يهتدوا إلى طريقة لتصوير المعركة تصويرا ماديا واضحا فاستحضروا الأبنوس وعملوا تحتها وصوروا فيه مائة بيت ثم عملوا من الساج والعاج صورة شاهين معتصبين بالتاج مع جنودهما وخيولهما وفيو لهما ثم صفوها صفوفا فجعلوا كل واحد من الشاهين في قلب عسكريه وعلى يمينه وزيره وإلى جانب كل واحد منهما من الميمنة والميسرة فيلان يتنقلان في ثلاثة بيوت . وجعلوا دون الفيلين جملين عليهما راكبان ودونهما فرسين عليهما فارسان ودون الفرسين رخين كأنهما مبارزان يركضان يمينا ويسرة ولا يقف قدامهما أحد ورتبوا الرجال مصطفين أمام الكل . ومهما انتهى واحد منهم إلى آخر المعترك صار في مرتبة الوزير يقعد بجانب الشاه ويختلف بين يديه . ثم كل واحد من هؤلاء المقاتلين إذا رأى الشاه في بيت صاح وأشار إليه بالأحجام والتنحي من ذلك البيت . ثم إن أحد العسكريين غلبوا فسدوا الطريق على الشاه فنظر فرأى عساكر العدو قد أحاطوا به من كل جانب وسدوا

عليه كل مسلك فمات من الهم والأسف ما بين المعترك .^(١) وكانت أم طلحند تراقب الشطرنج وهم يلعبون به أمامها فتفهم كيف جرت الواقعة وكيف مات ولدها .

هذا فيما يتعلق بالشطرنج . وقد رأينا أن الفرس قد اهتموا إلى سره وفك رموزه . ثم إن الفرس قدموا إلى ملك الهند هدية أخرى في مقابل هديته وضعها بزرجمهر . وكانت هذه الهدية هي النرد . وقد جعل بزرجمهر خطوطها الاثني عشر على عدد الشهور وبروج الفلك وقطاعها السود والبيض هي الليالي والأيام ، والكعبتان دول الناس وجدودهم .^(٢)

(١) ترجمة البنداري : ص ١٥٤ ج ٢

(٢) الغرر : ص ٦٢٤ .

١٢ — الملوك في الشاهنامه

وما يتصل به

الحق الألهي للملوك :

أهم طبقة تعنى بها الشاهنامه في المجتمع الإيراني طبقة الملوك . ولذا كان تقديمها في الحديث ضرورياً . لم يكن لدى ملوك الفرس نظام ثابت لتولى الملك ، وإن كان هناك عرف جرى العمل به في أكثر العهود . ولكن هذا العرف لم يكن قانوناً ملزماً ونظاماً واجب الاتباع على الدوام . وكان هذا العرف يقضى بأن يتولى أكبر الأبناء الملك بعد أبيه ولكن الظروف كانت تتدخل في كثير من الأحيان للتحلل من هذا العرف . وعند ما مات يزدجرد ابن بهرام جور كان أكبر أبنائه فيروز غائباً في سجستان فتولى الملك أصغر الأبناء هرمزد^(١) . ولم يطق فيروز صبراً على اغتصاب حقه الطبيعي في الملك فلجأ إلى ملك الهياطله يستعين به ضد أخيه هرمزد فأمدده ملك الهياطله بجيش كثيف يتكون من ثلاثين ألف مقاتل استطاع بهم أن يتغلب على أخيه وأن يأسره وأن يسترد منه الملك^(٢) . ثم رق قلبه لأخيه هرمزد فأطلق سراحه وردّه إلى إيوانه مكرماً وأخذ عليه العهد أن يكون في خدمته .^(٣)

(١) ٤٥٧ — ٤٥٩ م

(٢) ٤٥٩ — ٤٨٤ م

(٣) الشاهنامه : ص ٢٢٦٥ ج ٨

وقد حدث أن تولى الملك طفل رضيع لأن هرمز بن نرسی لما مات لم يكن له ولد فأخذ الأشراف ورجال الدين يتشاورون في الأمر حتى علموا أن إحدى جواريه كانت حاملاً منه ، فانتظروا حتى وضعت مولودها بعد أربعين يوماً من موت هرمز ، وكان المولود قمرأ منيراً كأنه قبس من النور الآلهي ، فسماه الموبد شابور (سابور) ولما صار لشابور هذا أربعون يوماً نصبوه ملكاً . ومن اللطيف أنهم عند ما نصبوه رفعوه إلى العرش في لفافته الحريرية وزينوا صدره بتاج ذهبي . وكان يصرف الأمور باسم هذا الوليد موبد حكيم اسمه مهروي . وقد عرف شابور هذا فيما بعد بسابور ذي الأكتاف . ودام ملكه اثنتين وسبعين سنة . وكان من ملوك الدولة الساسانية البارزين ^(١) .

وإذا كان الطفل الرضيع يتولى الملك فليس هناك ما يمنع من تولى الصبية وصغار الشبان . وكان قباد بن فيروز بن يزدجرد في سن السادسة عشرة حين تولى الملك ^(٢) . ولم تكن له بشئون الملك خبرة أو دراية فاستبد بالأمر دونه سوفزاي . وكان طبيعياً وقد أصبحت لسوفزاي الكلمة العليا في البلاد أن يكثر أعاديه وحساده الذين استطاعوا أن يثيروا عليه الملك حتى قتله . وكان لمقتله أثر سيء فقامت الفتن والثورات في جميع البلاد وعانى منها قباد أشد معاناة .

وكان الأخ يتولى الملك أحياناً بعد أخيه كما هي الحال بالنسبة لأردشير أخى شابور بن هرمزد المعروف بشابور ذي الأكتاف . وكان لشابور ذي الأكتاف

• (١) ٣٠٩ — ٣٧٩ م

(٢) ٤٨٨ — ٥٣١ م

عند ما أحس بدنو الأجل ولد صغير اسمه شابور أيضاً . وقد رأى أن ابنه في سنه الصغيرة لا يصلح أن يتولى الملك فدعا إليه أخاه أردشير والكاتب وكبير الموازنة (موبذ موبدان) . وعهد إلى أردشير بالملك من بعده على أن يسلمه إلى ابنه متى بلغ مبلغ الرجال ويصبح له عند ذاك مشيراً وناصحاً أميناً . وسلم إليه تاج الملك ومفاتيح الخزان وولاه قيادة الجيوش . وأخذ عليه العهد والميثاق في حضرة الكاتب وكبير الموازنة . ولما توفي شابور ارتقى أردشير العرش ودعا إليه الناس وأعلن أمامهم أنه يتولى الملك إلى أن يكبر شابور بن شابور فيرد إليه الأمانة التي استودعه إياها أبوه . وسار في الناس بالعدل والإحسان ، ورفع عنهم الخراج حتى لقبوه أردشير المحسن (نيكوكار) . وبعد أن قضى عشر سنوات يصرف الأمور أحسن تصريف رد الملك إلى ابن أخيه شابور^(١) .

ومن الأخوة الذين تولوا الملك بعد اخوتهم يزدجرد بن شابور بن شابور ذي الأكتاف . وهو المعروف بيزدجرد الأثيم . وسبب توليه الملك أن أخاه بهرام بن شابور بن شابور^(٢) مات ولم يترك عقباً ذكراً فاضطر أن يعهد إلى أخيه الأصغر يزدجرد بالملك^(٣) .

وكان الأمر يخرج أحياناً من أبناء الملك أو اخوته إلى من عداهم من ينتسبون إلى الأسرة الملكية كما حدث في تولية زو بن طهماسب ، فإن سلفه نوذر كان له ولدان طوس وكستهم ولكنهما لم يكونا صالحين للملك فاستقر

(١) الشاهنامه : ص ٢٠٦٤ ج ٧

(٢) ٣٨٨ — ٣٩٩ م

(٣) ٣٩٩ — ٤٢٠ م

رأى الإيرانيين على تنصيب زو بن طهماسب^(١). وكان زو حين تولى الملك شيخاً جاوز الثمانين من العمر .

وفي مرة أخرى اختير كيقباد رأس الأسرة الساسانية للملك . وكان ذلك بعد أن مات غرشاسب آخر ملوك الپيشدادية ، وبقي الملك شاغراً فترة فجمع زال الأعيان والأشراف ورجال الدين وكبار رجال الدولة وشاورهم في أمر من يتولى الملك فأشار عليه الموبذ بكيقباد . وكان كيقباد ينتهي في نسبه إلى افریدون . فأرسل اليه زال ابنه رستم يبشره بالملك ويدعوه إلى القدوم اليهم .

ولم يكن الملك وفقاً على الرجال دون النساء في العهود التي تختفي فيها الكفاءات الممتازة والشخصيات القوية بين الرجال كان النساء يرتقين العرش . وحين اعتري الدولة الساسانية الضعف في أواخر عهدها رأينا من الملكات اللاتي ارتقين العرش بوران بنت كسرى ابرويز (پرويز) وقد ملكت ستة أشهر^(٢). ثم آزرم بنت كسرى ابرويز كذلك ولم يزد ملكها على أربعة أشهر^(٣).

ولنا بعد هذا أن تتساءل لماذا لم يفكر الملوك في وضع نظام دقيق ثابت لولاية العرش وخاصة في عهد الدولة الساسانية التي جعلت لكل ناحية من نواحي الحياة نظماً مرعية وأصولاً لا يحجب الناس عنها؟ ويجيبنا تنسر في رسالته إلى جشنسف ملك طبرستان على هذا التساؤل فيقول إن الناس يلتفون عادة

(١) في بعض الروايات الأخرى غير رواية الشاهنامه أن زو هو ابن نوذر لا ابن طهماسب .

(٢) الشاهنامه : ص ٢٩٥٦ ج ٩

(٣) الشاهنامه : ص ٢٩٥٨ ج ٩

حول ولى العهد يرمقونه بعين الإكبار والإجلال ويكثر حوله المنافقون المخادعون وقد يكون ولى العهد صغيراً أو قليل التجربة فيركبه الغرور ويتمسكه العجب بنفسه فيندفع إذا صار ملكاً فى طريق الضلال ويأتى من الحماقات ما لا يأتىه ملك خلت نفسه من الغرور والكبر . ثم إن عمر الملك قد يطول ، ويطول معه انتظار ولى العهد ، وإذا طال انتظار ولى العهد للملك تغير قلبه على الملك وقد يغريه أهل السوء بالخروج عن طاعته فتقع بذلك الفتن والحروب التى يختل بها أمر البلاد . ودفعاً لما قد ينشأ عن تعيين ولى للعهد من مفسد رأى أردشير أن يكتب الملك وصيته إذا ما دنا أجله من ثلاث نسخ . ويختار فى هذه الوصية من يخلفه . ويبقى اسم خلفه بطبيعة الحال سراً لا يطلع عليه أحد . وتسلم إحدى النسخ إلى كبير الموازنة ، والثانية إلى كبير الكتاب والثالثة إلى كبير القواد ، فإذا توفى الملك اجتمع هؤلاء الثلاثة وفضوا الاختام فإذا اتفقوا على من عين فى الوصية أعلنوا ذلك للناس وإذا اختلفوا اکتّموا الأمر ورجع كبير الموازنة إلى رجال الدين والحكماء وسائر أهل الرأى حتى تتفق كلمتهم ^(١) .

وإذا لم يكن تولى الملك أمراً دقيقاً كما رأينا ، وإذا لم تكن وراثته الملك مقررة فى شخص بعينه فليس معنى هذا أن الملك نفسه غاية سهولة المنال لكل طموح وطامع فقد دأب الفرس على اعتبار الملك حقاً محصوراً فى دائرة محدودة جداً هى دائرة الأسرة الملكية نفسها وليس يحق لأى واحد من أفراد الشعب

(١) كتاب تنسر : ص ٥١ وما بعدها الترجمة العريضة للدكتور

أن يرتقى العرش مهما يكن شأنه . وقد رأينا فيما سبق أنهم ولوا الطفل الرضيع ولم يخطر ببالهم أن يولوا واحداً لا ينتمى إلى أصل ملكى . وكانت فكرتهم فى هذا أن الملك منحة الهية خصت بها الآلهة فئة معينة من الناس هم الملوك ومن ينتمون اليهم . فمن كان من أصل ملكى حق له أن يملك ومن لم يكن كذلك فلا حق له فى الملك مهما تكن مزاياه ومقدرته ، وإذا ملك بحكم القوة فهو معتصب . وهذا ما يعرف بالحق الإلهى المقدس للملوك . وقد نتج عن هذه الفكرة أنهم نظروا إلى الملوك نظرة تقديس ما دامت الآلهة قد خصتهم دون سواهم بالملك ، واعتبروا ما يأمر به الملك وما يصدر عنه قوانين واجبة التنفيذ ، كما اعتبروا أن مخالفة هذه القوانين إثم فى حق الآلهة .^(١) وكانت الديانة الزردشتية لهذا السبب توجب على معتنقيها أن يدينوا للملوك بالطاعة والولاء . وقد نقلت الشاهنامه عن زردشت أنه يقول فى الأوستا والزند من عصى الله وخرج على طاعة الملوك وجب نصحه ووعظه سنة فإن لم يعد بعدها إلى الطريق السوى وجب قتله بأمر الملك^(٢) . ولهذا السبب كانت طاعة الملوك والتسليم لهم دون سواهم بحق الملك عقيدة راسخة فى قلوب الفرس وتستمد هذه العقيدة قوتها من تعاليم الديانة الزردشتية نفسها . وتروى الشاهنامه أن گشتاسپ حين أراد أن يتخلص من ولده اسفنديار لمزاحمته إياه على الملك وجهه إلى حرب رستم فى زابلستان وطلب منه أن يأتى به أسيراً . فأطاع اسفنديار وتوجه إلى زابلستان فنصحه أخوه بشوترن أن يعدل عن مقاتلة رستم

(١) قصة الحضارة الفارسية : ص ٢٩ ول دورانت وترجمة الدكتور ابراهيم أمين .

(٢) الشاهنامه : ص ٢٧٢٣ ج ٩

فإنه هالك إن فعل . ولكن اسفنديار وقد رسخت في قلبه عقيدة الطاعة للملك أعرض عن نصح أخيه وذكره بما يأمر به دين زردشت من طاعة الملك ، وبما ينذر به العصاة من العذاب في الجحيم ^(١) . وكان من جراء تمسك اسفنديار بطاعة الملك وإعراضه عن نصح أخيه أن لقي حتفه على يد رستم .

وكان بهرام چوبين على عظم قدره في الدولة الساسانية وسابق خدمته للملكها غير جدير بالملك في نظر الناس لأنه لم يكن من سلالة الملوك . وحين ساء الأمر بينه وبين ملكه هرمزد (هرمز) استشار أصحابه في أن ينصب نفسه ملكا على البلاد فشجعوه على هذا تملقا اليه لما رأوه في نفسه من الميل إلى هذا الأمر إلا أخته فإنها حين استشارها سفهت رأيه وحذرت عاقبة الغرور ونهته عن مجارة أصحابه الذين يتملقونه ويغررون به ويدفعونه إلى الهلكة ، وذكرت به أنه ليس من سلالة الملوك وأنه لهذا لا يصلح للملك ولا يليق به أن يغتر لسابق انتصاراته في الحروب ، وأن من قبله كانوا أشد بأسا وأصعب مراسا ومع ذلك هلكوا دون الملك ، وأن الحكمة تقضى عليه أن يرتد عن الغنى ويعود إلى طريق الحق فيسمع ويطيع ، ويطلب من الملك الصفع والمغفرة . وهذا يدل على نظرة الناس إلى الملك وإلى من يحق له أن يكون ملكا ، وأنه لا الحسب الرفيع ولا البلاء المجيد في الحروب ولا الثراء والجاه بشافع للانسان إذا طمح إلى الملك لأن كل هذه الاعتبارات البشرية لا يمكن أن ترقى إلى الإرادة الالهية التي شامت فقضت بالملك لفئة خاصة من الناس دون سواها . وبما يجب أن نذكره في هذا الصدد أن بهرام چوبين كان يفهم جيدا هذه

العقيدة في نفوس الناس فاسـتغلها في حربته مع پرويز حين تقابل الجيشان بالنهروان » إذ دنا بهرام من صفوف كسرى پرويز وصاح بأعلى صوته تبا لكم يا معشر العجم في خلعكم ملككم . أيها الناس توبوا إلى ربكم مما فعلتم وانحازوا إلى بجماعتكم حتى نرد السلطان على ملككم قبل أن ينزل الله نقمته عليكم . فلما سمع أصحاب كسرى ذلك قال بعضهم لبعض والله قد صدق بهرام وإن الأمر لعل ما قال فهلوا بنا نتلاف أمرنا ونصلح ما كان منا باجابه بهرام إلى ما رأى فانحازوا جميعا فانضموا إلى بهرام .^(١) وكان ينسب إلى پرويز أنه تواطأ مع بعض رجاله على خلع أيه هر مزد واستيلائه على الملك مكانه . ولذا مال جند پرويز إلى معسكر بهرام مما حقق له النصر . ورجع پرويز خائبا ولم يجد بدا من الفرار إلى قيصر الروم للاستعانة به على بهرام . فانضمام الجند إلى بهرام كان راجعا إلى شغورهم بأحقية الملك المخلوع في الملك ووجوب إعادته إلى العرش . وحين وصل پرويز إلى بلاد الروم لقي الترحيب والإكرام وأمدته قيصر بجيش ضخم يسترد به ملكه من غاصبه . وعند ما تقابل الجيشان أعلن كسرى پرويز أنه قد أمن من ينضم إليه من جند بهرام . فلما سمع الجند ذلك واطمأنوا إلى الأمان على أنفسهم وأهلهم وأموالهم عاودهم الحنين إلى ملكهم فانسل أغلبهم بالليل من معسكر بهرام إلى معسكر كسرى . ولما أصبح الصباح ورأى بهرام ما فعله جنده به لم يجد أمامه بدا من الفرار . ويلاحظ هنا أن الجند انضموا إلى بهرام في أول الأمر رغبة في إعادة الملك الشرعي وإيماناً بما ادعاه لهم بهرام ، وأنهم تخلوا عن بهرام آخر الأمر تفضيلا للملك عليه . ومهما يكن

مافعله پرويز ازاء أبيه فإنه على كل حال ملك من بيت الملك وليس بهرام كذلك وتأيد الملك أوجب من تأيد العاصي الثائر .

وانتهى الأمر بهرام وبمن معه أثناء فرارهم إلى قرية من القرى فدخلوا دارا لعجوز قدمت اليهم مالدتها من الطعام والشراب ، فلما طعموا وشربوا جلسوا إلى العجوز يحدثونها وهي لا تعرف شخصياتهم ويسألونها عما لديها من الأخبار عن قتال بهرام وپرويز . فروت لهم ما بلغها من انهزام بهرام وانتصار پرويز وسفقت فعلة بهرام وتنبأت له بالخيبة والفشل لأنه تجرأ على عصيان ملك البلاد . وأبدت رأيها في بهرام فقالت : « جاهل أحق يدعى الملك وليس من أهل بيت المملكة . » (١)

وأخذ بهرام يتنقل في البلاد هاربا حتى وصل إلى الخاقان فاحتفى به وأقام عنده وحاول پرويز أن يغري الخاقان بقتل بهرام فلم يفلح ؛ فلبجأ إلى امرأته الخاتون وأنفذ إليها من حذرهما من بهرام وجسم لها خطره على زوجها الخاقان وعلى ملكه ، فاستجابت الخاتون لهذا التحذير وأنفذت إليه من طعنه وقتله . ولما سمع من بيابه صراخه دخلوا عليه وكانت أخته كرده بين من دخل فرأته على تلك الحال فلطمت خدها وقالت يا أخى هذا جزاء من كفر أولياء النعمة وعصى الأرباب وحارب الملوك . (٢)

وحتى حكام الأقاليم جرت العادة فى العهد الساسانى أن يكونوا من الأسرة الملكية . وكان على أبناء الملك أن يتولوا الحكم فى تلك الأقاليم حتى

(١) الاخبار الطوال : ص ٩٤

(٢) الفرر : ص ٦١٢

يكون لهم في هذا تمرين ينفعهم في المستقبل إذا ما صارت اليهم مقاليد الأمور في البلاد . وكانوا يعتبرون الأمراء الذين لم يسبق لهم حكم إيالة من الإيالات ناقصي التجربة مما يطعن في مقدرتهم على تولى شئون الملك ^(١) .

صفات الملك :

يجب أن يتحلى الملك بالأخلاق الفاضلة ، ويعمل على إعلاء شأن الدين ، ويفي بالعهد ، ويتجه إلى الخير ، ويعدل بين الناس ، ويجب عليه أن يكون سخيا بعيداً عن الحرص والطمع ، لا يخشى الحق ، ولا يخيف الرعية ، رحيماً ، معيناً للفقراء من الفلاحين فيهم ما يحتاجونه في زراعتهم من آلات الزرع والأغنام ، مشجعاً على إنشاء المؤسسات الخيرية العامة ^(٢) .

ومن كان هذا شأنه من الملوك وجبت إطاعته لأن إطاعة الملك العادل المستقيم أمر من الأمور المذهبية . ويقصد زردشت بالملوك الذين تلزم إطاعتهم أولئك الملوك الذين يسلكون في ملكهم سبيل الخير والمصلحة العامة . ومن واجب الناس جميعاً أن يتوجهوا بالدعاء والشكر للملك العادل لأن مثل هذا الملك يستطيع أن ينقذ الأمة والمملكة من مخالب الشياطين ، ومن القحط والخراب . ومن بين الأدعية الزردشتية التي كررتها الأفاستا الدعاء للملك الصالح . ويقوم الزردشتيون من قديم الزمان حتى اليوم بالدعاء للملك بين أدعيتهم اليومية . وكانوا يعدون يوم مولد الملك عيداً من الأعياد القومية العظيمة ^(٣) .

(١) كريستنسن : ص ٦٢

(٢) أخلاق إيران باستان : ص ٣٧

(٣) نفس المصدر : ص ٣٦

وإلى جانب الصفات الخلقية والروحية التي يتصف بها الملك أضيفت الصفات الجسمية . فكان يشترط فيمن يتولى الملك أن يكون سليم الجسم كامل الخلقة لا تشوبه من هذه الناحية شائبة . ومن ذلك مثلا أن كسرى أنوشيروان لم يكن أكبر أبناء قباد ولكنه اختير للملك بعد أبيه رغم أن جم بن قباد كان محبوبا من الناس خليقا أن يقوم بأمر الملك لولا ما كان به من عور .

ومما اصطنعه الملوك للعناية بأجسام أبنائهم وعقولهم وأرواحهم اتخاذ المدرسين الذين يدرّبونهم على الفروسية وأساليب القتال، والطرّد والصيد واتخاذ المربين الحكّماء الذين يصقلون عقولهم ويهذبون نفوسهم كما كانوا يعنون باختيار ندمائهم وجلسائهم من بين العلماء والأذكياء وأهل الصلاح .

مراسم توليهم الملك :

كان الملك إذا تولى الملك جلس على التخت واعتصب بالتاج وأذن للناس إذنا عاما فيدخلون عليه ، فيخطبهم خطبة عامة يشرح فيها سياسته ويعدّهم بشقّى الوعود ويدعوهم إلى التزام الطاعة والولاء ، وينذر العاصين والمفسدين . ولما تولى بهرام جور (گور) الملك ^(١) استقبل الناس على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم سبعة أيام . وكان طيلة هذه الأيام السبعة ينصح ويعظ، ويعد وينذر، ويمنى ويهدد . فلما جاء اليوم الثامن دعا إليه الكاتب وأمره أن يوجه كتابا إلى كل كبير وأمير في كل مقاطعة وإقليم يخبرهم باعتلاء بهرام العرش ويبعث إليهم بنصائحه وتوجيهاته ^(٢) . وحين ارتقى كسرى أنوشيروان العرش خطب الناس

(١) ٤٢٠ — ٤٣٨ م

(٢) الشاهنامه : ص ٢١١٦ ج ٧

خطبة طويلة مملأها بالعظات والنصائح حتى اذا فرغ من القاها كان الخلق كلهم فى دهش من روعة مقالته وهبوا من أماكنهم يهتفون له ويشتمون عليه^(١). وكذلك كان دأبهم اذا تولوا الملك جمعوا الناس وخطبوا فيهم . فكانت خطبهم تلك أشبه بما نسميه فى وقتنا الحاضر بخطب العرش . ويحدثنا ابن عبد ربه عن أردشير بن يزدجرد لما استوثق له الأمر فيقول انه جمع الناس وخطبهم خطبة حضهم فيها على الالفة والطاعة وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة وصنف لهم الناس أربعة أصناف^(٢) . ولما فرغ أردشير من حديثه خروا له سجداً وتكلم متكلمهم فأخذ يدعو له بالنصروالتأييد ويثنى عليه بما يجب فى مثل هذا المقام^(٣). وكانوا فى مثل هذه الاحتفالات يعدون العرش للملك ، ويلقون فوقه التاج ، ويصفون كراسى الذهب حوله وفق نظام معين .

الآداب والاعادات المتصلة بالملوك :

كان من عاداتهم إذا جلس الملك على العرش أول توليه أن يدخلوا عليه لتحيته والدعاء له . وكانوا فى هذه المناسبة ينثرون عليه الجواهر والنفارات المختلفة من ذهب وفضة تحية له . وعندما رفعوا سابور ذا الأكتاف إلى العرش وعلقوا فوقه تاج الملك أخذوا ينثرون عليه الذهب والدرهم^(٤) .

(١) الشاهنامه : ص ٢٣١١ ج ٨

(٢) لعل المقصود من هذه العبارة أنه بين لهم الطبقات الأربع التى يتألف منها المجتمع .

(٣) العقد الفريد : ص ١٣٢ ج ٢ ط لجنة التأليف ١٩٤٠ م

(٤) الشاهنامه : ص ٢٠٢٨ ج ٧

وكذلك كانوا يثرون هذا النشار إذا قاموا على الملك . وفي إحدى حروب كسرى أنوشيروان مع قيصر ملك الروم طلب هذا الأخير الصلح ، فأوفد إلى أنوشيروان وفداً يعقد الصلح مؤلفاً من أربعين فيلسوفاً من فلاسفة الروم يحمل كل واحد منهم ثلاثين ألف دينار لينثروها في حضرة كسرى ^(١) .

وكذلك كان يفعل خاقان الترك فإنه أوفد إلى كسرى وفداً يطلب أن يزوجه إحدى بناته ليتقى بذلك غزوه لبلاده وهجماته ، وجهر الوفد بثلاثين ألف دينار برسم النشار .

وكان رسل كسرى إلى غيره من الملوك يفعلون ذلك أيضاً . وعند ما أرسل پرويز رسله إلى قيصر الروم ليستعين به في حربه ضد بهرام چوبين زودهم بالجواهر الثمينة فلما أدخلوا عنده دعوا له ونثروا تلك الجواهر عند عرشه ^(٢) .

وكان للدخول على الملك والانصراف من حضرته آداب تتبع . فإذا كان الداخل من الأشراف والطبقة العالية سلم الملك عليه قائماً فإذا استدناه فعليه أن يقرب منه ويكب على أطرافه يقبلها ثم يعتدل واقفاً يأخذ مكانه المخصص له في حضرة الملك ، ويظل واقفاً إلى أن يشير إليه بالعود . أما إذا كان الداخل من الطبقة الوسطى فعليه إذا استدناه الملك أن يدنو خطى ثلاثاً أو نحوها ثم يقف فإذا استدناه الملك بعد ذلك دنا بالقدر الذي دنا به أولاً . وإذا كان الداخل على الملك مساوياً له في المكانة فعليه أن يقوم له وأن يتقدم إليه لاستقباله ويعانقه ويأخذ بيده حتى يجلسه في مجلسه ^(٣) .

(١) الشاهنامه : ص ٢٥٤٩ ج ٨

(٢) الشاهنامه : ص ٢٧٤٣ ج ٩

(٣) التاج : ص ٨ ط الأميرية ١٩١٤ م

وقد يزيد الملوك على هذا فيخرجون لاستقبال القادم إذا كان رفيع المنزلة كما فعل سياوش عند ما وفد عليه كرسيز من قبل أخيه افراسياب . وكان سياوش قد أقام في بلاد التوران وتزوج ابنة افراسياب . ورأى افراسياب أن يوفد أخاه كرسيز ليطمئن عليهما ويحمل اليهما الهدايا . ولما بلغ سياوش خبر قدوم كرسيز ركب في جنده ورجاله وخرج لاستقباله وصحبه حتى دخل معه القصر .^(١) وقد يوفد الملك من ينوب عنه في استقبال القادم . ومن ذلك أن كيخسرو لما تولى الملك وجلس على العرش توجه إلى تهنشته رستم وأبوه دستان وابنه فرامرز . ولما نمت إلى علم كيخسرو نبأ قدومهم سر بذلك وأوفد اليهم طوس وگودرز وگيو فاستقبلوهم على مسيرة يومين وعادوا معهم إلى حضرة الملك .^(٢)

وكان من آداب الدخول على الملك أن يقبل الداخل الأرض ويضع الجبهة على التراب كما فعل زال عندما مثل بين يدي منوچهر .^(٣) وحين دخل سياوش على أبيه كيكاوس وهو جالس على عرشه خر إلى الأرض وبقى ساجدا حتى أشار إليه أبوه فاعتدل .^(٤) أما إذا كان الداخل من العوام فعليه بعد أن يعتدل أن يقعد على ركبتيه فوق الأرض . ولم يكن الملوك يفعلون هذا مع غير العوام . ولما أراد كرسيز أن يوغر صدر أخيه افراسياب على سياوش حقدًا منه وحسدًا ادعى أنه آخر لقائه ثلاثة أيام بعد وصوله إليها

-
- | | | | | |
|-----|-----------|---|-------|-----|
| (١) | الشاهنامه | : | ص ٦٣٠ | ج ٣ |
| (٢) | الشاهنامه | : | ص ٧٦٧ | ج ٣ |
| (٣) | الشاهنامه | : | ص ٢٠٦ | ج ١ |
| (٤) | الشاهنامه | : | ص ٥٢٩ | ج ٣ |

وأنه عندما دخل عليه أقعده على ركبته فذارت ثائرة افراسياب لهذه الإهانة التي لحقت أخاه ورسوله كرسوز .^(١)

* * *

وكان للبلوك علامات إذا أرادوا أن ينصرف من في حضرتهم فإذا تشاءب الملك أو القى المروحة أو مدرجليه أو تمطى أو اتكأ وجب على الحاضرين أن ينصرفوا . وكان أردشير بن بابك يتمطى فيفهم زواره وينصرفون . وكان گشتاسپ إذا ذلك عينيه خرج من عنده . وكان يزدجرد الأثيم يعلن إلى ضيوفه أن الليل قد مضى « شب بشد » فينصرفون . وكان بهرام جور إذا قال « خرم خفتار ، قام سماره . وكان قباد يرفع رأسه إلى السماء . وكان سابور يقول « حسبك يا إنسان » . وكان أنوشيروان يقول لزواره قرت أعينكم .^(٢)

* * *

وكان من الآداب التي يجب أن يراعها مجالسو الملك أن يخفضوا من أصواتهم فإن خفض الصوت في حضرة الملك أدل على مهابته وأبلغ في الإبانة عن هيئته . وقد أدب الله أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الأدب فنهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم واتم لا تشعرون » . ثم أثنى على من غض صوته بحضرة الرسول فقال « إن الذين

(١) الشاهنامه : ص ٦٣٧ ج ٣

(٢) التاج : ص ١١٨

يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ،

وكان التزام الآداب المرعية في مجلس الملوك أمرا مفروضا على الحاضرين سواء حضر الملوك المجلس أم لم يحضروه . وكانوا إذا غابوا عن المجلس اتخذوا لهم عيونا يراقبون حركات الجالسين وألفاظهم وإشاراتهم فإن كان سلوك الجالس هو نفس السلوك الذى يسلكه في حضرة الملك سمى ذا وجه وكان عند الملك من المقربين . وإن كان سلوكه مخالفا لما يكون منه في حضرة الملك سمى ذا وجهين وكان عنده من المبغضين . (١)

* * *

وكان ملوك الفرس لشعورهم بامتيازهم على سائر الناس ، ولشعورهم بأنهم خصوا دون سواهم من البشر بحق الملك المستمد من الآلهة يحبون أن ينفردوا بجملة أشياء لا يشركهم فيها ندمائهم أو جلسائهم ليكون هذا دليلا على ارتفاع منزلتهم ، فإذا تطيب الملك مثلا وجب على خاصته ألا يقربوا الطيب لينفرد الملك بالتطيب . ويذكر صاحب التاج أن أولى الأمور بأخلاق الملك - إذا أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشرك فيها أحدا فإن البهاء والعز والأبهة في التفرد . ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك لم يكن شيء أحب اليهم من أن يفعلوا شيئا تعجز عنه الرعية أو يتزبوا بزي ينهون الرعية عن مثله . فمن ذلك أردشير بن بابك ، وكان أنبل ملوك ساسان ، كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب ريجان متشبيها به ،

وكان إذا ركب في لبسة لم ير على أحد مثلها ، وإذا تختم بخاتم فحرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفص وإن بعد في التشابه . وهذه من فضائل الملوك ، وطاعة أهل المملكة أن تتحامى أكثر زى الملك وأكثر أحواله وشيمه ^(١) .

وكان ملوك الأعاجم إذا احتجموا منعوا الناس من الحجامة في نفس اليوم ويقولون في ذلك « إذا أراق الملك دمه فليس لأحد أن يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوى الملك في فعله بل على الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك والتشاغل بطلب سلامته وظهور عافيته وكيف وجد عاقبة ما يعالج به » ^(٢) . وكانوا يرون أن من فعل ذلك في نفس اليوم فقد اجتراً على الملك واستهان به لأنه أراد أن يشركه في فعله ، ومن أراد أن يشرك الملك فقد عصى وفارق الشريعة . ويروى صاحب التاج عن كسرى أنوشيروان أنه كان يحتجم في يوم السبت . وكان المنادى ينادى كل سبت « يا أهل الطاعة ليكن منكم ترك الحجامة في هذا اليوم على ذكر ويا حجامون اجعلوا هذا اليوم لنفسائكم وغسل ثيابكم » . وكذلك كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء ^(٣) .

وكان من الآداب التي تفرض على مجالسى الملك أنه إذا عطس لا يشمتونه استعلاء منه وترفعوا . وإذا دعا لم يؤمن على دعائه لأن دعاءه في غير حاجة إلى تأمينهم . وكانت ملوك الأعاجم تقول « حقيق على الملك الصالح أن يدعو

(١) التاج : ص ٤٦

(٢) نفس المصدر : ص ٩٠

(٣) نفس المصدر والصفحة :

للرعية الصالحة وليس بتحقيق للرعية الصالحة أن تدعو للملك الصالح لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاء الملك الصالح . (١) وفي هذا ما يرينا كيف كان ملوك الفرس القدماء يرفعون أنفسهم فوق مراتب الناس وكيف كانت الصلة بينهم وبين الله متينة قوية فلا يحتاجون إلى دعاء الرعية لهم وإن احتاجت الرعية إلى دعائهم لها ، وكيف كانوا يعتبرون أن أقرب الدعاء إلى الله دعاء الملك الصالح .

* * *

وكان من الآداب المتبعة في حضرة الملك ألا يبدأه أحد من الحاضرين بالكلام . والملك هو الذى يبتدىء الكلام ، فإذا أخطأ أحد الحاضرين وابتدأ نُبِه إلى ذلك فإن عاد إلى هذا الخطأ أسقط الموكل بأمر الدار مرتبته فلم يظأ بسلط الملك .

* * *

وبما كان يستحب في بطانة الملك القناعة والتعفف . وكان شيرويه بن ابرويز يقول « إنما تعذر البطانة برفع حوائجها إلى الملوك عند ضيقة تكون أو عند جفوة تنالهم من ملوكهم أو عند موت يحدث لهم أو عند تتابع أزمة فإذا كان ذلك فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسد خلتهم . فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها ومن خفض العيش في أرفع خصائصه ومن ذات اليد وإدراار العطايا في أتم صفاتها ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة فالذى حداه على ذلك الشره والمنافسة . ومن ظهرت هاتان منه

كان جديراً أن تنزع كفايته من يده وتصير في يد غيره وينقل الى الطبقة
الخسيسة فيلزم أذنان البقر وحرارة الأرض . (١)

* * *

ومما يلزم جليس الملك وملازمه أن يتأدب به في حضرته حسن الإصغاء
ومن علامات حسن الإصغاء أنه إذا سمع حديثاً من الملك وكان يعرفه من قبل
تظاهر بالجهل به وأنه يسمعه للمرة الأولى وأبدى السرور لما ناله من الفائدة
بهذا الحديث وإقبال الملك عليه . (٢)

ويصور لنا صاحب التاج (٣) ما تكون عليه حاشية الملك من الترتيب
والنظام والأدب اذا خرجوا معه فيقول : وفيما يحكى عن أنو شيروان (٤) أنه
بينما هو في مسيره له ، وكان لا يسايره أحد من الخلق مبتدئاً ، وأهل المراتب
العالية خلف ظهره على مراتبهم فإن التفت يمينا دنا منه صاحب الحرس وإن
التفت شمالاً دنا منه الموبد فأمره بإحضار من أراد مسايرته . فالتفت في مسيره
هذا يمينا فدنا منه صاحب الحرس فقال فلان . (٥) فأحضره فقال حدثني عن
أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر . وكان الرجل قد سمع من أنو شيروان

(١) التاج : ص ٥٠

(٢) نفس المصدر : ص ٥٣

(٣) والمسعودى أيضاً في المروج : ص ٢١٩ ج ٢

(٤) المسعودى ينسب القصة إلى شيرويه بن ابرويز .

(٥) اسمه في الطبعة المصرية للمروج شداد بن جرثمه وفي الطبعة الأوربية

ج ٦ ص ١٢٤ - ١٢٦ بندار بن خرشيد . ولا شك أن الاسم الوارد في الطبعة المصرية

محرف وتشابه الحروف بين الاسمين قريب يسهل هذا التحريف .

هذا الحديث مرة فاستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه فحدثه أنو شيروان بالحديث فأصغى الرجل اليه بجوارحه كلها وكان مسيرهما على شاطئ نهر وترك الرجل - لإقباله على حديثه - النظر إلى مواطىء حافر دابته فزلت إحدى قوائم الدابة فمالت بالرجل إلى النهر فوقع في الماء ونفرت دابته فابتدرها حاشية الملك وغلبانه فأزالوها عن الرجل وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه فاغتم لذلك أنو شيروان ونزل عن دابته وبسط له هناك فأقام حتى تغدى في موضعه ذلك . ودعا بثياب من خاص كسوته فألقيت على الرجل وأكل معه وقال له : كيف أغفلت النظر إلى مواطىء حافر دابتك . قال أيها الملك إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة قابلها بمحنة وعارضها ببلية وعلى قدر النعم تكون المحن وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين هما : إقبال الملك على بوجهه من بين هذا السواد الأعظم ، وهذه الفائدة وتدير هذه الحرب التي حدث فيها عن أردشير حتى لو رحلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب كنت فيه رابحاً . فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد قابلتهما هذه المحنة . ولولا أساورة الملك وخدمه وحسن جده كنت بمعرض هلكة وعلى ذلك فلو غرقت حتى أذهب عن جديد الأرض كان قد أبقى لي الملك ذكراً متلداً مخلداً ما بقي الضياء والظلام فسر الملك وقال : ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه فخشا فمه جوهراً ودرأاً رائعاً ثميناً واستبطنه حتى غلب على أكثر أمره ^(١) .

* * *

وكان من عادات الفرس أن يتيمنوا باسم الملك فيقولون كلما أقدموا على

أمر هام تفعل هذا بسعادة الملك وباسمه . وكان الفارسي إذا أهمل التيمن باسم الملك وبسعادته عد ذلك منه اهمالا في حق الملك وضعفا في الإيمان به ورغبة في الخروج على سلطانه . واذا بلغ الملك ذلك عن كبير من كبرائه أو قائد من قواده أنزل عليه غضبه كما فعل مع بهرام چويين فإنه لما خرج لمحاربة ملك الترك من قبل الملك هرمزد عاهد نفسه أن يجتز بسيفه رأس ملك الترك ويرميه بين عسكريه ولكنه نسي أن يفتح هذا العهد باسم الملك ويصدر هذا القسم بسعادته . وعرف صاحب الخبر ذلك فأدرك أن بهرام متى ظفر على عدوه انقلب على ملكه . وأنهى ذلك إلى هرمزد فأهمه الأمر وبعث إلى بهرام رسولا يطلب اليه العودة لمباحثة الملك في أمر عرض له . ولكن بهرام اعتذر إلى الرسول عن العودة معه لأنهم كانوا يتطيرون إذا خرج المحارب للقاء عدوه ثم رجع قبل أن يلقاه ^(١) .

* * *

وكان ملوك الفرس يتخذون من وقت الأكل فرصة لدراسة شخصية مؤاكلهم ، فإذا بدا على المؤاكل الشره والنهم أسقطوا قدره عندهم وحقروا شأنه . ويروى أن شابور ذا الأكتاف لما مات كبير موابدته رشحوا له شخصا آخر وصفوه بالعلم والأمانة والصلاح فأراد شابور أن يستوثق من صحة ما بلغه عنه قبل أن يعهد اليه بذلك المنصب الخطير فدعاه إلى مؤاكلته ولم يفتن الرجل إلى ما ينبغي أن يتحلى به مؤاكل الملك فأظهر الشره والنهم . ولما انتهى الأكل ورفعت المائدة قال له شابور « ودع وانصرف إلى بلدك فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون من شره بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى

أموال الرعية والسوقة والوضعاء أشد شرها . (١)

وقد استن ملوك الفرس عادة عند تقديم موائد الطعام هي الزمزمة والامتناع عن الكلام فإذا اضطروا الى التعبير كان تعبيريهم اشارة تغنى عن الكلام وايماء يدل على المقصود ويقال أن كيومرث أول من أمر بالسكوت عند الطعام . (٢) ثم انتشرت هذه العادة بينهم بعد ذلك . وكانوا يقولون « إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم فينبغى للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويشغل روحه وجوارحه فيه لأن تأخذ كل جارحة بقسطها من الطعام فيغتذى بها البدن والروح الحيوانية التي في القلب والطبيعة التي في السكبد اغتذاء تاما وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً . » ويذكر صاحب التاج أنهم قد ذكروا في آيينهم فضائل كثيرة في ترك الكلام على الطعام (٣) .

* * *

ومن عادة ملوك الفرس القدماء إذا أرادوا أن يستشيروا وزراءهم في أمر من الأمور أن يكون ذلك على انفراد مع كل وزير على حدة . وكانوا يكرهون استشارتهم مجتمعين حتى لا يكون للنافسة بينهم دخل فيما يقترحون ويشيرون . وقد يبدي أحدهم رأياً صائباً يروق للملك فيكون ذلك مدعاة لأن يحسده زملاؤه ويغاروا منه فيدبروا الدسائس ضده . كما أن هناك من الأمور ما لا يحسن طرحه للنقاش علناً حتى لا يذيع وينتشر . ولهذا الأسباب كانوا

(١) التاج : ص ١٦

(٢) المروج : ص ١٣٧

(٣) التاج : ص ١٩

يفضلون دعوة كل وزير على حدة ، دون أن يعلم الآخرون ، ليستشيروه فيما يريدون ^(١) .

* * *

وكان الرسل يلقون عناية كبيرة من الملوك واهتماما بالغاً بشأنهم إذ أنهم ألسنتهم الناطقة وعيونهم الفاحصة في كل مكان يوجهون إليه . وعند ما يتجه رسول من الرسل إلى ملك الفرس يقوم حاكم الحدود بإبلاغ الخبر إلى الملك بمجرد أن يعبر هذا الرسول الحدود . وكان على حكام الولايات التي يمر بها هذا الرسول أن يكرموا وفادته ويهينوا له المنازل اللائقة بسكناه . وحين يصل الرسول إلى قصر الملك يستقبله أحسن استقبال ويشرع معه في شتى الأحاديث فيستفهم منه عن رحلته وكيف كانت وعن قومه وبلاده ثم يدعوهم إلى النزول في ضيافته في أحد القصور المعدة لذلك . ويبالغ في إكرامه أثناء إقامته ويشركه في مجالس أنسه ويصحبه معه إلى متصيده ^(٢) .

وكان ملوك الفرس إذا أرادوا اختيار سفير لهم أو رسول امتحنوه امتحاناً دقيقاً قبل أن يثقوا به ويعهدوا إليه بمهمة السفارة . ومن ألوان هذا الامتحان الذي كانوا يتخذونه لمعرفة صلاحيتهم لهذه المهمة الخطيرة أنهم كانوا يوجهون الرسول أولاً إلى بعض خاصة الملك ورجال حاشيته وينفذون من يراقبه سرّاً في تأدية الرسالة التي عهد بها الملك إليه ، فإذا أدى الرسول الرسالة كما ينبغي من الدقة والصدق والإبانة اطمأن الملك إليه واتخذته رسولا له عند

(١) نهاية الأرب : ص ٧٣ ج ٦

(٢) الشاهنامه : ص ١٩٨٦ ج ٧

أعدائه وجعل عليه عيناً يراقبه ويحفظ ما يقوله ويرفع عنه تقريراً الى الملك فإذا جاء التقرير عنه مرضياً ، وأنه أدى الرسالة كما يلغى أن تؤدي وأنه قام بالسفارة على خير ما يقوم بها السفير وثق به الملك وجعله بعد هذا رسولا له الى كافة الملوك . وينقل صاحب التاج عن أردشير بن بابك أنه كان يقول : على الملك اذا وجه رسولا الى ملك آخر أن يردفه بآخر وإن وجه رسولين أتبعهما باثنين وإن أمكنه ألا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة ولا يتعارفان فيتواطأ فعل ثم عليه إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر أن لا يحدث في ذلك خيراً أو شراً حتى يكتب اليه مع رسول آخر يحكى له ما في كتابه الأول حرفاً حرفاً ومعنى معنى فإن الرسول ربما حرم بعض ما أمل فافعل الكتب وحرص المرسل على المرسل اليه فأغراه به وكذب عليه ^(١) .

وكان من علامات إكرام الرسول عندهم أن ينزلوه في منزل قريب من موضع الملك وإلا كان ذلك اهانة واحتقاراً . وعند ما مات ملك الروم أرسل كسرى أنوشيروان الى ابنه الذي تولى الملك بعده يغزيه . وكان رسول كسرى أحد كبار دولته وقد حمل له رسالة ملاًها بالموعظة الحسنة والنصح . ولكن قيصر الجديد لم يعن باستقبال رسول كسرى ، وأنزله في مكان بعيد عنه . ولما عاد الرسول الى كسرى وأخبره بكل ما كان ثارت ثأرته وعزم على مهاجمة الروم وأقسم أن يعاقبهم أشد عقاب ^(٢) .

(١) التاج : ص ١٢٢

(٢) الشاهنامه : ص ٢٥٤٢ ج ٨

وكان على الرسول الى جانب ما يعهد به اليه من المهام الظاهرة أن يقوم بمهمة أخرى خفية قد تكون أخطر شأنًا من مهمته الظاهرة . وعند ما أوفد هر مزد رسوله خراد بن برزين الى خاقان الترك أوصاه أن يراقب جنده وأن يحاول معرفة عددهم ومقدار استعدادهم ^(١) .

اللهو والترف وما يتصل بهما :

في مثل هذا الملك المطلق الذي عرفه الإيرانيون يكون الملك مطلق التصرف في مملكته وفي شعبها وفي كل ما يتصل بشئونها . ومن البديهي أن يعيش الملوك في كافة الأزمنة والبلاد عيشة ترف ولكن الملك المطلق التصرف الذي لا يسأل عما يأتي ويدع يكون أشد من غيره انغماساً في الترف وطلباً للهو . وما يشجع هذا النوع من الملوك على الانغماس في اللهو والترف أن الأموال تجرى في أيديهم بغير حساب وليس للشعب إزاءهم أى رقابة على هذه الأموال . فكانت أموال المملكة كلها تتركز في أيديهم إن شاءوا أنفقوها على ملاذهم ولهوهم وإن شاءوا أنفقوها على المشروعات العامة والأعمال الجدية .

وكان دخل الملك الخاص يتكون من مصادر مختلفة أهمها الخراج . وكانت حصيلة الخراج تدخل جيب الملك الخاص كما تدل على ذلك نصوص كثيرة . وقد كون خسرو پرويز معظم كنوزه مما كان يأتيه من الخراج . ومن مصادر الدخل الشخصى للملك الهدايا التى تقدم اليه فى المناسبات المختلفة من الملوك أو كبار رجال الدولة ، وما يخصه من الغنائم التى تظفر بها جيوشه فلا غرو اذاً أن

نرى الشاهنامة مليئة بألوان الحياة المغرقة في الترف والبذخ التي كان يحياها ملوك الإيرانيين في مختلف العصور .

ومن ألمع صور الترف صورة الحياة التي كان يحياها خسرو پرويز أو كسرى ابرويز كما يرد ذكره في المصادر العربية . وكان لكسرى هذا تخت آية في العجب هو المعروف بتخت طاقيديس . وقد صنع هذا التخت لأول مرة في عهد افريدون وظل الملوك يتوارثونه من بعده . ولا نجد في وصف هذا التخت خيراً من ترجمة البنداري التي يقول فيها : « وكان كلها ملك ملك زاد في هذا التخت شيئاً فلما انتهت النوبة الى كينخسرو زاد في طوله كثيراً . وبعده زاد فيه هراسب . ولما ملك گشتاسب قال لجاماسب الحكيم : اعمل في هذا التخت شيئاً يبقى ذكره أبد الدهر ويخبر الخلق بعلمك وحذقك . فنقش جاماسب عليه البروج الاثني عشر والكواكب السبعة السيارة وغيرها من الساعات وما يتعلق بالنجوم . وزاد أيضاً فيه من بعده إلى أن انتهت النوبة الى الاسكندر فخالف الكل ونقضه وفرق أجزائه ومزقه كل ممزق ، ففرقت ألواحها في الأيدي السالبة وكانوا يحتفظون بها . فلما ملك أردشير تتبع فوجد من ذلك التخت ألواحاً مكسرة فجمعها وأعاد منه رسماً . ولما انتهت النوبة الى پرويز حشر صناع جميع بلاده حتى اجتمع عنده ألف ومائة وعشرون استاذاً كانوا يعرفون وضع ذلك التخت على ما وضعه جاماسب . وكان مع كل أستاذ ثلاثون تلميذاً فاشتغلوا بعمله سنتين . وجعلوا طوله مائة وسبعين ذراعاً وعرضه مائة وعشرين ذراعاً وسمكه مائة وخمسين ذراعاً بالذراع الشاهي ومقداره ثلاثة أذرع بذراع اليد . وكان من اثني عشر لوحاً وفيه مائة ألف وسبعون ألف ضبة من ذهب مرصع ومسامير الضبات من الفضة وزن كل مسمار مائة وستة وستون

مثقالا . وكان اذا حلت الشمس في برج الحمل يكون وجه هذا التخت الى البساتين وظهره الى الصحراء واذا حلت الشمس الاسد كان ظهره اليها ووجهه الى البساتين وعند فصل الخريف وإيناع الثمار يكون وجهه الى البساتين حتى تصل روائح الفواكه الطيبة الى مشام القاعدين عليه . وفي فصل الشتاء تشد طاقاته بأزّ الخز والحريير ويحضرين يدي الحاضرين الف كرة محماة من الذهب والفضة وزن كل واحدة خمسمائة مثقال . وعملوا على التخت صور البروج والسيارة وأفلاكها ومنازل القمر ومقياس ساعات الليل والنهار حتى كأنما وضعت فيه السماء بما فيها . وكانت تلك التختوت بعضها من الذهب وبعضها من الفضة مرصعة بجواهر أصغرهما في وزن سبعين مثقالا وأكبرهما في وزن سبعمائة مثقال وكان تحتها تخت يسمى « ميش سر » أي رأس الضأن وفوقه تخت آخر يسمى اللازوردى . والذي فوق هذا يسمى الفيروزجى . وكان يرتقى من كل واحد الى الذى فوقه بأربع درجات من ذهب . فكان رأس الضأن مجلس الدهاقنة والرعية ، واللازوردى مجلس الأمراء والقواد ، والفيروزجى مجلس الدستور والوزير ومن عند الدستور يرتقى إلى مجلس برويز . (١) ومن بين الذين وصفوا هذا التخت الثعالبي الذى يقول عنه إنه سرير من العاج والساج وصفائح ودرابزيناته من الفضة والذهب وطوله مائة وثمانون ذراعاً وعرضه مائة وثلاثون ذراعاً وارتفاعه خمس عشرة ذراعاً . وفي مراقبه سرر من الشيز والآبنوس مضببة بالذهب وعليه طاق من الذهب واللازورد فيه صور الفلك والكواكب والبروج والأقاليم السبعة وصور الملوك وهيئاتهم في

المجالس والحروب والمنتصيدات وفيه ما يدل على معرفة ساعات النهار وله أربعة بسط على مقداره من الديباج النسيج المرصع باللالآء والياواقيت يختص كل واحد منها بما يشاكله ويوافقه من فصول السنة .^(١)

وكسرى أبرويز هذا هو الذى ينسب اليه أغلب المؤرخين أنه بنى ايوان المدائن المعروف . وكان يخلب الألباب من فرط ضخامته وعظمته .

ومن مظاهر ترف كسرى أبرويز تلك السجادة المعروفة باسم بهار كسرى ويسمىها العرب القطيف . وكان طول هذا القطيف سبعين ذراعا وعرضه ستين ذراعا . وكان هذا القطيف منسوجا من نسيج الذهب . وقد نقشت عليه أنواع الورود والرياحين والأشجار والثمار وجعلت الخيلة فيه من زمرد ، والنهر من لؤلؤ ، والأشجار والثمار والورود والرياحين كلها من الماس والياقوت المتلألئ . فكانوا إذا ما أقبل الشتاء وذبلت الورود ويبدت الرياحين وعريت الأشجار من الأوراق والثمار فرشوا هذا القطيف وجعلوا عليه مجلس شراهم فكان يخيل اليهم كأنهم يشربون فى روضة معشبة وينعمون بالربيع وجماله فيما يحيط بهم من الورود والرياحين . وقد استولى العرب على هذا القطيف وأرسلوه إلى عمر الذى تحير فى قسمته ، وأخيرا قطعه بين الفاتحين فأصاب عليها قطعة منه باعها بعشرين ألفا رغم أنها لم تكن أجود قطع القطيف .^(٢)

وحين نحاول أن نعدد مظاهر الترف الأخرى فى حياة كسرى أبرويز

(١) الفرر : ص ٦٩٩

(٢) ابن الاثير : ص ٢١٩ ج ٢

لأنحصيها ويكفى أن نشير إلى ما ذكره الفردوسي بعنوان «قول في عظمة خسرو
پرويز» .^(١)

* * *

وكان ملوك الفرس القدماء يلبسون الملابس الأرجوانية الطويلة ويضعون
على رءوسهم تيجانا عالية . كما كان الملك يتحلى أيضاً بقرط ويضع في عضده
سواراً وسلسلة ويلبس منطقه . وكانت كلها تصنع من الذهب . وفي النقوش
البصخرية يتضح أن الملك كان يطيل لحيته ويضفر شعره ، ويجلس على عرش
مزين وفي يده عصا ، ويقف خلفه خادم ممسكاً مروحة .^(٢)

* * *

وكانت أهم وسائل اللهو عند الملوك الشراب والغناء والخروج للصيد ،
وممارسة بعض الرياضات .

وكانوا يحتفلون بمجالس الشراب احتفالا عظيما فيفرشونها بالديباج والحرير
ويطيبونها بالروائح الطيبة ويزينونها بأنواع الورود والرياحين فإذا دارت
عليهم الكؤوس شربوها على اسم الملك . وعندما انتصر اسفنديار على ارجاسپ
عاد إلى أبيه گشتاسپ فتلقاه بالفرح والسرور وأمر فأعدوا مجلس الأئس
والطرب ابتهاجا بعودة ابنه ظافرا ، ودارت الأقداح فكان الابن يشرب على
اسم أبيه وكان الاب يشرب على اسم ابنه .^(٣)

(١) الشاهنامه : ص ٢٨٩١ ج ٩

(٢) تاريخ ايران . پرسی سايكس : ص ٢٢٦ ج ١ الترجمة الفارسية لفخر گيلاني

(٣) الشاهنامه : ص ١٦٢٩ ج ٦

وكانت مجالس الشراب فى العهد الساسانى تختلف باختلاف طبقة الشاربين .
فإن كانوا من الأغنياء وأهل الثروة لبسوا لهذه المجالس زيا خاصا وتوجوا
رءوسهم بأكاليل الورد والريحان . وازدان مجلسهم بآلات الموسيقى والقيان
المغنيات . أما الفقراء فكان مجلسهم يخلو من ذلك فلا غناء ولا موسيقى . وقد
أحب بهرام جور أن ينعم الفقراء فى مجلسهم بما ينعم به الأغنياء ، ولم يكن
المغنون والمغنيات من الكثرة بحيث يستطيع استخدامهم فى مجالس الأغنياء
والفقراء على السواء ، ولذلك كتب إلى شنكل ملك الهند يطلب منه إيفاد ألفين
من المغنين والمغنيات . فلما وصلوا فرقمهم فى البلاد والقرى ، وأقطعهم الأراضى
ليفلحوا ويزرعوا ويغنوا الفقراء بغير أجر . (١)

* * *

وكان ملوك الساسانيين يهتمون باختيار ندمائهم . وقد رتبوهم ثلاث طبقات
فكانت الأساورة وأبناء الملوك فى الطبقة الأولى وكان مجلسهم على يمين الملك
على بعد عشرة أذرع من الستارة . وكانت بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من
أهل الشرف والعلم يكونون الطبقة الثانية . ومجلس هؤلاء على بعد عشرة أذرع
من الطبقة الأولى . ثم تأتى الطبقة الثالثة وهى طبقة المضحكين وأهل الهزل ،
ويبعد مجلسها عن الطبقة الثانية عشرة أذرع كذلك . ومع أن هذه الطبقة هى آخر
الطبقات شأننا إلا أنهم مع ذلك كانوا يختارون أفرادها اختيارا دقيقا فليس
بينهم خسيس الأصل ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا فاسد

الخلق ولا مجهول الآبوين . (١)

ويذكر المسعودى أن ملوك الأعاجم من عهد أردشير كانت تحتجب عن الندماء فكان الملك يتخذ مجلسه من وراء ستارة، وبينه وبينها عشرة أذرع. وبين هذه الستارة وبين أولى الطبقات عشرة أذرع أخرى فتكون المسافة بين مجلس الملك وبين مجلس الطبقة الأولى من الندماء عشرين ذراعا. وكان يوكل بالستارة رجل من أبناء الأساورة يقال له « خرم باش » أى كن سعيدا . وكان الندماء إذا أخذوا مجالسهم حسب طبقاتهم جلسوا صامتين ساكنين حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن أنت يافلان كذا وكذا واضرب أنت يافلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى . وكان الموكل بالستارة يصدر هذه الأوامر إلى المغنين والموسيقين بناء على رغبة الملك بطبيعة الحال . (٢)

وكانوا يقسمون أهل الفن كذلك إلى طبقات ثلاث فالطبقة الأولى هي طبقة أهل الحذاقة بالموسيقىات والأغاني والطبقة الثانية هي الطبقة التي تليها في المنزلة الفنية والإجادة. والطبقة الثالثة هي طبقة أصحاب الونج (الصنج) والمعازف والطناير. وكان أفراد كل طبقة من هذه الطبقات يلزمونها ولا يتعدونها إلى أن جاء بهرام جور بن يزدجرد فلم يلتزم هذه الطبقات التزاما دقيقا فكان يرفع من أطربه إلى الطبقة الأولى ولو كان فى أوضع الطبقات وكان يحط من قصر عن إطرابه إلى الطبقة الثانية وإن كان من أهل الطبقة الأولى . ولما ملك كسرى انوشيروان رد الأمر إلى ما كان عليه أيام أردشير .

-
- | | | |
|-------------|---|-----------|
| (١) التاج | : | ص ٢٤ |
| والمروج | : | ص ١٥١ ج ١ |
| (٢) والمروج | : | ص ١٥١ ج ١ |

وكان الندماء جميعا فى مجلس الملك مهبا ترتفع درجاتهم أو تسفل يجلسون على نمط واحد من حيث السكون والخشوع والصمت التام . (١)

وكانوا فى مجالس شراهم وغنائهم يغنون بانتصاراتهم فى الوقائع : وقد طلب بهرام چوبين إلى المغنين ان يغنوه فى مجلس أنسه وطربه بقصة اسفنديار فى هفتخوان . ومن أشهر المغنين فى العهد الساسانى بربد .

* * *

وكان الصيد رياضة من أهم رياضات الملوك . وكانت أماكن الصيد المختارة الفراديس أو الحدائق الواسعة . وفى مثل هذه الحدائق يكون الصيد أيسر منه فى الغابات وصيد الغابات يكون غالبا من الوحوش الكبيرة . وكان حمار الوحش من بين حيوانات الصيد المطلوبة كما كان صيد الصقور من أهم ما يصاد من الحيوانات حتى أنه لأهمية صيده جعل له بين ضباط البلاط ضابط خاص يسمى «قوشجى باشى» (٢) وكان الملك إذا خرج للصيد حمل معه الأموال والعطايا والمنح والهدايا، واصطحب معه من الوزراء والعلماء والحكماء من يؤانسونه فى سفره وينصحونه إذا استنصحتهم ويشيرون عليه إذا استشارهم ، فضلا عن الفرسان والحراس والغلمان وغيرهم . وكانت قافلة الملك حين يخرج للصيد كأنها اكثرة عددها جيش صغير .

ومن أشهر رحلات الصيد فى الشاهنامه رحلة دستان قرب كابل التى تعرف فيها بمهرباب ملك كابل وعشق ابنته روزابه وانتهى الأمر بينهما إلى الزواج .

(١) التاج : ص ٢٥ وما بعدها
(٢) سايكس : ص ٦٩

وكانت ثمرته رستم . ورحلة رستم التي خرج فيها للصيد وأوغل في السير حتى وصل حدود توران . وكان صيده كثيراً في هذه الرحلة فشوى منه وأكل ونام ليستريح . وتصادف أن مر بعض التورانيين فرأوا فرسه الرخش وحيداً فأخذوه إلى بلدتهم سمنجان . ولما صحا رستم تتبع أثر فرسه حتى وصل تلك البلدة وهناك لقيه ملكها واستضافه عنده ليلة وصوله إلى أن يطلع الصباح . وفي تلك الليلة اتصلت به ابنة سمنجان وحملت منه ثم ولدت له ابنه سهراب . وقصه سهراب عن قصص الشاهنامة العنيفة وقد أشرنا إليها فيما سبق^(١) . ومن رحلات الصيد البارزة في الشاهنامة رحلة ييژن التي التقى فيها بابنة افراسياب وما جرت عليه هذه الرحلة من بلاء عظيم وقد مرت كذلك فيما مضى^(٢) . ومن ملوك الساسانيين الذين اشتهروا في ميدان الصيد بهرام جور وكان يخرج معه إلى المتصيد ثلاثمائة فارس مع كل واحد منهم ثلاثون غلاماً . وكان غلبان بهرام الذين يخرجون معه لخدمته ثلاثمائة فضلاً عن الدواب المحملة بالأموال والجواهر والعطايا . ومن الطوائف التي كان يتألف منها موكبه إذا خرج للصيد الفيالون ومعهم فيلتهم ، والبازدارية وهم حملة صقور الصيد ، والفهادون يسوقون فهودهم مقيدة بسلاسل الذهب . وكان هذا الموكب العظيم مصدر خير وبركة لأهالي القرى التي يمر بها لأنهم كانوا يقيمون الأسواق بالقرب من متصيد الملك ويبيعون بضائعهم لرجال الحاشية ، فتروج بذلك حالتهم المالية والتجارية . كما كانوا ينتهزون فرصة مرور الملك بهم ليقدموا إليه هداياهم أو ليرفعوا شكاواهم^(٣) .

(١) راجع : ص ٦٩

(٢) راجع : ص ٦٧

(٣) الشاهنامة : ص ٢١٩٢ ج ٧

ومن مواكب الصيد العظيمة موكب خسرو پرويز الذي كان إذا خرج تبعه عدد كبير من الأتباع والحراس وحملة الرماح والسيوف . وكان عدد من يخرج معه من البازدارية سبعمائة ، ومن الفهادين ثلاثمائة ، ومن الآساد والنورسبعين كما كان يخرج في موكبه المغنون والموسيقيون حتى يبلغ عددهم ألفاً . وكان يتقدم موكبه عدد من الغلمان والشبان يحملون الورود والرياحين ، والمجامر التي يشتعل فيها العود والعنبر حتى إذا هبت الريح حملت رائحتها إلى الملك . وكان يمهّد طريق الموكب مائة سقاء يرشون الماء حتى لا يرتفع الغبار من الأرض^(١).

* * *

ومن رياضات الملوك الضرب بالصوالجة . وقد ظهرت هذه اللعبة لأول مرة في عهد أردشير مؤسس الأسرة الساسانية^(٢).

* * *

وكان هناك الشطرنج والموسيقى . ولم يكن مجال الموسيقى قاصراً على البلاط وحده . وقد رأينا أن الملوك كانوا يصحبون في أسفارهم الموسيقيين والمغنين .

* * *

وفي العيد — دين الكبيرين النوروز والمهرجان (مهرگان) كان الكبراء يتوافدون على حضرة الملك ويقدمون هداياهم إليه . وكان كل واحد منهم يقدم ما يتفق مع حاله فرجال الحرب والفرسان يقدمون في العادة فرساً أو حربة

(١) الشاهنامه : ص ٢٨٧٠ ج ٩

(٢) سايكس : ص ٦٤٢

أو سيفاً . ويحمل الأغنياء اليه هدايا الذهب والفضة . وكان الحكام ينتهزون فرصة هذين العيدين فيجمعون له بعض الأموال من أقاليمهم بالإضافة إلى الخراج المقرر . وكان الشعراء والخطباء يعرضون عليه قصائدهم وخطبهم . وكانت نساء الملك يتباهين بما يقدمنه اليه من الهدايا في هذه المناسبات . وكان الملك يرد هذه الهدايا في مناسبات مختلفة . وكانت كل هدية يتقدم بها صاحبها تقيد في دفتر الحسابات بالبلاط فإذا أصاب أحد أصحاب هذه الهدايا أزمة مالية واحتاج إلى مساعدة نظروا إلى هذا الدفتر وأعطوه ضعف ثمن هديته . وكان بعض الملوك مثل أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشيروان يأمرؤن بإخراج ما في خزائهم من الثياب فتفرق في هذين العيدين على بطانة الملك وخاصته أولاً ثم على سائر الناس ثانياً . وكانوا يرون أنه لا يليق بالملك أن يختزن ملابس الصيف إذا حل الشتاء أو يختزن ملابس الشتاء إذا حل الصيف لأن ذلك من فعل العامة الذين يحرصون على اختزان ثيابهم من فصل إلى فصل .

* * *

وكما كان الملوك يقدمون الخلع والعطايا كانوا يمنحون الألقاب أيضاً . وكانت هذه الألقاب موضع فخر كبير لمن منحت اليهم . وكانت الألقاب والعطايا ومناصب البلاط أو الدولة من أروج وسائل المكافأة .

* * *

بقي بعد ذلك من مظاهر الترف وأسباب المتعة في قصور الملوك المرأة . وسيأتى الحديث عنها في الفصل الخاص بها فيما بعد .

١٣ — الحياة الاجتماعية في الشاهنامه

النظام الطبقي :

كان الفرس من قديم يؤمنون بالنظام الطبقي ، فقسموا أفراد الشعب إلى طبقات . وكان على كل فرد أن يلزم الطبقة التي ينتمى إليها ولا يتعداها . وأقدم من عرف هذا النظام الطبقي في عهده الملك جمشيد . وكانت الطبقات في عهده أربعاً . وابن البلخي يذكر أن جمشيد قسم الناس إلى أربع طبقات : فالطبقة الأولى هي طبقة الأفراد الذين أوتوا العلم والمعرفة ووهبوا الفطنة ورجاحة العقل . وقد وزع التخصص فيما بينهم فأمر فريقاً منهم أن يتخصصوا في الدراسة الدينية ورعاية شئون الدين ، وكلف فريقاً أن يتعلم الحكمة ليرجع اليهم في أمور الدنيا ويستأنس برأيهم ، وأمر البعض أن يتعلم الكتابة والحساب حتى يعهد اليهم في ترتيب الملك وضبط الأموال وتنظيم المعاملات . وكانت الطبقة الثانية طبقة الشجعان وأصحاب القوة . ومهمة أفراد هذه الطبقة التفرغ لشئون الحرب واجادة فنونها . وعليهم المعول في حماية البلاد من كل اعتداء . والطبقة الثالثة كانت طبقة أصحاب الحرف كالبقال والقصاب والبناء والزراع . وكانت الطبقة الرابعة تؤلف من أولئك الأفراد الذين يقومون بأنواع الخدمة كالمسكاري والبواب ... الخ^(١) .

ولم يكن عدد هذه الطبقات ثابتاً على الدوام فقد تكون أربعاً وقد تنضم

إحدى الطبقات إلى غيرها فتصبح ثلاثاً . وقد ورد في الأُفستيا في أناشيد
« گاتها » تقسيم الناس إلى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : ائيريامن ^(۱) وهى طبقة رجال الدين والروحانيين .

الطبقة الثانية : خوائتو وهى طبقة رجال الحرب .

الطبقة الثالثة : ورزنا وهى طبقة الزراع والفلاحين .

وتشير الشاهنامه إلى هذه الطبقات على عهد جمشيد ^(۲) . فيقول الفردوسى
عن الطبقة الأولى إنها الطبقة التى يدعونها كاتوزيان . ويُرجح أن تكون هذه
الكلمة محرفة عن آتوريان بمعنى آتوربانان وآذربانان ^(۳) . ويرى پور داود
أن هذه الكلمة « آتوريان » قد حرفت إلى « آموزيان » بمعنى المعلمين ثم حرفت
إلى كاتوزيان . ولكن معين لا يرى مانعاً من أن تكون كاتوزيان بمعنى رجال
الدين جمع كاتوزى . والطبقة الثانية هى التى تدعى « نيساريان » وهى طبقة أهل
الحرب ويغلب أن تكون هذه الكلمة محرفة عن « رشتاريان » أو « أرشتاريان » .
وطبقة الارشتاريان هى طبقة المحاربين . وارشتاريان سالار بمعنى قائد

(۱) كلمة « ائيريامن » كانت فى اللغة الأُفستيه تدل على هذه الطبقة من طبقات
المجتمع ثم تطور مدلولها فى الفارسية الحديثة إلى معنى الضيافة كما استعملها الفردوسى فى
حديثه عن گشتاسب وذهابه إلى بلاد الروم إذ قال :

اگر کشته گردد بدست تو گرگ
تو باشی بروم ایرمانی بزرگ

وايرمانى هنا بمعنى مهانى « الضيافة » ويقال ايرمانسراى وايرمان خانه بمعنى مهما نسراى .

(۲) الشاهنامه : ص ۲۴ ج ۱

(۳) آذر النار والآذربان القائم بأمر بيت النار .

الجيش . والطبقة الثالثة يطلق عليها الفردوسى فى نصه اسم « نسودى » . وهى محرفة عن پسودى . وهى من أصل أقستى بمعنى تربية الدواب . وپسو بمعنى الحيوان المستأنس . وتعنى هذه الكلمة طبقة الزراع الذين يقومون بتربية المواشى والحيوانات . والطبقة الرابعة يطلق عليها « اهتوخشى » وهى محرفة عن « هوتخش » الهلوية . وتتكون من « هو » بمعنى حسن ومن « تخش » بمعنى السعى والجد والمران . والمراد بهذه الكلمة طبقة الصناع ^(١) .

وكما أن عدد الطبقات لم يكن ثابتاً كما ذكرنا من قبل فكذلك كانت هذه الطبقات تضيق أحياناً فتشمل فئات محدودة وتتسع أحياناً فيدخل تحتها عدد أكبر من فئات الناس .

وكانت مراتب الناس تقوم بمقاييس مختلفة فى العهود المختلفة . ويذكر الثعالبي نقلاً عن الآيين أن مراتب الناس كانت فى أيام جم على الأسنان وكان أعلام سنا أعلام مجلسا ، ثم كانت فى أيام الضحاك على الغنى والثروة ، ثم كانت فى ملك أفريدون على الغناء والسابقة ، ثم كانت فى أيام منوچهر على الأصول والقدم ، ثم كانت فى أيام كيكائوس على العقل والحكمة ، ثم كانت فى أيام كيخسرو على البأس والنجدة ، ثم كانت فى أيام لهراسف على الدين والفقه ، ثم كانت فى ملك الملوك بعده على الأحساب ، ثم كانت فى أيام أنوشىروان على اجتماع هذه الخصال المذكورة إلا الغنى والثروة فإنه لا يعتد بهما . ^(٢)

(١) مزدیسنا وتأثیر آن ... : ص ٤٠٦

(٢) الفرر : ص ١٥ وراجع أيضاً قصة أنوشىروان

مع الاسكاف التى سترد فيما بعد .

وفي العهد الساساني كان المجتمع ينقسم إلى طبقات أربع : طبقة الدينين ، وطبقة المحاربين ، وطبقة الكتاب ، وطبقة الفلاحين والصناع . وكانت كل طبقة من هذه الطبقات تشمل عدة أقسام : فطبقة الروحيين والدينين كانت تشمل القضاة وعلماء الدين والمعلمين . وكانت طبقة المحاربين تشمل الفرسان والمشاة . أما طبقة الكتاب فكانت تشمل المنشئين والمحاسبين ، وكتاب المحاكم ، والمؤرخين ، والأطباء ، والمنجمين . وكانت الطبقة الشعبية الأخيرة تتألف من الفلاحين والتجار والصناع وسائر أرباب الحرف . وكان لكل طبقة من هذه الطبقات رئيس . فرئيس الروحيين « الموبذ موبذان » ورئيس رجال الحرب « سپاه بد » ورئيس الكتاب « دبيران مهيست » ، ورئيس الطبقة الرابعة « واستريوشان سالار » (١) .

ولم يكن يجوز الانتقال من طبقة إلى طبقة بصفة عامة ، إلا أنه كان يستثنى من هذه القاعدة نادراً حين يبدو من أحد أفراد الشعب امتياز خاص في ناحية من النواحي . وعند ذاك يعرض أمره على الملك فإذا كان امتياز هذا الشخص في ناحية الزهد والصلاح أمر بالحاقه بطبقة الروحيين ، وإذا كان امتيازاه في الشجاعة والقوة أمر فألحقه بطبقة المحاربين ، وإذا كان امتيازاه في العقل والفطنة وقوة الحافظة أمر فضموه إلى طبقة الكتاب .

وكانت طبقة الأشراف تمتاز على طبقة العوام بلباسها وما لديها من المراكب والقصور والبساتين وتعدد النساء والخدم وغير ذلك من وسائل الترف ومظاهر النعمة .

وتحقيقاً لما كان يفرضه نظامهم الاجتماعي من الفصل بين الطبقات وخوفاً

على الأسر الكبيرة أن يتسلل إلى صفوفها بعض أفراد العامة كانت أسماؤها تقيد في الدفاتر والدواوين .

وحين ولي كسرى أنو شيروان الملك كان من أول أعماله إصلاح الخلل الذى أصاب نظامهم الاجتماعى نتيجة لفتنة مزدك ، فأعاد للمجتمع طبقاته ووضع الحدود الفاصلة بين كل طبقة وأخرى ، وأعاد إلى طبقة الأشراف والأسر الكبيرة اعتبارها ورد ما كان لها من أملاك . ولكى يعينهم على استرداد مكانتهم الاجتماعية القديمة كان يقدم اليهم المساعدات المختلفة .

أيام الشهر :

ولأيام الشهر عند الزردشتيين أثر فى تنظيم حياتهم الاجتماعية . والشهر عندهم ثلاثون يوماً . ولكل يوم من أيام الشهر اسمه الخاص . وقد جعلوا لكل يوم من هذه الأيام ما يصلح له من الأعمال وما يناسبه من الأفعال . فكان الإيرانى القديم يحرص على أداء كل عمل فى يومه الخاص ، فبعض الأيام تكون فألاً حسناً إذا انتقل فيها الإيرانى القديم إلى مسكن جديد ولذا كان يتوخى ألا يغير مسكنه إلا فى هذا اليوم . وبعض الأيام كانوا يعتقدون أنها أنسب الأيام للبدء فى الرحلات أو عقد الاجتماعات أو إقامة الاحتفالات ، ومن ثم لا يفعلون شيئاً من هذا فى غير هذه الأيام . ومن واجب الزردشتى أن يعرف جيداً كل يوم من أيام الشهر ليؤدى فيه ما يناسبه من العمل . وهذا بيان بأيام الشهر وما يجدر بالزردشتى أن يقوم به فى كل يوم منها ^(١) .

فالיום الأول من هذا الشهر هو يوم اهورامزدا . وما دام هذا اليوم منسوباً إلى خالق الكون فإن أنسب ما يؤديه المرء فيه عبادة الخالق، والعكوف على أمور الدين ، والتجرد عن شئون الدنيا . ويصالح هذا اليوم كذلك لأداء الأمور التي لها صلة وثيقة بالدين كالزواج ، والتماس البركة من الآله ، وجميع أعمال الخير . وطالع هذا اليوم حسن لكل من أراد أن يسكن مسكناً جديداً أو ينشئ بستاناً أو يحتفل بمناسبة سعيدة أو ذكرى عزيزة .

واليوم الثاني هو يوم « بهمن » . وهذا اليوم من أسعد الأيام لعقد الاجتماعات التي يقصد بها بحث المسائل المهمة وطلب المشورة . ومن واجب الملوك أن يعقدوا مجالسهم في هذا اليوم وأن يستشيروا حكماءهم وقوادهم فيه .

واليوم الثالث « اردى بهشت » أنسب الأيام لعقد الصلح وتوثيق صلات المودة مع الناس ، وتحضير العقاقير وتناولها ، مسألة السادة والحكام أو الملوك .

واليوم الرابع « شهر يور » هو أنسب يوم عند الملوك إذا أرادوا أن يعينوا كبار الموظفين والرؤساء ، والوزراء وغيرهم من موظفي الدولة . ومثل هذه التعيينات في وظائف الدولة الخطيرة إذا تمت في هذا اليوم صاحبها التوفيق . وما يجدر فعله أيضاً في هذا اليوم الاحسان وتقديم المساعدة إلى الصغار والعجزة .

واليوم الخامس « سپند ارمد » وفيه تحسن خطبة النساء ، كما يحسن فيه الدخول بهن ، والانتقال إلى المنازل الجديدة ، واصلاح القديم ، والقيام بالمشروعات الزراعية التي تعود على الأرض بالخصب والنماء . والعمل الذي يبدأ في هذا اليوم يحتاج إلى وقت طويل حتى يبلغ تمامه . ومواليد هذا اليوم

متصفون بالصبر والمقدرة العقلية ، والرضاء والسخاء .

واليوم السادس « خور داد » يناسب القيام بكل عمل من شأنه اصلاح الجسد أو تزيينه . ومما يحسن في هذا اليوم بناء النافورات أو حفر الآبار وتعبيد الطرق ، وتوزيع المياه أو تخزينها ، وجمع المحصولات . ولهذا اليوم بركة يظهر أثرها في جميع الأعمال التي يراد بها مساعدة ذوى القربى .

واليوم السابع « امر داد » وهذا هو آخر أيام الأسبوع الأول . ولهذا يتخذ يوم راحة للبدن والروح . ولاضير على المرء إن هو أحصى دخله طيلة الأسبوع في هذا اليوم .

واليوم الثامن « دپادار » وهو يوم خالق الكون . ويجب في هذا اليوم أن يتفقه الناس في شئون دينهم ، وأن يوزع القادرون الهبات .

واليوم التاسع « آذر » . ويحمل بالزردشتي في هذا اليوم أن يحسن إلى الضعفاء والعجزة ، وأن يقيم الصلاة في الأماكن المقدسة للعبادة ، وأن يقدم الهدايا لمعابد النار .

واليوم العاشر « آبان » يصلح للقيام بالرحلات البحرية ، ورى الأراضى ، وحفر القنوات ، ونزع الآبار ، وغرس الأشجار ، وبذر القمح . وهو اليوم الرئيسى في الشهر للقيام بالأعمال النافعة للزراعة .

واليوم الحادى عشر هو يوم « خور » واسمه مستمد من الشمس ، ويعتبر من أفضل الأيام وفيه ينبغى أن يؤدى كل أمر حميد .

واليوم الثانى عشر هو « ماه » وفيه تقام الصلوات وترتل الدعوات .

ويكره المتدينون في إيران أن يشغلوا أنفسهم في هذا اليوم بأى شأن من شئون الدنيا .

واليوم الثالث عشر يوم « تير » ويحمل بالمرء فيه أن ينضم إلى أحد المعاهد ليتعلم فروع العلم المختلفة كالآداب، التنجيم، الملاحة، والعلم الخاص ببناء الجسور، وحفر الآبار، القنوات ، والقوارب والسفن وما شابه . ولزيادة العناية بالجسم والعقل يجب أن يتعلم الانسان فيه السباحة .

واليوم الرابع عشر « گوش » هو آخر أيام الأسبوع الثانى من الشهر . ويحسن فى هذا اليوم اسراج الدواب وركوب الحيوان . وفيه يستعرض الإيراني ما عمله خلال الأسبوع فيحاول أن يكثر من كل ما يعود على جسمه وروحه بالنفع . وفى هذا اليوم يجب أن يريح الانسان الماشية من العمل ، وأن لا يقرب لحمها وإن جاز له أن ينتفع بلبنها .

واليوم الخامس عشر هو « دهمر » . وهو يوم يغلب فيه أداء الأعمال المتصلة بالدين .

واليوم السادس عشر هو « مهر » . ويجدر بالمرء فى هذا اليوم أن يقوى أواصر المحبة مع غيره من الناس ، وأن يقيم الولائم لتعارف الأصدقاء ، وأن يرعى المذنبين ليسر لهم حياة كريمة فى المستقبل ، وأن يعفو عن المجرمين ، ويشغل النفس بأعمال الخير والبر .

واليوم السابع عشر « سروش » . ويتحتم على معتنقى الزردشتية أن يتطهروا فى هذا اليوم من الآثام وأن يتعدوا عن الخطايا . وتستحب نظافة البدن فى هذا اليوم وتمشيط الشعر .

واليوم الثامن عشر « رشن » . وليحرص الإنسان في هذا اليوم على الصدق في كل ما يقول ، وليتكلم بما هو حق ، ولينطق بما هو عدل ، وليعدل عن الزيف في القول والكذب في الوعد والحث في القسم .

اليوم التاسع عشر « فروردين » . وهذا يوم يغلب فيه أداء الأعمال المتصلة بالدين كتنمية الصداقة مع الناس ، صلة الرحم . . . الخ .

اليوم العشرون يوم « بهرام » . وبهرام هذا أحد الملائكة . ومن اختصاصه الاشراف على شئون الجيش ، ورايته خفاقة . وفي المعارك التي تدور بين الملائكة والشياطين ، وفي المسابقات ، وفي ميادين الصيد ترى بهرام أفضل القواد وأشجعهم . وحيثما ذهب وهب الناس الشجاعة والظفر . ويحسن في هذا اليوم الاستعداد للقتال أو الخروج للصيد .

اليوم الحادى والعشرون هو يوم « رام » . وهو يوم فرح وسرور ويجب انفاقه في اعداد الجيوش ، وتزيين الملابس ، وارتداء الجديد منها .

اليوم الثانى والعشرون هو يوم « واتا » (١) . وهو آخر أيام الأسبوع الثالث . ويخصص للراحة . ويجدر بالمرء فيه أن يصحب أهل الخير والتقى وأن يتعلم منهم ويقتدى بهم . ومن واجب المرء أن يخلى نفسه من الشواغل ، وأن يخلى قلبه من الهموم لأنه إن لم يفعل ذلك أثرت الشواغل والهموم في صحته . وعلى العموم فمن الواجب أن ينأى المرء في هذا اليوم عن كل ما يدنيه من المتاعب ليتنضى يومه في سرور وسعادة .

اليوم الثالث والعشرون هو يوم « دبدبن » . ويحسن في هذا اليوم تفسير الدين وتعاليمه لنشره بين الناس وتشجيعهم على فعل الخير وتنفيذهم من ارتكاب الشر .

واليوم الرابع والعشرون هو « دين » ويحسن فيه عقد الاجتماعات أو لقاء المحاضرات لحث الناس على الاخلاص للدين . ومما يصلح فعله في هذا اليوم إعداد معدات الزواج ، أو خطبة النساء ، ونشر الثقافة الدينية .

واليوم الخامس والعشرون « أرد » . ويحمل بأرباب الأسر ورباتها أن يزينوا في هذا اليوم أطفالهم بالثياب أو الحلى المذهبة كما ينبغى رعاية الفقراء ومد يد المعونة اليهم .

واليوم السادس والعشرون هو يوم « اشتاذ » . وفيه يحسن إثابة المجيد ومعاقبة المسىء . وعلى الناس في هذا اليوم أن يمتنعوا عن القتال ، وعن الشجار ، وأن يذروا البيع والتجارة ويقضوا يومهم في عمل هادىء لا حركة فيه ولا تنقل .

واليوم السابع والعشرون هو يوم « اسمان » ويحسن فيه القيام بكافة الأعمال النافعة كالعبادة والتجارة .

واليوم الثامن والعشرون هو يوم « زامباد » . ومما ينبغى فعله في هذا اليوم بذر البنور وغرس الأشجار وحرث الأرض وخزن القمح . ولا بأس في أن يقوم الانسان بغير هذا من الأعمال على شرط ألا يتناول دواء قط .

واليوم التاسع والعشرون هو يوم « مهر سپند » . ومما يصلح في هذا اليوم التعلم والتفقه ، وعلاج الأبدان . وهو من أنسب الأيام للبدء أو الانتهاء من الأعمال التى ترفع شأن الدين كتحطيم بيوت الأصنام ، والتكفير عن الذنوب ،

والعمل على ما فيه صفاء الروح وسلامة الجسد .

يوم « انران » (انه گران) وهو آخر أيام الشهر . وهو يوم راحة يستعرض المرء فيه ما عمله طيلة الشهر . ويفتح الإيراني يومه هذا بإعطاء الفقراء وتقديم النذور للآلهة . وفي هذا اليوم يطهر الناس أجسامهم ، ويتجملون بخير ما لديهم من ثياب ، وينصرفون عن الاثم ، ويكبتون الغضب ، وينسون الثأر ، ويفعلون كل ما فيه متعة ومسرة للبدن والروح .

گاهبارها :

ومما يتصل بالتوقيت وله أثر في حياة الفرس الاجتماعية اعتقادهم أن الله خلق العالم في ثلاثمائة وخمسة وستين يوما على ست فترات غير متساوية . وهذه الفترات يسمونها « گاهبارها » وواحدتها « گاهبار » . ولكل فترة من هذه الفترات اسم ، فالفترة الأولى اسمها في لغة الزند « ميديوزارم » وتمتد هذه الفترة أربعين يوما . ويقال إن الله خلق السموات في هذه الفترة . وتسمى الفترة الثانية « ميديوسما » وتمتد ستين يوما وفيها فجر الخالق المياه . ويقال للفترة الثالثة « پيتيسهيم » ومدتها خمسة وسبعون يوما . وفيها بسط الله الأرض . وفي الفترة الرابعة « اياتهريم » ومدتها ثلاثون يوما أنبت الله الشجر والأعشاب . وتسمى الفترة الخامسة « مدياريم » ومدتها ثمانون يوما . وفيها خلقت أنواع الحيوان . وفي الفترة السادسة التي تسمى « همشپتمهديم » والتي تمتد خمسة وسبعين يوما خلق الانسان (١) .

(١) معجم Steingass مادة « گاه بار » .

وهناك خمسة أيام أخرى يضيفونها فتصبح السنة عندهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً .

ويحتفل الفرس القدماء ببداية كل فترة من هذه الفترات . وتعد هذه الاحتفالات من أعيادهم .

ويلاحظ أن أعياد الفرس وحياتهم الاجتماعية تسودها الاتجاهات الدينية إلى حد كبير . ولذا يحسن أن نرجى بقية الكلام إلى موضعه فيما بعد عند ما نعرض لحياتهم الدينية .

العلم والتعليم :

لم يكن العلم شيئاً مباحاً لجميع الفرس على السواء بل كان متعة أرسقراطية تنعم بها طبقة خاصة وتحرم منها بقية الطبقات . وقد فرض نظامهم الطبقي على الوضع أن يظل وضعاً مهما يكن استعداده لتلقى العلم والإفادة منه ، وفرض على ابن الوضع أن يدور في دائرة أبيه مهما بدا من نبوغه وذكائه . وكان نظامهم صريحاً في ألا يتعدى الفرد طبقته وألا يتجاوزها إلى ما فوقها من طبقات اللهم إلا في بعض الأحوال الاستثنائية النادرة . ولهذا كان العلم قاصراً على الملك وأفراد أسرته والطبقة العليا من طبقات الشعب . وكتب بذلك على أبناء الطبقات الدنيا ألا يذوقوا لذة العلم . ومن الأمثلة المبينة تلك القصة التي ترويها الشاهنامة عن كسرى أنوشيروان وموقفه من الإسكاف ، ففي إحدى حروبه ضد الروم طال أمد القتال ونفذ ما معه من القوات والمال . وكان لا بد له أن يهيئ لجيشه المال الكافي إذا أراد مواصلة القتال ولم يكن في وسعه أن ينتظر حتى تأتيه الأموال من العاصمة ، فأوفد بزرجمهر إلى البلاد المجاورة ليجمع من

أهلها ما يفي بحاجة الجيش السريعة من الأموال على أن يردّها اليهم كسرى بعد الحرب . وكان في إحدى النواحي اسكاف عرض خدمته على رسول الملك وقدم له أربعة آلاف درهم . ولم يكن الاسكاف يطمع في شيء نظير هذه الخدمة سوى أن يأذن له الملك بتعليم ابنه ، فلما علم كسرى بما يطمح اليه الاسكاف رفض أن يحقق له أمنيته وأمرهم أن يردوا اليه أمواله . وكانت حجته في هذا أن ابن الاسكاف لا يرجي منه ، ولو تعلم ، أي خير^(١) وتعلمه قد يتيح له الفرصة للتقدم والرقى فيتجاوز بذلك طبقته . وهو أمر لا يسمح به النظام القائم وقتذاك .

وكان ملوك الساسانيين يقدرّون العلم حق قدره . وقد عرف عن أردشير أنه لم يستخدم في ديوانه جاهلا ولا قليل المعرفة . وكان يهتم ببلاغة الكتّاب وحسن خطه . وكلما كان الكتّاب على درجة أكبر من العلم والثقافة كان حظّه من الرعاية والمكافأة أوفر . وقد اصطفى أنوشيروان سبعين عالما كان كلّا فرغ من شئون الملك جالسهم وناقشهم في شتى الموضوعات . وكان له في بلاطه مجلس للعلماء ينعقد كل أسبوع^(٢) .

وفي عهد الساسانيين ، وفي عهد الهخامنشيين ، كان الأطفال والشبان من أبناء الطبقات العالية ينالون نصيبهم من التعليم في البلاط مع شبان الأسر الكبيرة وكان يشرف على تعليمهم من يلقب «آموزگار آسوران» . وكان بما يتعلمونه هناك القراءة والكتابة والحساب والأدب . وفيما يتصل بالملك ، بصفة خاصة ،

(١) الشاهنامه : ص ٢٥٤٨ ج ٨

(٢) الشاهنامه : ص ٢٣٧٣ ج ٨

كان يلزمه الى جانب هذه العلوم أن يتعلم الصيد والطرد والرماية واللعب
بالكرة والصولجان والمبارزة ودراسة سير الملوك السابقين . وفي سن الخامسة
عشرة تنتهى التربية البدنية والخلقية . وعلى كل شاب فى هذه السن أن يتعلم
أصول الدين من الأقسا والزند . وفى سن العشرين يتولى العلماء ورجال الدين
امتحانه . وكانت الفتيات تتعلم أصول التدبير المنزلى كما وصل كثير من النسوة فى
الأسر الكبيرة إلى درجة كبيرة من العلم .

* * *

وكان التنجيم من الدراسات التى تراوها طبقة خاصة هى طبقة المنجمين .
وكان لطبقة المنجمين أهمية كبرى فى بلاط الملوك فى جميع العهود . وكان
الملوك يستشيرونهم فى جميع شئون حياتهم ؛ فى شأن المولود إذا ولد ، وفى
نتيجة الحرب إذا أقدموا عليها ، وفى الوقت المناسب لبدئها ، وفى بناء السدود
والعمار والمشروعات العامة ، وفى القيام بالرحلات ، وفى غير ذلك من الشئون .
ويروى أن بلاط زردجرد الأول كان يضم من هؤلاء المنجمين ثلاثمائة وستين .

* * *

ومن الدراسات ذات المكانة فى البلاط أو فى المجتمع الدراسات الطبية .
وتعتبر الأقسا المصدر الأصيل لمعظم العلوم . فتن الأقسا وتفسيرها الموسوم
بـ « هوسپارم نسك » يشمل التفاصيل المتعلقة بالطب والأطباء وكل ما يتصل
بهم . وفى نيكاذوم نسك بحث يتصل بالطب والبيطرة . وفى دينكرد شرح
مختصر يتصل بالطب . ويرى مؤلفه أن السلامة قسمان : سلامة البدن ، سلامة
الروح . وكانت أصول الطب الإيرانى زردشتية مستمدة من الروايات الأقسائية

لكن نفوذ الطب اليونانى كان واضحاً فيها . وكان من طرائقهم المستعملة فى علاج الأمراض كما ورد فى دينكرد الطرائق الخمس الآتية :-

١ - الكلام المقدس ٢ - النار ٣ - النباتات

٤ - الفصد ٥ - السكى أو الوسم

وكانت طريقة المعالجة بالكلام المقدس يعنى الأوراد والأدعية المستخرجة من الكتب المقدسة أشد هذه الطرائق تأثيراً .

وكان مما يشترط فى الطبيب أن يكون عالماً بالأمراض ، وأن يدقق فى فحص المريض ، وأن يكون على علم بأعضاء البدن والمفاصل ، وأن يكون ذا اطلاع فيما يتعلق بالأدوية وخواص العقاقير . وفى هذا الكتاب « دينكرد » ذكر لما يجب أن يتصف به الأطباء ؛ أطباء الروح والجسد . وكلا الطبيبين يعنى طبيب الروح والجسد يجب أن يؤدى امتحاناً تظهر فيه مهارته وصلاحيته . أما طبيب الجسد فيشترط فيه أن يكون قد مارس هذه المهنة ونجح فيها . وعليه أن يبدأ أولاً بمعالجة الكفار حتى إذا حذق طرائق العلاج شرع فى معالجة المؤمنين . ولا يصح للطبيب أن يكون جشعاً وخير الأطباء من قام بهذا العمل ابتغاء مرضاة الله ونيلاً لثوابه . وكان الايرانيون يعتقدون أن سبب الأمراض والعلل هو الأرواح الخبيثة .

وفى القرن الخامس الميلادى حين طرد النساطرة من بلاد الروم لجئوا إلى ما بين النهرين وإيران وكونوا مدارس مسيحية مخصوصة اشتغلوا فيها بتدريس الطب . وكانت أشهر هذه المدارس مدرسة جنديشابور التى بقيت أيضاً بعد انقراض الساسانيين ، وظلت فى القرون الإسلامية الأولى مركزاً مهماً للعلم

والطب . ومن بين الأطباء الممتازين في العهد الساساني برزويه . وكان برزويه هذا ، كما يتحدث عن نفسه ^(١) ، من أسرة عريقة ، سلمه أبواه إلى المؤدب في سن السابعة حتى إذا حذق الكتابة مال إلى دراسة الطب وكان كلما تقدم في دراسة الطب ازداد عليه حرصاً . ولما حذق الصناعة وهم بمداواة المرضى أخذ يسأل نفسه عما يبغيه من احتراف هذه المهنة . أهو المال أم الذكر أم اللذات أم الآخرة ؟ وكان قد وجد فيما اطلع عليه من كتب الطب أن أفضل الأطباء من ابتغى بصناعته أجر الآخرة فعزم على أن يكون من هذا الصنف من الأطباء يبتغى بعبه أجر الآخرة . وكان على يقين من أن ابتغاء أجر الآخرة لا يحرمه حظه في الدنيا . فلم يدع مريضاً يرجي له البرء إلا أبرأه ولا مريضاً انقطع الأمل في برئه إلا داواه وخفف عنه بعض ألمه . وكان ذلك دستور الأطباء ومثلهم الكامل .

المرأة :

للرأة في الشاهنامة مكانة ملحوظة . وكما أدت المرأة دورها الطبيعي في الحياة باعتبارها أنثى برزت أيضاً إلى الحياة العامة باعتبارها مواطنة صالحة فاشتركت في المجالس والحروب وكان لها دور إيجابي . وكما كانت وسيلة من وسائل المتعة وحدها ، وخاصة في بلاط الملوك ، كانت أيضاً مصدراً للهوى الجارف ، والحب العفيف ، ومادة لكثير من الأساطير الخالدة في عالم العشق العنيف الذي تسوده التضحية ، والشجاعة ، والوفاء .

ومن النساء اللاتي برزن في الحياة العامة ، وكانت ذات عقل ورأى ، أخت

بهرام چوبين « گردیه » . وحين طمع بهرام في الملك عقد لذلك مجلساً من رجاله وأتباعه . وكانوا جميعاً يعرفون رغبته ويفطنون إلى ما تنطوى عليه نفسه فلم يكن أمامهم حين استشارهم سوى أن يتملقوه ويشجعوه ويهونوا الأمر عليه . ولكن أخته كانت أذكي من أن تنخدع بهذا الملق الذي صادف هوى في نفس أخيها ، فقامت لتتكلم في ذلك المجلس ، وسفقت رأي المخادعين المنافقين الذين يغترون بأخيها ، وحذرتهم من الاندفاع وراء هواه ، والأخذ بمشورة رجاله ، ونهتته إلى أنهما من أولاد المرازبة وليس يصح لأولاد المرازبة أن يطمعوا في عرش الملك ، لأن عرش الملوك لا ينبغي أن يستقر عليه سوى الملوك ، وضربت له الأمثال بمن طمع قبله في عرش الملوك ولم يكن له أهلاً ، وذكرته برسوم الذي كان بطل الأبطال في زمانه ومع ذلك لم يطمع يوماً في الملك ولا فكر في انتزاعه من صاحبه وكان القائد المخلص والخادم الأمين . وقد وجم بهرام حين سمع هذا الكلام وأدرك أن أخته لم تقل إلا حقاً ولكن الآمال الزائفة صرفته عن الاستماع إلى النصيح والرجوع إلى الحق . ودارت الحروب بين الملك وبين بهرام چوبين ، وانهزم بهرام ولجأ مع أهله ورجاله إلى خاقان الترك حيث أقام مدة هناك قتل في نهايتها يابعا من الخاتون . وحين علم الخاقان بما انتهى إليه أمر بهرام حزن لذلك أشد الحزن ، وأرسل إلى أخته يعزيها ، وأراد أن يعوضها عن قتل أخيها بالزواج منها ، وكانت گردیه عاقلة بعيدة النظر فأفهمت الخاقان في أدب وكياسة أنها لم تزل بعد في فترة الحداد ، وأنها ستبعث إليه رأيها بعد أن تنتهي هذه الفترة . ثم إنها أخذت تفكر تفكيراً هادئاً فيما عرضه عليها الخاقان ، ورأت أن بقاءها في أرض الأتراك لن يدوم ، وأنها ستظل ومن معها غرباء في تلك الديار ولن يكون لحياتهم هناك استقرار

واطمئنان ولو قبلت زواج الخاقان ، وأن الأولى بها أن تعود ومن معها إلى وطنها إيران . فكتبت إلى أخيها « گردوى » ، وكان من المقربين في بلاط كسرى تطلب منه أن يحدث الملك في شأنهم ، وأن يصلح ما بينه وبينهم ، ويستصدر منه العفو عنهم حتى يعودوا إلى ديارهم . وقد نجح أخوها فيما كلفته به واستصدر لها ولبن معها العفو . ولما بلغها ذلك أمرت رجالها بالاستعداد والتجهز وخرجت ليلاً من بلاد التوران . وبلغ خبر هروبهم إلى الخاقان فأرسل إليها جيشاً يقوده أخوه « طورگك » . واستعدت « گرديه » للأمر ولبست ملابس أخيها بهرام وتسلحت بسلاحه . وعند ما اقترب « طورگك » من « گرديه » ، أراد أن يتفاهم معها بالحسن لتكف عن مواصلة السير وترتد إلى بلاد التوران ، ولا حرج عليها إذا رفضت زواج الخاقان ، كما أنذرهما بالحرب والقتال وإعادتها بالقوة إذا رفضت الاستماع إلى النصيح واستمرت على العناد . فأصرت « گرديه » على موقفها ولم تدع إلى التهديد وتقدمت من « طورگك » تطلب إليه المبارزة قبل القتال فإن غلبها أطاعت أمره وعادت معه . ولم يكن « طورگك » فيما يظهر قد قدر شجاعة « گرديه » وجرأتها وإجادتها فنون القتال فقبل ما عرضت عليه وبارزها فطعنته طعنة قضت عليه . وكان طبعياً بعد ذلك أن يهزم جند « طورگك » وأن تقتل « گرديه » ورجالها عدداً عظيماً . وواصلت « گرديه » بعد ذلك سيرها متجهة إلى إيران حيث استقبلها پرويز أحسن استقبال . ومن الطريف أنه طلب إليها أن تمثل أمامه المبارزة التي دارت بينها وبين أخى الخاقان وكيف صرخته ، فقامت « گرديه » إلى ملابس القتال فلبستها وأخذت رمحها ثم قفزت فوق فرسها وجالت أمام الملك في الميدان تمثل له ما دار بينها وبين « طورگك » من الطعان .

فأعجب الملك بها وأنعم عليها بالأموال والضياع^(١).

واستطاعت المرأة في الشاهنامه أن ترقى إلى العرش وتتولى الحكم . ومن أمثلة ذلك همای بنت بهمن بن اسفنديار . وقد حكمت كما مر بنا من قبل اثنتين وثلاثين سنة في العهد الكياني . وفي العهد الساساني نرى ملكتين هما پوران دخت بنت كسرى ابرويز وقد حكمت ستة أشهر ، وآزرم دخت التي حكمت أربعة أشهر .

ولم يكن الحب في الشاهنامه لهوا ، أو تزجية فراغ ، أو مصدر ضعف واستخذاء بل كان ضربا من ضروب الوفاء والتضحية والقوة . وقد أشرنا فيما سبق إلى قصة ييژن ومنيزه . وقد أبت منيزه أن تفارق حبيبها بعد أن انكشف أمرهما ، فعاشت بائسة ذليلة على حافة الحب الذي ألقى فيه حبيبها ، تقضى يومها وليلها في البكاء والنحيب ، وتجمع كل ما يصل إلى يدها من فتات فتلقى به من فتحة كانت في الحب إلى حبيبها ليقتات به .

ومن قصص الحب العذبة قصة روزابه بنت ملك كابل ودستان (زال) بن سام . ومع أن مهرباب ملك كابل كان من نسل الضحاك ، وكان هذا كافيا لأن يجعله من أعدى أعداء الدولة ، فقد تعاهد دستان وروزابه على الزواج مهما كلفها الأمر . وهنا تظهر القوة في الحب والوفاء بالعهد لأن زواجا كهذا كان يبدو أنه مستحيل بسبب العداوة التقليدية بين مهرباب وبين الملك منوچهر . وكان واضحا أن « سام » من رجال الملك المخلصين وأنه لا يستطيع أن يعصى له أمرا ويقر مثل هذا الزواج الذي لا يقره الملك . وبلغ تخرج الأمر مبلغا

هدد معه زال بعصيان الملك ومقاومة كل اعتداء يراد توجيهه إلى مهرباب والد حبيته . ومع كل هذه العقبات والمصاعب التي صادفت الحبيبين في طريق زواجهما استطاع زال في النهاية أن ينتزع موافقة الملك على هذا الزواج الذي تم وأثمر بطلا خالدا في تاريخ القصص الإيراني .

ومن قصص الحب الصادق ، والبذل والمخاطرة في سبيل المحبوب قصة گلنار مع أردشير بن بابك . وكانت گلنار مكلفة بالإشراف على قصر اردوان . وكان أردشير يقيم عند اردوان في قصره فنشأ بينه وبين گلنار حب . وكان اردوان يعطف على أردشير ويريه مع أبنائه في القصر إلى أن حدث من أردشير ذات يوم ما ساء اردوان فنحاه عن القصر وكلفه خدمة الخيل . واستمر الأمر كذلك إلى أن مات بابك . وكان أردشير ينتظر أن يحل محل جده بابك في ملك اصطخر ولكن اردوان ولى عليها ابنه الأكبر . ورأى أردشير أن يسرع بالفرار من القصر ليستخلص لنفسه ملك اصطخر فعرض رأيه على گلنار التي شجعتة وآزرته وعرضت عليه أن تهرب معه وأعدت له العدة للفرار وحملت من القصر من الأموال والجواهر ما يلزمها في رحلتها . ونجحت خطة أردشير وگلنار واستطاع في النهاية أن يهزم بهمن بن اردوان وأن يملك اصطخر وأن يقضى بذلك على ملك اردوان نفسه .

ومن قصص الوفاء في الحب قصة سابور بن هرمز (ذي الأكتاف) مع جارية قيصر . وكان سابور قد ذهب متخفيا في زى التجار إلى بلاد الروم وطلب الإذن له بالمثل بين يدي قيصر ليعرض عليه ما معه من البضاعة فلما أدخل كان بين الحاضرين رجل عاش في إيران مدة فلما تفرس في وجه التاجر عرف أنه

سابور الملك فأنهى ذلك على الفور إلى قيصر فأمر بالقبض عليه وألبسوه جلد حمار وجبسوه في جناح مظلم من أجنحة القصر وأحكموا إغلاق الباب عليه ووكلوا بأمره جارية الدار . وانتهم قيصر تلك الفرصة النادرة فجمع جيوشه وأسرع إلى بلاد الفرس فغزاها واستولى عليها وقتل من أهلها خلقا عظيما وأرغم الناس على اعتناق النصرانية ، وظل مستوليا على بلاد الفرس سنين عديدة إلى أن مالت الجارية الموكلة بالدار إلى سجينها فسألها أن تساعد على النجاة والفرار فانتظرت حتى جاء عيد النصرارى وشغل أهل القصر جميعا بهذا العيد فأخرجت من الاصطبل فرسين ، وزودت حبيها بسلاح كامل وهربت معه . وقد كابدت هذه الجارية مع حبيها ألوانا من المشاق والمخاطر حتى وصل سابور إلى بلاده وقضى على الروم وأسر قيصرهم وعاد مظفراً إلى عاصمة ملكه طيسفون .

وفي حالات قليلة حين كانت المرأة تهم باقتراف الرذيلة لم تكن الظروف تعينها على ذلك فترتد مضطرة إلى الفضيلة . من ذلك ما فعلته سودابة بنت ملك هاماوران وزوجة كيكائوس إذ شغفها سياوش ابن زوجها كيكائوس حباً وأرادت أن تجره إلى الخطيئة ولكن سعيها لم يفلح فكانت لا تنى عن الكيد له انتقاماً لكبريائها المجروح .

وكانت الشجاعة والرجولة الحققة ، وقوة الجسم والخلق من أهم الأسباب التي دفعت النساء إلى عشق من عشقن من الرجال في الشاهنامة . فروذابه بنت ملك كابل أحبت « زال » قبل أن تراه ، وكان ما سمعته من أبيها عن جماله وكأله باعثاً على هذا الحب . ومن مظاهر الرجولة والقوة في هذا الحب أن « زال » وهو يعلم ما بين مهراب ومنوچهر من العداوة لم يخف حبه وتقدم إلى الملك

فى جرأة وصراحة يطلب اليه موافقته على الزواج من ابنة عدوه . وكان قويا حتى إنه صمم على رد كل عدوان قد يوجهه الملك إلى مهراب .

وقد أثارت شجاعة رستم وأخلاقه العظيمة ابنة ملك سمنجان « تهمينة » فأحبته وعرضت نفسها عليه تريد أن يمن الله عليها بمولود فى مثل قوة رستم وفى مثل خلقه . وقد أجابها رستم إلى طلبتها ورزقها الله مهراب الذى كان صورة صادقة لأبيه .

وصادف ، حين رحل گشتاسپ متخفيا إلى بلاد الروم ، أن حان موعد تزويج كبرى بنات قيصر واسمها كتيون . وكانت الطريقة التى ابتدئها قيصر أن يترك لبنته حرية اختيار زوجها ، وطريقته فى ذلك أن تجلس ابنته التى يحين موعد تزويجها فى إيوان ويقبل الخلق أمامها فن وقع عليه اختيارها أعطته باقة ریحان فيُعرف بذلك زوجها ويعقد له عليها . وكان يسمح للناس جميعاً بشهود هذا الحفل ، فأراد گشتاسپ أن يشاهد هذا الاحتفال ، ووفد فيمن وفد إلى القصر ، ومرفيمن مر من الخلق أمام الأميرة ، فأعجبت به وألقت عليه طاقة الريحان فأسرع الوزير عندئذ إلى قيصر يخبره أن كتيون قد اختارت زوجها من عامة القوم وإن كان رجلاً رشيق القد ، جميل الطلعة ، بادرى القوة . وضاق صدر قيصر حين علم باختيارها رجلاً من العامة ، ليس له محند كريم ، ولا أصل عريق ، وأشار بقتله وقتلها معه ، لكن الأسقف نصحه بالعدول عن الشر إلى الخير وتزويجها إياه ، فزوجها منه وأخرجها من قصره مغضوباً عليها . وعدل من ذلك الوقت عن طريقته هذه فى تزويج باقى بناته . وبعد مجموعة من الحوادث تتبين لقيصر حقيقة گشتاسپ فيقربه اليه ، ويعتذر عن مجافاته ، ويدعو اليه ابنته كتيون فيلاطفها ويأسف على ما سبق من الإساءة إليها .

وكانت تعاليم زردشت تقضى على الإيرانيين ألا يزوجوا أولادهم أو بناتهم قبل الخامسة عشرة . وكان تزويج البنت من شأن الأب فإذا لم يكن الأب حياً عهدوا بذلك إلى الأم ، فإن لم تكن هى الأخرى حية وكلوا ذلك إلى واحد من أعمامها أو أخوالها . ولم يكن للبنت حق اختيار زوجها مستقلة . وكان على الوالد أو ولى أمر الفتاة أن يسعى فى تزويجها متى بلغت سن الخامسة عشرة حتى لا تقع فى الخطيئة . وكان الوالد يتفق مع الزوج على المهر . ومن حق الزوج أن يسترد هذا المهر إذا اتضح له فيما بعد أن الزوجة لم تكن تستحقه كأن تكون عاقراً مثلاً . وإذا لم تتزوج البنت واتصلت برجل اتصلاً غير مشروع كان أبوها ملزماً بالاستمرار فى الإنفاق عليها ولا يجوز له أن يحرمها من الإرث نتيجة لهذا الاتصال غير المشروع . والأطفال الذين يولدون نتيجة هذا الاتصال يقع عبء نفقتهم على والد الفتاة كذلك (١) .

وكانت النظم والأوضاع الاجتماعية قد اختلفت فى عهد الدولة الساسانية إبان الثورة المزدكية إذ استباح المزادكة النساء . فلما جاء كسرى أنوشيروان بدأ عهده بإصلاح الخلل الاجتماعى الذى نجم عن هذه الفتنة . وبحث أمر المرأة التى استباحها المزادكة فإن كانت هذه المرأة غير متزوجة أو مات زوجها فى أثناء تلك الفتنة نظر فى أمر ذلك المزدكى الذى ضمها إليه فإن كان مساوياً لها فى الطبقة الاجتماعية وجب عليه شرعاً أن يعقد عليها وإلا فعليه أن يتركها أو يدع لها الخيار إن شاءت اختارته لها زوجاً أو رفضته . وعلى كل حال فمن واجب الرجل أن يدفع لها المهر . أما إذا كان زوج المرأة الشرعى حياً ردت

إليه ووجب على الغاصب أن يدفع إلى المرأة مهرأ يعادل ما كان قد دفعه إليها زوجها الشرعى . وأما أسر الأعيان والأشراف التى مات عنها عائلها ووقعت فى الضيق والعوز فقد أحصوا عدد أفرادها الأيتام والنسوة الأرامل وجعلوا لكل واحد منهم معاشاً يكفيه . وكان الملك يعتبر أبناء هذه الطبقة الأيتام أبناءه وكانت الدولة تقوم بتجهيز الفتيات من هؤلاء إذا تزوجن . واهتم أنوشيروان على العموم بجميع أفراد هذه الطبقة حتى تحسنت حالهم وعاد إليهم ثراؤهم وبدأت تظهر من جديد طبقة الأشراف التى تدين للملك بالطاعة والولاء ^(١) .

وكان تعدد الزوجات معروفاً فى المجتمع الإيرانى فى جميع العهود . ونتج عن تعدد الزوجات كثرة الأبناء حتى بلغوا فى بعض الحالات ثمانية وسبعين ابناً . وتروى الشاهنامه أن كيخسرو حين أراد أن يتصدى لمحاربة الأعداء منعه كيوى بدعوى أن الملك إذا تصدى للحرب بنفسه وأصابه مكروه صعب على الناس أن يجدوا بعده من يخلفه على العرش أما هو - أى كيوى - فأمره حين إذا قتل لأن لآييه ثمانية وسبعين ابناً ^(٢) .

وكان الرجل يملك من النساء ما يشتهى ما دام على ذلك قادراً . أما الفقراء فلم يكن للرجل منهم سوى امرأة واحدة . وكان الملك على كثرة ما لديه من النساء يتخذ واحدة منهن الملكة وهى حبيبته وزوجته وصاحبة الحقوق الكاملة وتسمى زوجة الملك أو الزوجة الرئيسية . وكان يقوم بخدمتها عدد آخر من زوجات الملك . ولذا يقال للواحدة من هؤلاء « الزوجة الخادمة » أو ما يرادف

(١) كريستنسن

: ص ٢٥٦

(٢) الشاهنامه

: ص ٧٣٠ ج ٣

في تعبيرنا العصري وصيفة . والحقوق القانونية لكل واحدة من هاتين الزوجتين مختلفة . وواضح أن الجوارى اللاتي يشتريهن والنساء اللاتي يؤسرن في الحروب يكونن جزءاً من طبقة الزوجات الخادמות . وللزوجة الرئيسية على زوجها حق الرعاية والملاحظة ولكل واحد من أبنائها حتى سن البلوغ أو من بناتها حتى سن الزواج نفس الحق . أما الزوجات الأخريات اللاتي يطلق عليهن زوجات الخدمة فلا ينسب من أولادهن إلى أيهم سوى الذكور ^(١) .

وكان لنساء الملك جناح خاص بهن في البلاط . وكان عددهن يختلف باختلاف الملوك وفي أيام پرويز بلغ عدد ما لديه منهن اثنتى عشرة ألف امرأة ومع ذلك كان يخص بحبه وعشقه واحدة منهن هي شیرين .

وآباحت شريمة الإيرانيين لهم الزواج من الأخت فكانت سودابه امرأة كيكاوس ترغب في أن تزوج سیاوش ابن زوجها من إحدى بناتها ^(٢) . وقد زوج گشتاسب ابنته هماي من ابنه اسفنديار ^(٣) . ومن تزوج بأخته بهرام چوبين فكانت گرديه أخته وزوجته في نفس الوقت . وأعجب من ذلك أن شريعتهم كانت تجيز للرجل أن يتزوج ابنته كما فعل بهمن الذي تزوج ابنته هماي وأوصى لها بالملك من بعده ^(٤) .

وكان الزردشتي القديم لا يجد مانعاً في مؤاكلة امرأته أو أمه أو اخواته

-
- | | | | |
|-----|-----------|---|------------|
| (١) | كريستنسن | : | ص ٢٢٧ |
| (٢) | الشاهنامه | : | ص ٥٣٦ ج ٣ |
| (٣) | الشاهنامه | : | ص ١٥٤٠ ج ٦ |
| (٤) | الشاهنامه | : | ص ١٧٥٦ ج ٦ |

بل كان يذهب إلى أبعد من هذا إذ كان يأخذ امرأته معه إلى الحفلات والولائم بعكس ما هو حاصل بين الزردشتيين اليوم في الهند ، فإنهم إلى عهد قريب تعودوا أن يأكلوا على انفراد دون أن تشاركهم زوجاتهم . وقد يجتمع رجال الأسرة إلى مائدة الطعام فيتناولونه منفردين عن النساء اللاتي يجتمعن كذلك لتناوله وحدهن . وقد أخذ زردشتيو الوقت الحاضر هذه العادة عن الهندوس لأن أسلافهم من الفرس القدماء لم يكونوا يعرفونها ^(١) .

وكان من عادة الإيرانيين القدماء إذا ولد لهم مولود أن يحضر أبوه ويسر اسمه في أذنه فلا يسمعه أحد ويعلن أمام الناس اسماً آخر يشتهر به المولود . وقد فعل مثل ذلك پرويز إذ سمى ولده سرأ باسم قباد وأعلن أمام الملأ أن اسمه شيرويه ^(٢) .

وتعتبر المرأة بعد الولادة نجسة لمدة أربعين يوماً . ولا يحل لها خلال هذه المدة أن تلمس شيئاً أو تلمس أحداً من أفراد العائلة حتى زوجها نفسه ، ولا يجوز لها أن تسير فوق البسط . ويجب أن تكون أرض غرفتها عارية . وبعد اليوم الأربعين تستحم المرأة ويحل لها عند ذاك أن تختلط بسائر أفراد الأسرة . وكل ما استعملته المرأة من أدوات أو لبسته أو مسته خلال هذه الأربعين يوماً ألقى أو أهمل لنجسه . وقد بدأ الزردشتيون اليوم يتنبهون إلى ما في نبذ المرأة خلال هذه المدة وإفرادها في حجرة خاصة بها لا تقرب أحداً ولا يقربها أحد من ضرر وأذى لها ولسكنهم لم يجرؤوا على مخالفة هذه العادة إلا في الحالات

(١) Karaka : History of the Parsis vol. I p. 126

(٢) الشاهنامه : ص ٢٨٥٧ ج ٩

القاسية التي يشتد فيها ضعف المرأة أو يصيبها مرض تتعرض معه حياتها للخطر . عند ذاك فقط يعطف عليها أهل الأسرة ويزداد اتصاهاهم بها ورعايتهم لها ويعتقدون أن خروجهم على العادة في مثل هذه الحالة لا يعد إثمًا أو خروجًا على تعاليم الدين . وإذا مست المرأة أحداً خلال الأربعين يوماً فعليه أن يتطهر وأن يغير ملابسه . وفي الوقت الحاضر إذا اضطر أحد زردشتي الهند أن يدعو طبيباً أوربياً لعيادة امرأته وفحص المولود تحاشي أن يصافح الطبيب عند خروجه ووقف بعيداً عنه يشير له إلى طريق الخروج لأن الطبيب بفحصه للأم ومولودها قد أصبح نجساً . أما إذا كان الطبيب زردشتياً فإنه في بعض الأحوال إذا فرغ من مهمته اغتسل واستحم وغير ملابسه قبل أن يغادر المنزل . ويقابل فعل هذا الطبيب بالاستحسان والتقدير من أهل المنزل وخاصة من العجائز ^(١) .

وكانوا إذا ولد المولود وزعوا الصدقات . وفي أول الأمر كثر بينهم تسمية الأطفال بالأسماء الدينية مثل اسم الله (هرمزد) وأسماء الملائكة مثل وهرام (ورثراغنا) ونرسي (نيريوسنها) أو باسم مركب من اسمي ملكين مثل مهرنرسي (ميثرا + نيريوسنها) . وقد يختارون للمولود اسماً يبين شرف نسبه مثل شاهپورهر (شاه پور) أو اسماً يتفاهل به مثل پیروز . وكانت أسماء النساء تختم غالباً في العهد الساساني بكلمة دخت «دختر» مثل هرمزد دخت ، يزدان دخت ، وآزرميدخت . ومنذ أواسط القرن الخامس الميلادي استعملوا أسماء أبطال الأقايصص القدماء مثل رستم ، سیاوش مما يدل على افتخار

الإيرانيين زمن الساسانيين بماضيهم القديم .

وكان واجبهم يقضى بإبعاد الطفل عن كل ما يصيبه بالضرر فلا تقترب منه مثلا امرأة حائض لأن هذا مما يسبب شقاء الطفل وسوء حظه في الحياة حسب اعتقادهم . وكانوا يتخذون من النار والضوء وسيلة يبعدون بها الشيطان عن المولود خصوصا في الليالي الثلاث الأولى لمولده كما كانوا يسقون الطفل عصارة نبات الهوم . وتتولى أم الطفل تربيته فإن منعها من ذلك مانع عهد الوالد إلى أخته أو ابنته الكبرى بذلك . (١)

١٤ — الحياة الدينية في الشاهنامة^(١)

كان الإيرانيون قبل أن يتخذوا الزردشتية ديناً لهم يتجهون كغيرهم من الآريين إلى عبادة القوى الطبيعية . وكان أهم آلهتهم في ذلك الوقت « مئرا » آله الشمس و « أناهيتا » آلهة الخصوبة والأرض و « ها أوما » وهو الثور المقدس الذي يزعمون أنه بعد أن أوشك على الهلاك ارتد حيا وقدم دماؤه للبشر يشربونها فينعمون بالصحة والقوة والخلود^(٢) .

ويذكر الثعالبي أن الملوك قبل بشتاسف (گشتاسپ) كانوا على دين الصابئين فكانوا يعبدون الكواكب ويخصون النيرين والسعدين بالتعظيم^(٣) . وبؤيد هذا أيضا ما ذكره البيروني من أن الملوك الپيشدادية وبعض الكيانية ممن كان يستوطن بلخ يعظمون النيرين والكواكب وكلیات العناصر ويقدسونها إلى وقت ظهور زردشت عند مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسب . وبقايا

(١) رغبة في الاختصار نذكر هنا أهم مصادر هذا الفصل ، بالإضافة إلى ما ذكر في ذيل الصفحات

مزدیسنا وتأثیر آن در ادبیات فارسی : محمد معین .

ایران در زمان ساسانیان : کریستنسن وترجمة رشید یاسمی

Karaka : History of the Parsis.

J. H. Moulton : The Teaching of Zarathushtra Bombay 1917.

J. Darmesteter : Essai Sur la Mythologie de l'Avesta.

K. S. Guthrie : The Hymns of Zoroaster usually called the Gathas

(٢) قصة الحضارة الفارسية : ول دورانت وترجمة الدكتور ابراهيم أمين ص ٣٩

(٣) الغرر : ص ٢٥٨

أولئك الصابئة بحران ينسبون إلى بعضهم فيقال لهم الحرائية (١).

ولكن كلام الفردوسى فى شاهنامته يدل فى أكثر من موضع على أن ملوك الإيرانيين الذين عاشوا قبل زردشت كانوا يعبدون الله . وهذا خطأ وقع فيه الفردوسى فما من شك فى أن الإيرانيين القدماء كانوا كما ذكرنا من قبل مشركين يعتقدون فى تعدد الآلهة . وقد جر الفردوسى إلى هذا الخطأ أنه كان ينظم شاهنامته من الشاهنامه المنشورة لأبى منصور عبدالرزاق . ولما كانت هذه الشاهنامه المنشورة قد اعتمدت فى مادتها على خدائنامة الساسانية فمن المرجح أن يكون مؤلف خدائنامة وهو زردشتى قد أراد بدافع التعصب لدينه والفخر بملوكه الأقدمين وأسلافه الماضين أن يضفى عليهم صفة التوحيد وينزههم عن وصمة الشرك . ومن هنا نرى سبب هذا الخطأ الذى وقع فيه الفردوسى لأنه نظم عن الشاهنامه المنشورة التى نقلت بدورها عن خدائنامة .

ومن القوى الطبيعية التى عبدها الفرس قبل زردشت النار . وينسب الفردوسى عبادتها إلى هوشنگ حين رمى الحجر ليقتل الحية التى رآها فى الجبل فوق الحجر على صخرة أخرى فتولدت من احتكاكها النار . وكانوا قد أقاموا المعابد لهذه النار حتى أن لهراسب قد اعتكف فى أحد بيوت النار فى بلخ . وحين أراد كيخسرو أن ينقطع عن الدنيا للعبادة اختار هو الآخر بيتاً من بيوت النار .

زردشت :

اختلف العلماء في أمر زردشت بين مثبت لوجوده وبين منكر . وحتى الذين أثبتوا وجوده اضطربوا فيما بينهم اضطرابا كبيرا في كل ما يتعلق بحياته . ولعل من الأسباب التي دعت إلى هذا الاختلاف والاضطراب في أمر زردشت وجود ستة من الحكماء والفلاسفة بهذا الاسم عاشوا في أوقات مختلفة وبلاد مختلفة .

ومن أمثلة اختلافهم فيما يتعلق بحياته تاريخ مولده . فهو ج Haug مثلا يرى أنه ولد حوالي سنة ١٠٠٠ ق. م. وأحد العلماء الزردشتيين وهو Kharshedji Rastamji Kama يرى بعد اطلاعه على مصادر يونانية ويهودية وبعض نقوش أخرى أن زردشت كان يعيش قبل الميلاد بألف وثلاثمائة سنة . ووليام جاكسون يرى أنه ولد في سنة ٦٤٠ ق. م. وكذلك وقع الخلاف بينهم في محل ميلاده ومكان نشأته الأولى . فزعم بعضهم أنه من أهل فلسطين ثم لحق ببلاد آذربيجان . وقال بعضهم إنه من العجم^(١) . ويذكر الشهرستاني أن أباه كان من آذربيجان وأمه من الري^(٢) . والرأجي أن زردشت قد ولد في الري من إقليم ميديا ثم رحل بعد ذلك إلى بلخ .

وكان زردشت من أسرة سبيتاما Spitama التي يقال إنها من سلالة الملك فريدون أحد ملوك الدولة الپيشدادية^(٣) . وتسميه الاقستا في بعض الأحيان

(١) ابن الاثير :

والطبري :

(٢) الملل والنحل :

(٣) في الفرر أن نسبه ينتهي إلى منوچهر ص ٢٥٧

ص ١٠٠ ج ١ .

ص ٦٤٨ ج ٢ ط بريل .

ص ١٤٠ ج ١ ط العنانية .

زردشت سبيتا أى زردشت الذى من نسل سبيتا . واسم أبيه پوروشاسپا Pourushaspa . ولا تتحدث الأفتا عن أمه ولكن يتضح من بعض نصوص پهلوية أنها كانت تدعى دغهو ويسمىها الشهر ستانى دغد^(١) .

وكان زردشت يميل فى شـبابه إلى التأمل فى المسائل الفلسفية العميقة والظواهر الكونية . وفى سن الثلاثين كلف أن يبشر الناس بدينه الجديد ، فترك مسقط رأسه فى الرى واتجه إلى بلخ فى عهد الملك گشتاسپ ، وكان ذلك فى السنة الثلاثين من حكم هذا الأخير . وقد آمن گشتاسپ بدين زردشت الذى بشره به ولم يكتف بذلك بل أخذ على عاتقه أن ينشر الدين بين الناس وبين غيره من الملوك . وكان أول من آمن بزردشت فى بلاط گشتاسپ وزيره لأول فراشسترا والحكيم جاماسبا . وقد طاف هذان الحكيمان جميع أنحاء إيران مبشرين بالدين الجديد ونجحوا فى ضم أهل إيران إلى هذا الدين . وكان مما ساعد الناس على الدخول فى الدين الجديد اقتداؤهم بملكهم ورجال بلاطهم وخاصة قومهم .

ولا تقدم الأفتا شيئاً عن الأيام الأخيرة من حياة زردشت ولكن المصادر پهلوية والفارسية تذكر أنه استشهد مع لهراسپ فى الهجوم الثانى للتورانيين على مدينه باخ . وكان فى ذاك الوقت يتعبد فى معبدها . ويذكر الفردوسى أن التورانيين بعد أن استولوا على بلخ دخلوا معبد النار فقتلوا لهراسپ وزردشت والهربد^(٢) . وكانت سنه يوم قتل سبعا وسبعين سنة قضى

(١) الملل والنحل : ص ١٤٠ ج ١ .

(٢) الشاهنامه : ص ١٥٦٠ ج ٦ . ويطلق الفردوسى على

زردشت فى هذا النص كلمة «رد» بمعنى الرجل الجرىء الحر الشجاع .

منها في الدعوة إلى دينه سبعاً وأربعين سنة .

الافستا :

جاء زردشت بالكتاب المعروف بالافستا . ويسميه المؤلفون العرب « الأبتاق » ^(١) وكان هذا الكتاب في أول أمره ضخماً فلما غزا الاسكندر ليران ضاع منه شيء كثير . وفي العهد الأشكاني حاول بلاش جمع ما تفرق من هذا الكتاب وانتهى الأمر إلى أردشير في عهد الدولة الساسانية فأعاد المحاولة واستطاع أن يجمع من هذا الكتاب قدراً دونوه في واحد وعشرين مجلداً أو نسكا . ولكن هذا القدر المتجمع في هذه المجلدات قد عاد إلى التبدد والضياع مرة أخرى . ولم يبق من الأفستا في الوقت الحاضر سوى خمسة كتب أو أجزاء هي : ١ - يسنا ٢ - ويسپرد ٣ - ونديداد ٤ - يشتها ٥ - خورده أفستا .

أما الـ « يسنا » فهو أهم هذه الأجزاء . ومعنى يسنا العبادة والحمد والصلاة . ومجموع الـ يسنا اثنان وسبعون فصلاً . ويقال أيضاً لكل فصل من هذه الفصول « ها » وهناك من بين هذه الفصول سبعة عشر فصلاً تضم المقطوعات المنظومة المعروفة باسم « گاثا » في الأفستية و « گاس » في الپهلوية . والگاثا هي أقدم وأقدس أقسام الأفستا . وهي مقطوعات موزونة تشمل دعوات قصيرة وترتيلات . وتعتبر هذه الدعوات والترتيلات عن أفكار فلسفية وموضوعات ميتافيزيقية . وقد عرف من قديم أن الگاثا من كلام زردشت فجعلوها لها

مكانة خاصة ، ولكن التحقيقات التي قام بها العلماء أمثال Meillet أثبتت أن هذه الأناشيد ليست من كلام زردشت . وأشعار الكاڤا هذه من أقدم الآثار القديمة التي بقيت لنا في العهد الحاضر . ولا ترتل اليسنا وما تضمنه من أناشيد « الكاڤا » إلا في احتفالات وطبقا لطقوس خاصة .

وأما « ويسپرد » فلا يمكن اعتباره كتابا مستقلا ويمكن أن يقال إنه مجموعة من ملحقات اليسنا لا تشد بدونها . وكل فصل من فصول الـ « ويسپرد » يقال له « كرده » بمعنى باب أو فصل . وقد اختلف الباحثون في عدد الأبواب التي يتكون منها ويسپرد بين ٢٣ و ٢٧ بابا . وترتل الابتهاالات والدعوات الواردة في الـ « ويسپرد » في الأعياد التي تقام في المناسبات المختلفة كأعياد المواسم الستة في السنة وهي عيد خلق السماء ، وعيد المياه ، وعيد الأرض ، وعيد الأشجار ، وعيد الحيوان ، وعيد الإنسان ^(١) .

وأما « ونديداد » فموضوعاته مختلفة ويقال لكل فصل منها « فرگرد » وبمجموع فصوله اثنان وعشرون . ويقسم هوج هذه الفصول إلى ثلاث مجموعات حسب موضوعاتها . فالمجموعة الأولى تدور أغلب موضوعاتها عن الممالك الست عشرة التي انتشرت فيها ديانة زردشت ، وعن أسطورة الملك ياما ، وعن التوصيات الخاصة بالزراعة باعتبارها خير حرفة يحترفها الرجال . والمجموعة الثانية تدور أغلب موضوعاتها حول الأمور الدينية والطقوس المختلفة . والمجموعة الثالثة تضم موضوعات شتى مثل محاولة الشياطين عرقلة أعمال

زردشت ، حظ الروح بعد الموت ، ووسائل علاج الأمراض وغير ذلك من الموضوعات .

وأما « يشتها » ^(١) أو اليشتات ^(٢) فكانت في الأصل منظومة منقسمة مثل الـ « گانا » إلى قطعات وأبيات . وقد بقي منها حتى الآن واحد وعشرون يشتا بعضها قصير وبعضها طويل . وهي تراتيل في صورة ابتهالات للملائكة التي تسيطر ، بإشراف الإله الأعلى ، على جميع الظواهر الكونية والقوى الإنسانية . وفي اليشتات ثناء موجه إلى كل ملاك من ملائكة الله على حدة . ويتخلل هذا الثناء ذكر ما أداه هذا الملاك من المساعدات لكثير من الشخصيات القديمة المشهورة . ومن ثم كانت هذه اليشتات على جانب عظيم من الأهمية من حيث أنها سجل لحياة وأعمال كثير من تلك الشخصيات . ولذا نجد في هذه اليشتات ، إشارات وتليحات تاريخية عن حياة وأعمال كثير من ملوك الپيشداديين والكيانين من عهد گيومرث إلى عهد گشتاسپ . والحديث الخاص بهؤلاء الملوك في اليشتات يتفق إلى حد بعيد مع ما ذكر عنهم في الشاهنامه .

وأما « خورده أفتستا » أو الأفتستا الصغيرة فتشمل جميع ما بقي من قطع الزند أفتستا ^(٣) . وقد دونها في زمان شاپور الثاني (٣١٠ — ٣٧٩ م) الموبذ

(١) يشت ، ونديداد ، ويسپرد ، يسنا وغيرها من الأسماء التي سموها بها الواحد والعشرين جزءاً التي جمعوها من الأفتستا مأخوذة من إحدى وعشرين كلمة كانت تتألف منها إحدى صلوات زردشت القديمة المقدسة المسماة Yatha Ahu Vairyo . ومعظم هذه الكلمات لا يعرفها الزردشتيون في الوقت الحاضر .

(٢) مفردا يشت .

(٣) للأفتستا شرح يسمى الزند . ولهذا الشرح « زند » شرح آخر يسمى « پازند »

موبدان آذر بد مهر اسپند . وترتيل الأفتا الصغيرة (ماعدا التبريكات) ليس مما يختص به الموابذة وخدمهم فيستطيع أى رجل أن يرتلها جميعها أو أى جزء منها وليس شرطاً أن يصاحب ترتيلها طقوس أو احتفالات معينة .

وتشمل الأفتا الصغيرة الأدعية الخمسة (نياش) وهى أدعية لتمجيد الإله على بديع صنعه وجميل فعله . والدعاء الأول والثانى منها هو دعاء الشمس (خورشيد ومهر نياش) ويرتلونه فى الفجر ، والدعاء الثالث هو الدعاء الخاص بالقمر (ماه نياش) ، والرابع خاص بالمياه (ابان نياش) والخامس للنار (آتش نياش) .

كما تشمل الأفتا الصغيرة التبريكات (آفرينگان) . وهذه التبريكات هى التراتيل الوحيدة فى الأفتا الصغيرة التى يختص رجال الدين وخدمهم بترتيلها . وتصاحبها أثناء ترتيلها بعض الطقوس الخاصة . ويتخذ مرتلو هذه الترتيلات مجلسهم فوق سجادة تفرش على الأرض ويصف فوقها الفواكه أو الزهور ، وأكواب اللبن ، والماء ، والشراب . ويراد بترتيل هذه التبريكات تذكير الأحياء بمن مضوا من أهاليهم وأقربائهم أو طلب المساعدة من الإله .

العقيدة الزردشتية :

قلنا فيما سبق إن الإيرانيين القدماء كانوا يعبدون القوى الطبيعية فلما جاءهم زردشت دعاهم إلى عبادة إله واحد هو أهورامزدا . والذى يعنى النظر فى تاريخ التطور الدينى يشعر أن زردشت لم يبتدع عبادة الإله الواحد ابتداءً فقد كان لهذا الاتجاه بذور موجودة من قبل إذ وجد بين الأقدمين من كان يؤمن بوجود إله عظيم يسيطر على هذا الكون ويوجهه وليس هذا الإله واحداً من تلك

الظواهر الطبيعية التي يعبدها الآريون كالشمس والسماء والرعد وغير ذلك ، ولكنه يكمن وراء كل هذه الظواهر يتصرف فيها دون أن يُرى . ومن هذا نرى أن زردشت وجد بذرة مهياة فأخذها ونماها وأضاف إليها . وأكد زردشت أن الإله (اهورامزدا) هو خالق الكون كله .

ويسمى زردشت الإله « اهورامزدا » مع أن كلمة الإله عند معظم الشعوب الآرية مشتقة من أصل آرى قديم جداً هو « ديو » المأخوذ من الإشراف والضياء ، فلماذا عدل زردشت عن تلك الكلمة القديمة وفضل أن يستعمل بدلها في الدلالة على الله كلمة « اهورامزدا » . لعل زردشت حين رأى الناس في عهده يميلون إلى الشرك ويستعملون كلمة ديو بمعنى إله لكثير من الظواهر التي يعبدونها والتي هي من خلق الله وصنعه تحاشى أن يستعمل هذه الكلمة في الدلالة على الله حتى لا يستمر ارتباطها في أذهان الناس ، بعد اعتناقهم الدين الجديد ، بمعاني الشرك وتعدد الآلهة كما كانت الحال من قبل . بل إنه خطا خطوة أخرى مضادة وجعل لهذه الكلمة « ديو » مدلولاً جديداً مكروهاً هو الشيطان حتى ترتبط معاني الشرك والتعدد بالشيطان لا بالإله . وما يؤيد هذا أن مجموعة اللغات الآرية تستعمل « ديو » في الدلالة على الله بينما يستعملها الزردشتيون في الدلالة على الشياطين والأرواح الشريرة .

* * *

وإذا انتقلنا الآن إلى الحديث عن عقيدة الزردشتين وجدنا أن فكرة الثنوية هي أبرز الافكار المتصلة بهذه العقيدة حتى ذهب كثيرون في تفسير هذه الفكرة إلى أن هناك قوتين تسيطران على هذا العالم أحدهما قوة الخير

والثانية قوة الشر . وذكروا أن كل ما فى العالم من خير يرجع إلى قوة الخير أو إله الخير وأن كل ما فى العالم من شر يرجع إلى قوة الشر أو إله الشر ، وأن هاتين القوتين تتصارعان وتتنافسان فى جذب الناس وإغرائهم بالانضمام إلى واحدة منهما . وستكون الغلبة فى النهاية للخير وسيحقق البوار بقوة الشر ومن انضم إليها . وتصوير الفكرة على هذا النحو غير دقيق . ومن ثم وجب أن نقف عندها قليلا .

إذا تركنا معظم المصادر الفارسية أو الزردشتية ورجعنا إلى أغلب المؤلفات الإسلامية أو الأوربية وجدنا أنها تنص بصراحة على أن الدين الزردشتى دين توحيد . فالقلقشندى يذكر مثلا عند كلامه على زردشت أنه ادعى النبوة وقال بوحدانية الله تعالى وأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند وأنه خالق النور والظلمة ومبدعها . ^(١) ويذكر الثعالبي أن الكتاب الذى جاء به زردشت كان فى التسبيح لله وتمجيده وفى الاخبار الماضية والكائنة .. الخ. ^(٢)

وإذا كنا نوافق على أن زردشت قد دعا إلى عبادة الإله الواحد كما يتبين من نصوص كثيرة زردشتية وإسلامية وأوربية فإننا لا يمكن أن نوافق على ما ادعاه زردشت من أن هذه الفكرة ، فكرة الايمان بوجود إله واحد ، قد جاءت عن طريق الوحي الإلهى . وذلك لأننا ذكرنا فيما سبق أن هذه الفكرة كانت موجودة بين طائفة من الآريين قبل زردشت ، فلم تكن إذا وحيًا إلهيًا يدعى زردشت أنه خص به ، فضلا عن ذلك فإن هذه الفكرة فى ذاتها يسهل

(١) صبح الأعشى : ص ٢٩٣ ج ١٣ ط الاميرية ١٩١٨

(٢) الفرر : ص ٢٥٧

على كل عاقل متدبر في شئون الدنيا ومتأمل في نظام الكون أن يهتدى إليها بالعقل والفطرة السليمة . وإدراك أن هناك قوة عليا تسيطر على هذا الكون وتدبره وتسيره وفق نظام خاص ليس مما يحتاج إلى وحى إلهي وإنما يحتاج إلى ذكاء عقل وعمق تأمل . كما أننا لا يمكن أن نوافق على أن الكتاب الذي جاء به زردشت كتاب أنزل عليه من السماء كما يدعى . وهذا مولتون يذكر أن زردشت قد بدأ دعوته وعنده ميراث ورثه عن أسلافه في الناحية الدينية وهو الإيمان بوجود إله قوى غير ظاهر . وهذا الإله ليس القوى الطبيعية الظاهرة . وأضاف زردشت كثيراً إلى هذه العقيدة التي ورثها .^(١)

إذاً فما دمنا نوافق على أن زردشت بذكاء عقله ، وعمق تأمله قد أدرك أن لهذا الكون إلهاً واحداً يدبره وينظمه فمن أين جاءت فكرة الثنوية وكيف نشأت .

كانت ديانة زردشت قائمة على الإله الواحد « اهورامزدا » الخالق الحاكم المسيطر على الكون ، الخفى ، الذى إليه يرفع كل ثناء على ما فى الكون من خير أو جمال وإلى يرفع الرجاء والضراعة . ولا يصور الزردشتيون الإله فى أى صورة يعبدونها ولا يتخذون له هيئة أو منظراً أولوناً ، فهو عندهم ضياء لانهاى يفيض عنه كل جلال ، سخاء ، حسن . ويعتبرونه أقوى وأعدل وأكرم من فى الوجود ، وأفضاله لاحد لها ، وأى ثناء أو عبادة لأى كائن غيره كفر وبهتان . ويصف زردشت الإله بأنه خالق الأرض والحياة ، وسيد الكون ، فى يده جميع المخلوقات ؛ وهو الضياء ومصدر الضياء ، وهو الحكمة والعقل . ويده كل خير فى هذا العالم .

وهو الذى يكافئ المحسن ويعاقب المسىء . وكل ما فى هذا الكون من حسن أو قبح ، سعادة أو شقاء فالله مرجعه . وقد خلق الله روحين أو ملكين يعملان بأمره أحدهما يسمى سپنتو مينيوش Spento Mainyush وهو الملك أو الروح المكلف بشئون النمو والزيادة والتكاثر والآخر يسمى انكرو مينيوش Angro Mainyush أو أكامينو وهو الملك المختص بشئون النقص والهلاك . وهذان الروحان يعملان على الدوام تحت سيطرة الإله الواحد . وهذا الإله هو الذى يخلق وهو الذى يهلك عن طريق هذين الملكين . والذين ادعوا أن دين زردشت يدعو إلى الشائنة أساءوا الفهم . وكان سبب هذه الاساءة فى الفهم أنهم خلطوا بين عقيدة زردشت التى تؤمن بالإله الواحد وفلسفته التى اتخذها لتفسيرها تين القوتين اللتين تتصارعان فى مجالين متضادين . وقد دعاه إلى ابتداء هذه الفلسفة ما لاحظته من أن المسألة التى لفتت أنظار الناس من قديم الزمان هى وجود النقائص والشر إلى جانب الفضائل والخير . وهداه فكره لتوضيح هذه الظاهرة إلى تصويرها بهذه الصورة الشائنة . وكل ما فى الكون من خير يصدر بطبيعة الحال عن الإله بوساطة الروح أو الملك المختص وكل ما فى الكون من شر يصدر كذلك عن الإله بوساطة الروح المختص . ويجب أن نذكر هنا أن كلا الملكين لا يمكن أن يعمل ضد إرادة الإله لأنه مأمور بأمره . وال Spento Mainyush هو الذى يصدر عنه كل ما هو مشرق فى هذا الكون وكل ما هو خير ونافع بينما يصدر عن الـ انكرو مينيوش Angro Mainyush كل ما هو مظلم وضار . والأول يدفع الناس إلى العمل والثانى يدعوهم إلى النوم والكسل والحياة تخلق بأمر الله على يد الأول سپنتو وتنطفئ

بأمر الله على يد الثاني انكرو. وهكذا نرى أن وجود ملائكة يعملان في اتجاهين مختلفين تحت سيطرة إله واحد ليس معناه الشائبة .

وقد تصورت فلسفة زردشت وجود ستة ملائكة آخرين يعاونون ملاك الخير والبركة « سپنتو » يقال لهم « امشا سپندان » وهؤلاء الملائكة هم :

- ١ - اشاو هيشتا ويمثل الصدق والاستقامة
- ٢ - هومنو « طهارة القلب والفكر والقول والعمل
- ٣ - هوخشترا « الاقتدار والملك والغنى والثروة
- ٤ - سپنتا آرميتي « العشق والمحبة والتواضع والطاعة لله
- ٥ - هروتات « الجمال في الدنيا
- ٦ - امرتات « الخلود والدوام ^(١)

ويبدو من أسماء هؤلاء الملائكة وما يمثلونه أنهم لم يكونوا سوى أسماء وأفكار معنوية تمثل صفات الله التي يهبها للمتقين من عباده .

وازاء قوى الخير هذه « امشاسپندان » هناك أيضاً أعمال الشر الذين يعاونون اهرمين ويسمونهم « كاريكان » . ويقوم كل واحد من هؤلاء بنشر جملة مفسد وشرور في العالم كالنفاق والخداع وتضليل الناس وبث الضعف والفوضى والعصيان والطغيان الخ .

ومن أعوان اهرمين علاوة على هؤلاء الـ « كاريكان » عدد من الشياطين « ديوان » .

وقد كان لشيوع فكرة التضاد والثنية أثرها في الأدب الفارسي. فنسبت الأفعال الطيبة إلى الآلهة والملائكة ، والصفات المرذولة إلى أهرمين وأتباعه من الشياطين « ديوان » .

* * *

وتعني ديانة زردشت كذلك بنوعين من الحياة : الحياة الأولى والحياة الآخرة أو حياة الجسد وحياة الروح . والزردشتيون يعتقدون في الحياة الآخرة ، ولذا تسود هذه الفكرة أناشيد الـ « گانا » وجميع الأدب الأثنتي . ويؤمن الزردشتيون بالثواب والعقاب في الحياة الأخرى أو بالسماء (الفردوس) والجحيم . ففي الـ « گانا » النشيد ٣٠ فقرة ١١ نرى زردشت يحدث الناس قائلاً : إذا عرقتكم أوامر الله فيما يتعلق بالقوتين : قوة الخير والشر ، وعرقتكم أن الأولى معناها النجاح ، والثانية معناها الشقاء وأن الذين يؤمنون بالأولى ينعمون بالسعادة والذين يؤمنون بالثانية وهم المنافقون الكذابون أعد لهم عذاب أليم . أقول لكم ما دتم قد عرقتكم الفرق بين الاثنين فلن تترددوا في الدخول إلى موطن الحمد والثناء ^(١) . وفي النشيد الحادي والثلاثين الفقرة ١٤ يتساءل زردشت عن الجزاء الذي أعده أهورامزدا للذين يتبعون طريق العدل وعن الجزاء الذي أعده للذين يتبعون طريق الكذب وكيف يكون موقف كل منهما يوم الجزاء . وفي الفقرة ١٥ يتساءل عن العقوبات التي أعدها لأولئك الذين يؤيدون أهل الضلال والنفاق وعن العقوبات التي أعدها لأولئك الذين لا يستطيعون العيش بغير القسوة على الماشية . وفي الفقرة ١٨ من نفس النشيد يجيبه أهورامزدا أن اتباع أهل الضلال مؤد إلى هلاك البلاد والعباد وأن

على زردشت أن يحاربهم بالسلاح . وفي الفقرة ٢٠ يرد عليه أهو رامزد بأن
الهلاك والظلمة الأبدية واللعنات ستكون في اليوم الآخر من نصيب أهل الكذب
والنفاق . وفي الفقرة ٢١ يعد أهو رامزد الذين ينصرونه بالفكر والعمل بأن لهم
الصحة الكاملة، والخلود، والعدل، والقوة وفي النشيد ٤٦ يتحدث عن الصراط وعن
جزاء المحسنين في الآخرة ، وانهم صائرون إلى الفردوس (السماء) بينما يصير
الكاذبون المضللون إلى جهنم . واسم السماء في السگائا «گرو دمانا» Garodemana
أى بيت الأناشيد لأنهم يعتقدون أن الملائكة يرتلون أناشيدهم هناك . والسماء
عندهم هى مقر الآله والأتقياء من الناس . ومن أسماء السماء الشائعة عندهم
آهو فهشتا (الحياة المثلى) التى اختصرت فيما بعد إلى فهشتا وصارت بالفارسية
بهشت بمعنى الفردوس . وتسمى السگائا الجحيم «دروژو دمانا» أى بيت الهلاك
والإبادة . وللجحيم اسم آخر دوزنها . وفي الفارسية الحديثة دوزخ . وبين
الفردوس (السماء) والجحيم جسر تستطيع أن تمر عليه أرواح الأخيار فقط
بينما يسقط الأشرار فى الجحيم .

* * *

وتعنى الزردشتية بالنواحي الخلقية وتتلخص فلسفتها فى الدعوة إلى الخير
فى الفكرة وفى اللفظة وفى الفعل . ومن الواجبات التى تفرضها هذه الفلسفة على
الزردشتى أن يفكر فى الخير، وأن يقول الخير وأن يفعل الخير . وتشبه الزنداقستا
الفضيلة والخير بأنها رداء يشرف به مرتديه ، وتشبه الرذيلة بأنها كساء ينجل
منه مرتديه . ويعد زردشت الصدق من أسس السعادة ، والكذب من أبشع
الذنوب ويشجع زردشت الناس على الجد والعمل ويعتبر الكسل مصدر
الفقر والعار . وعلى الزردشتى أن يتجنب عكس هذا الثلاث فلا يسمح لنفسه

بالتفكير في الشر ، ولا في قول الشر ، ولا في فعل الشر .

* * *

وقد حاول أردشير بابكان أن يحيي الديانة الزردشتية بتطبيق مبادئها وتعاليمها فدعا لتحقيق ذلك جميع أهل العلم والحكمة والدين في مملكته لبحث الوسائل المؤدية إلى ذلك بعد أن أهملت هذه التعاليم منذ أن غزا الاسكندر بلاد إيران . واجتمع في بلاطه ما يزيد على أربعين ألف رجل اختار منهم أقدرهم وأخذوا بإشراف الحكيم اردافيراف في وضع مجموعة من القوانين الخلقية لهداية الناس وردهم إلى مبادئ الدين والخلق القويم . وتصور هذه المجموعة ما ينال الناس في العالم الآخر سواء في الفردوس أو في الجحيم حسب ما قدمت أيديهم من الأعمال في الدنيا . وقد تخيل أردا فيراف أنه رحل إلى العالم الآخر واطلع هناك على احوال أهل الفردوس وما يصيبهم من نعيم وسعادة جزاء ما قدموا في الدنيا من خير ، واهل الجحيم وما يلاقون هناك من عذاب وشقاء لقاء ما اقترفوا في الدنيا من شر وإثم . وتسمى هذه المجموعة الهامات أردا فيراف أو كتاب أردا فيراف . ويصرح زردشت كما تصرح الزندا قستا في كل صفحة من صفحاتها بأن الأعمال الطيبة هي وحدها التي تنقذ الناس في الآخرة من الجحيم وأن كل روح تعاقب أو تكافأ وفق ما قدمه صاحبها في الدنيا . ولعل المكافأة على الخير والعقاب على الشر هما المحور الذي تدور عليه قصة أردا فيراف .

وبعد أن انتهى أردا فيراف من جولته في العالم الآخر هبط إلى الدنيا ليحدث الناس عما رآه وليرغبهم ويرهبهم ، وليهديهم إلى طريق الخير والحق .

وتروى القصة أن الملاك كان يخاطب ارداثيراف بعد أن رجع من جولته فيقول له :-

« استمع يا ارداثيراف . لا يتم أمر بلا جهد . ولكل جهد جزاء . والعامل الفقير الذى يقضى يومه فى العمل النافع يستحق أجره آخر النهار وكذا أولئك الذين يقضون حياتهم فى فعل الخير ينالون جزاءهم فى الدار الباقية . وحياة الإنسان قصيرة وكثيراً ما انتابته فيها المتاعب والمصاعب . ولا يجوز للإنسان إذا قضى من عمره خمسين سنة فى نجاح وسعادة أن يتولاه الغرور لأنه عرضة فى أى وقت لأن يقع فريسة المرض والفقر . وكثير من الناس يضجون بالشكوى إذا شقوا يوماً واحداً بعد خمسين سنة قضوها فى المتعة والسرور .

« الزم يا ارداثيراف طريق الحق والصواب وعلم الآخرين أن يقتفوا أثرك . ذكر الناس بأن أجسادهم صائرة إلى التراب وأن أرواحهم ، إذا كانت صالحة ، صاعدة إلى عالم الخلود فأخذه بنصيدها فيه من السعادة .

أكثر من الاهتمام بروحك ، وليكن اهتمامك بالروح أشد من اهتمامك بالجسد لأن آلام الجسد تسهل مداواتها ولكن من ذا يستطيع مداواة أمراض الروح . إنك عندما تزمع فى هذه الدنيا القيام برحلة تزود نفسك لا محالة بالمال والملابس والمؤونة وتهىء لنفسك أسباب الوقاية من جميع ما قد يصادفها من أخطار الطريق . فإذا أعددت لرحلتك الأخيرة من العالم السفلى إلى العالم العلوى ومن هيات من الرفاق لاصطحابك فى هذه السفرة الطويلة . اسمع يا ارداثيراف سأشرح لك ما يلزمك من الذخيرة والمؤونة فى رحلتك إلى الحياة الأبدية . ولتعلم أن رفيقك الذى يعينك فى هذه الرحلة هو الله ، ولكى تحظى

منه بالمساعدة يجب أن تسلك سبيله وتعتمد عليه . وليكن زادك في رحلتك الاخلاص والامل واستحضار ما قدمته من خير . إن جسدك يا أرداثيراف إذا أردت له شيئا فبالحصان شبهه ، وروحك الفارس . والزاد الذى يلزم كليهما ، الحصان والفارس ، هو الزاد الصالح . وإذا كان الفارس عاجزا غير مجيد اضطرب تحته الفرس وتعثر سيره . وإذا ساء أمر الفرس وكان جموحا اضطرب أمر الفارس . والواجب توجيه العناية اليهما معا . فوجه عنايتك إلى روحك ولا تنس جسدك . والله يا أرداثيراف يطلب من عباده شيئين ألا يقعوا فى الخطيئة وألا يكونوا بأنعمه من الجاحدين .

علم الناس يا أرداثيراف ألا يغرقوا فى متع الدنيا ومباهجها فإنهم حين يرحلون عنها لا يحملون معهم شيئا منها .

إن الناس ليغترون بأنفسهم فى سن الشباب والرجولة المبكرة لأنهم ينعمون بالصحة والقوة ويتوهمون أن القوة لن تتحول ضعفا ، وأن الغنى لن ينقلب فقرا ، وأن الضياع والقصور والمفاخر ستبقى خالدة كما هى ، وأن الجنان ستبقى أبدا خضراء ، وأن الأعناب ستظل دواما مثمرة . ولكن يا أرداثيراف علمهم أن لا يجرؤا وراء الأوهام ، ولا يتبعوا الظنون ، علمهم أن كل ما فى أيديهم ذاهب ، وكل ما يتعلقون به من أسباب النعمة والسعادة زائل ، وأن كل شيء إلى فناء ، وليس باق سوى الإله

وتشبه قصة أرداثيراف فى موضوعها وطريقة معالجتها لهذا الموضوع رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى والكوميديا الالهية لدانتى .

* * *

ومن المسائل المهمة فى العقيدة الزردشتية مسألة النار . فما هى قصة النار وماهى الدوافع التى دفعت الزردشتيين إلى توقير النار .

يعتبر الزردشتيون الله مصدر الجلال ، والاشراق ، والضياء . ولذا ترى الزردشتي حينما يشرع في الصلاة يقف أمام النار أو يولى وجهه نحو الشمس لأن النار والشمس يبدوان في نظره أقوى الرموز الدالة على الإله . وقد لاحظوا في النار ملاحظات جعلتهم يعتبرونها رمزاً للإله . فالنار أولاً رمز للإشراق والضياء . وهى بهذا أصدق رمز يرمز به إلى الله مصدر ما فى الكون من ضياء وإشراق . وفضلاً عما تتميز به النار من الضياء فهى طاهرة ، نشيطة فى استعارها وتوقدها ، غير قابلة للفساد . والنار ثانياً من أعظم وأفيد مخلوقات الله فهى نافعة للإنسان ولكل الكائنات والموجودات بما تشعه من حرارة وضياء . وبسبب هذه الأهمية العظمى جاء توقير الزردشتيين لها . والنار ثالثاً وعلى الأخص النيران التى تشتعل فى بيوت النار تمثل فى نظر الزردشتي النقاء والطهارة . ولهم فى معالجة النيران المشتعلة فى المعابد طرائق خاصة فهم يعرضون النار لعمليات مختلفة حتى تصل فى النهاية بعد تلك العمليات إلى درجة النقاء والصفاء والطهارة . وعند ما ينشئون بيتاً من بيوت النار يأتون له بالنيران من جميع الأنحاء ويضعون كل نار منها فى إناء ولهم طريقة بعد ذلك يستخرجون بواسطتها ناراً أخرى من كل واحدة من هذه النيران . ومن هذه النار الثانية يستخرجون ناراً ثالثة ، ومن الثالثة يستخرجون ناراً رابعة إلى أن يصلوا إلى النار التاسعة . وهذه النار التاسعة التى استخرجت بعد العمليات التسع السابقة تصبح نقية تمام النقاء ، طاهرة كل الطهارة بعد هذه المراحل التى مرت بها . ولكن ماذا تعنى هذه النار عند الزردشتي . إنه ليسأل نفسه اذا كانت النار على عظيم قدرها ، وجليل خطرها ، وهى التى تتخذ رمزاً لله ، محتاجة إلى أن تمر بكل هذه العمليات الطويلة كي تصل إلى درجة النقاء والطهارة فما بالك بى أنا ، وما حوجنى وأنا العبد الضعيف الفانى إلى أن أمرأنا الآخر بفكرى ولسانى ويدي فى كثير من عمليات التطهير والتنقية حتى أصل فى النهاية إلى أن أكون ذا فكر طيب ،

ولسان طيب ، وعمل طيب ، وبذلك أستطيع أن أحتل مكاناً طيباً في العالم الآخر .
وليس من السهل أن نعرف متى بدأ توقير الناس للشمس لأن الناس من
عصور بعيدة لا يتسنى تحديد لها قد عرفوا النار ووقروها . وكانت عادة عبادة
النيران معروفة عند الآريين . أما الزردشتيون فإنهم وإن وقروا النيران
إلا أنهم لم يعبدوها وإنما كانوا ، على نحو ما شرحنه من قبل ، ينظرون إليها على
أنها رمز للإله العظيم . والزردشتيون حين يصلون يتجهون إلى النار وإلى
الشمس باعتبارها رموزاً للإله . وبما يؤيد هذا أن ترتيباتهم في هذه الصلوات
توجه إلى الإله وحده لا إلى رموزه من نار أو شمس مما يدل على أن
الزردشتي كان يفرق تفريقاً واضحاً بين الإله وبين رموزه . وليست النار
عنده معبودة ولكنها رمز للإله المعبود .

وكانوا ينقشون معابد النيران على السكة ، كما كانوا يلقون في النيران العيدان
الذكية وسائر المواد العطرية لتنتشر الرائحة الطيبة في المكان . وفي أثناء اشتعال
النيران يرددون الأدعية المختلفة ، وينثر رجال الدين الهوما أثناء تلاوة الأدعية
أو انشاد الأقسما ، وذلك بعد أن يطهروا غصونه ويدقوها في الهاون . ومن
الملوك من كان ينثر الجواهر على النار المتقدة في معابد النار كما فعل پرويز في
بيت نار آذرگشسب ^(١) .

وبمناسبة نبات الهوم نذكر أن الفردوسي يشير إلى البرسم في أكثر من

(١) الشاهنامه : ص ٢٧٦٨ ج ٩

وراجع أيضاً حديث تنسر عن النيران . المتن والهامش من كتاب تنسر
الترجمة العربية للدكتور الحشاش ص ٤٤ - ٤٦ .

موضع فكانوا إذا تعبدوا في بيوت النيران اتخذوا معهم البرسم^(١) . والبرسم عبارة عن غصون مقطوعة من شجرة نظيفة . ويرى البعض أن البرسم يجب أن يقطع من شجرة الهوم وهى شجرة تشبه الأثل ، وإن لم توجد شجرة الهوم فمن شجرة الأثل ، وإلا فمن شجرة الرمان . وتستخدم في قطع هذه الأغصان سكين لها مقبض من حديد تسمى « برسمجين » ويوضع البرسم على حاملين يسمونهما « برسمدان » ويتخذونها من الذهب أو الفضة أو غيرهما . ويسمى البرسمدان أيضاً الماهروى لأن نهاية كل حامل مقوسة على شكل الهلال .

ونظراً لأهمية النار عند الزردشتيين سمى الإيرانيون في العهد الإسلامى بيوت النار كعبة زردشت وسموا النار نفسها قبلته . ونظراً لتوقير الزردشتيين النار سماهم الإيرانيون المسلمون عبدة النار (آتش پرست وآذر پرست)^(٢) . ولما قهر المسلمون الإيرانيين حطموا معابد النار فضعفت بذلك هيبتها . ولكن حين سمحت الظروف السياسية للشعوبيين أن يفخروا بماضيهم فخر شعراء العربية الذين كانوا من أصل أعجمى بالنار وفضلوها على الطين كما فعل بشار إذ فضل ابليس على آدم في قوله :-

والنار معبودة مذ كانت النار	الأرض مظلمة والنار مشرقة
فتذبها يا معشر الفجار	ابليس خير من أبيكم آدم
والأرض لا تسمو سمو النار	ابليس من نار وآدم طينة

(١) الشاهنامه : ص ٢٤٤٦ ج ٨

(٢) آذر بمعنى آتش : النار .

والفردوسى يعرف النار بأنها دليل الضوء الإلهى (نماينده فروغ ايزديست) وأنها قبله الإيرانيين كما أن السكبة قبله العرب .

وكان الإيرانيون إذا ضاق بهم أمر ضرعوا إلى الله فى بيت النار عسى أن يكشف عنهم الضيق . وإذا تعبدوا فى بيوت النار لبسوا الثياب البيضاء ^(١) وأرخوا شعورهم ^(٢) .

وقد فرض زردشت على أتباعه ثلاث صلوات يدورون فيها مع الشمس كيفما دارت ، إحداها عند طلوع الشمس والثانية عند انتصاف النهار والثالثة عند غروب الشمس ^(٣) .

* * *

وكان هناك إلى جانب النار عناءمر أخرى يوقرها الإيرانيون كالهواء والماء والتراب . وهم يعظمون الماء لأنه كما يقول الشعابى قوام الخلق وسبب عمارة الدنيا وينزهونه عن أن يتخذ وسيلة لإزالة النجاسات وإماطة القذارات إلا بواسطة من المايعات مثل ما يستخرج من البقرة ومن قضبان الكروم والشجر . وبلغ من تقديسهم للماء أنهم لا يمدون يدهم إليه إلا للشرب وسقى النبات .

* * *

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية للإيرانيين القدماء بالدين تأثراً كبيراً ،

-
- | | | | |
|---------------|---|--------|-----|
| (١) الشاهنامه | : | ص ١٣٨٦ | ج ٥ |
| (٢) الشاهنامه | : | ص ١٤٩٦ | ج ٦ |
| (٣) الغرر | : | ص ٢٥٩ | |

وكانت السمة الدينية ظاهرة في جميع نواحي حياتهم الاجتماعية .

فأعيادهم مثلاً كان الباعث على اتخاذها في أغلب الأحوال دينياً فإن لم يكن الأمر كذلك كانت الطقوس الدينية هي المظهر الغالب على هذه الأعياد ولناخذ مثلاً عيد النوروز الذى يقع فى اليوم الأول (اهورامزدا) من شهر فروردين . ويسميه الزردشتيون المقيمون بالهند فى الوقت الحاضر « پتيتى » Pateti وهى مأخوذة من كلمة أفستية Paitita ومعناها يوم التوبة . وهو ، بناء على هذا ، يوم يصلى فيه المرء ليغفر الله له ما اقترف من ذنوب طيلة العام المنقضى وفى هذا اليوم يصحو الزردشتى مبكراً فيغتسل ويتطهر ويرتدى ملابسه الجديدة ويؤدى الصلوات ملتئماً بالرحمة من اهورامزدا له ولأهله . ويبدأ صلاته بتمجيد قدرة الله ويلتمس المغفرة لذنوبه التى اقترفها فى العام الماضى ثم يذهب إلى معبد النار ويهدى إليه خشب الصندل . وهناك يعود إلى الصلاة ليستعيد حب الإله ورحمته . وإذا انتهت صلواته وزع الصدقات على الفقراء من رجال الدين والمحتاجين من الناس ، ويقضى بعد ذلك بقية يومه فى مرح وسرور مع أفراد الأسرة . وفى هذا اليوم يتزاور الناس للتهنئة بالسنة الجديدة . ولناخذ عيد ريشوان فإنه أصلاً العيد المؤذن بحلول فصل الصيف . ومن هنا ترى أن الباعث على اتخاذهم هذا العيد لم يكن دينياً ومع ذلك غلبت عليه المسحة الدينية ففيه يقام احتفال كبير يحضره جمع غفير من الناس فى معبد النار الرئيسى ، وتقام الصلوات وتوجه الترتيلات إلى « ارديهشت امشسپند » وهو الملاك الذى يشرف على الضوء والنار .

وهناك عيد خرداد سال الذى يقع فى يوم خرداد من شهر فروردين .

ويصادف هذا اليوم عدداً من المناسبات والحوادث التي يعتز بها الزردشتيون مثل يوم مولد نبيهم . وفي هذا اليوم تقام الحفلات الدينية في الصباح وفي منتصف الليل ، ويقضون ما بينهما في الفرح والابتهاج .

* * *

وكان من تأثير الدين في حياتهم الاجتماعية أن حجب إلى الزردشتيين الاشتغال بالفلاحة واعتبرها خير حرفة .

وتخص الكائنات الفلاحة والفلاح بالعناية وتعتبر الفلاح مؤمناً وغيره كافراً منافقاً . وفي الترنيمة ٢٩ الفقرة ٥ يتجه الدعاء إلى الإله أهورامزدا أن يحفظ الفلاح من كل سوء يصيب أهل النفاق الذين يعيش بينهم^(١) .

ولا تستغنى الفلاحة والفلاح عن الحيوان والماشية ولذا دعا الدين الزردشتي إلى العناية بالماشية ، وطلب إلى الناس أن يرأفوا بها ، وعد الذين يقسون عليها أعداء للدين . وبشر الذين يعنون بها ويرعونها بالجزاء الحسن . ونهى عن قتل الحيوان أو أكل لحمه وعد الذين يفعلون هذا أو يغرون الناس بفعله من أعداء الدين . ويتردد ذكر الماشية كثيراً في الكائنات . وفي الفقرة الأولى من الترنيمة الخمسين يقول زردشت من أدعوا لحمايتي وحماية الماشية غيرك يا أهورامزدا . وقد امتدت رعاية المواشي إلى الهند حتى أصبح يتبرك بها في الوقت الحاضر .

* * *

وإذا توفى المتوفى منهم بدأت مجموعة من الاجراءات الدينية المعقدة يقوم بها رجال الدين . فإذا توفى المتوفى غسل جسمه ولف في ثياب نظيفة وأخذ الدستور أو الموبد مع غيره من رجال الدين في ترديد نصوص شتى من الزند اقستا الغرض منها الصلاة من أجله ليعفو الله عن ذنوبه . وإذا كان المحتضر متمالكا حواسه سرد هذه الأدعية بنفسه وإذا كان غائبا عن رشده رددتها بالنيابة عنه ابنه أو أقرب الناس إليه أو رجل الدين الخاص بالأسرة . وإذا فرغ الدعاء والترتيل حملت الجثة إلى ما يسمونه « دخمة » أو برج الصمت أو الناووس . وإذا انتهى الملحدون من وضع الجثمان في القبر أخذ رجال الدين والأقارب والأصدقاء الذين اشتركوا في الجنازة يغسلون أيديهم ووجوههم ليؤدوا الصلاة تقرباً إلى الله . ويقوم أصدقاء المتوفى وجيرانه ومعارفه بزيارة أقربائه كل صباح ومساء لتقديم واجب العزاء مدة ثلاثة أيام . وفي معتقدات الزردشتيين أن الروح لا تغادر الدنيا في الأيام الثلاثة التالية للوفاة . ولذا يقوم رجل الدين بالصلوات والتراتيل المتصلة خلال هذه الأيام ، وفي صباح اليوم الرابع تفارق الروح هذا العالم إلى العالم الآخر . ولهذا تقام حفلة دينية إمامي منزل المتوفى أو في أحد معابد النار مساء اليوم الثالث وقبل شروق شمس اليوم الرابع . ويحضر الحفلة أهل المتوفى والأقارب والأصدقاء . وإذا كان أهل المتوفى أغنياء وزعوا الأموال والصدقات على روحه . وتجلس النسوة من أسرة المتوفى مدة ثلاثة أيام أو عشرة بعد الوفاة على بساط يفرش على الأرض قرب المكان الذي كان يسبح فيه المتوفى ويتقبلن خلال هذه الأيام التعزيات من صديقاتهن .

ومن أهم الأعمال الدينية الخيرية التي يتقرب بها الزردشتيون إلى الله بناء المقابر

ولا ينسى أهل الميت ذكره فيقيمون له احتفالات الذكرى . وتخصص الأيام العشرة الأخيرة من السنة لإحياء ذكرى الأموات . وتسمى الاحتفالات التي تقام لهذا الغرض « فراورديجان » وتخصص لهذه الاحتفالات إحدى حجرات المنزل وتنظف جيداً وتوضع فيها كل صباح أجمل الزهور وأطيب الفاكهة وتقام الصلوات خلال اليوم . والزهور والفواكه ضرورية في أغلب حفلات الزردشتيين سواء أكانت هذه الاحتفالات للأموات أو للأحياء . وتسعد أرواح المتوفين في عليائها حينما ترى الأحياء يذكرونها ويحتفلون من أجلها .

وكان من عاداتهم أن يمشوا في جنازة المتوفى حفاة حاسري رؤوسهم . ولما بلغ كيكائوس نبأ مقتل ابنه سیاوخش نزل من على العرش وافترش الأرض ، وشق عليه ثيابه ، وجاءه القواد والعظماء وكبار رجال الدولة حفاة يعزونه في ملابس الحداد السوداء^(١) . وكانت أيام المأتم فيما يتصل بالملوك تمتد من شهر إلى أربعين يوماً . وجلس بهرام بن بهرام بن هرمز في مأتم أبيه أربعين يوماً وكان الناس يأتونه من كل مكان للتعزية ويجلسون على التراب إلى جانبه^(٢) . وكانوا يجلسون في المأتم حفاة حاسرين . كما كانوا يمتنعون عن الشراب والقصف مدة شهرين إظهاراً لحدادهم على الملك المتوفى^(٣) .

* * *

حتى الملابس تسلمت الفكرة الدينية إليها فكانوا يعملون الزنار مثلاً من

(١) الشاهنامه : ص ٦٨١ ج ٣

(٢) الشاهنامه : ص ٢٠١٩ ج ٧

(٣) الشاهنامه : ص ٢٥٦٣ ج ٨

٧٢ خيطاً من صوف الضأن الأبيض، وإنما عمل من ٧٢ خيطاً إشارة إلى فصول
اليسنا وعددها اثنان وسبعون . وتقسم هذه الخيوط ستة أقسام كل قسم منها
١٢ خيطاً. وهذا العدد ١٢ إشارة إلى أشهر السنة . وأما الأقسام الستة فهي إشارة
إلى أعيادهم الدينية الستة التي يحتفلون فيها بستة أيام الخليفة ^(١) . ويجب أن
يلف الزنار ثلاث لفات . وهذه اللفات الثلاث إشارة إلى الأصول الثلاثة في
الدين الزردشتي وهي الفكر الطيب ، والقول الطيب ، والعمل الطيب ^(٢) . وفي
اللفة الثانية من هذه اللفات كان الزنار يعقد عقدتين من الأمام . وفي اللفة الثالثة
وهي آخر اللفات يعقد عقدتين من الخلف . وكل عقدة من هذه العقدات إشارة
إلى أمر من الأمور فأما العقدة الأولى فتشير إلى الشهادة بوجود إله واحد .
والعقدة الثانية تشير إلى الشهادة بأن دين زردشت على حق ، والعقدة الثالثة
إشارة إلى الاعتراف برسالة زردشت . والعقدة الرابعة شهادة على أصول
الدين التي سبقت وهي الفكر الطيب ، القول الطيب ، العمل الطيب . وفي
سن السابعة يبدأ لبس هذا الزنار الذي هو عندهم قيد العبودية للإله . وكان
الزردشتي يكلف لبسه ابتداء من سن الخامسة عشرة حتى يكون لبسه فاتحة
عهد شباب سعيد . وفي هذه السن يبدأ عندهم الشباب . ولبس الزنار يحفظ
جسد الشاب من نفاذ شرور أهرمين إليه .

* * *

ومن الآداب الاجتماعية التي تعلمها الزردشتيون من دينهم السكون

(١) راجع : ص ٢٢٢

(٢) راجع : ص ٢٥٤

والزمرمة . والزمرمة هي الكلمات التي يتفوه بها المجوسى فى مدح الله عند
الشروع فى الأكل أو الاستحمام . والسكون هو ما يكون منهم أثناء الاغتسال
أو الأكل .

* * *

وإذا كانت الاتجاهات الدينية قد غلبت على الحياة العامة للإيرانيين إلى
هذا الحد فمن الطبيعى إذاً أن يسيطر رجال الدين الزردشتيون على الحياة فى
مختلف نواحيها . ولقد كان زردشت نفسه يشارك فى توجيه الحياة السياسية
للدولة على عهد الملك گشتاسب كما يتضح من نصوص الطبرى ^(١) . ويذكر
ابن الأثير أن زردشت أشار على بشتاسب (گشتاسب) بنقض الصلح مع ملك
الترك وقال أنا أعين لك طالعاً تسير فيه إلى الحرب فتظفر . وهذا أول وقت
وضعت فيه الاختيارات للملوك بالنجوم . وكان زردشت عالماً جيد المعرفة
بها ولما قامت الحرب بين ملك الترك والفرس انتصر الفرس فعظم أمر
زردشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله ^(٢) .

وكان الموابذة يتدخلون فى أكثر الميادين فاشتغلوا ، إلى جانب ، اشتغالهم
بالدين ، بالطب واشتغلوا بالتربية والتعليم . وتروى الشاهنامه أن شيرويه
ابن پرويز لما بلغ السادسة عشرة من عمره أحضر له أبوه المعلمين والمؤدبين .
وكان الموبذ واحداً منهم . وكان كثير من الملوك يتخذون من الموابذة مستشارين
وناصحين فى شئون الملك والادارة . وكذلك تولى رجال الدين مناصب القضاء ،

(١) الطبرى : ص ٦٧٦ ج ٢ بريل

(٢) ابن الأثير : ص ١٠٦ ج ١

ووضع القوانين والاشراف على تنفيذها . ويمكن القول أن كل فرد كان يخضع لإشراف رجال الدين من المهد إلى اللحد . ولم يكن نفوذ رجال الدين راجعاً إلى النواحي الدينية وحدها التي كان الناس يمتدنون فيها عليهم اعتماداً تاماً كشمون الزواج والولادة والطهر وتقديم القرابين والوفاة . . . الخ ، وإنما كان نفوذهم راجعاً إلى سيطرتهم على ميادين الحياة المختلفة بصفة عامة وإلى ثرائهم العريض حتى ليكن القول أنهم كونوا دولة داخل الدولة ، وفي عهد الأشكانيين والساسانيين كان رجال الدين يسمون «مغان» . والمغان في الأصل قبيلة من قبائل الميديين أو طبقة منهم كانت فيهم الرياسة الروحية قبل ظهور الدين الزردشتي . وفي الوقت الذي سيطرت فيه شريعة زردشت على نواحي غرب وجنوب إيران في ميديا وفارس صار المغان رؤساء الديانة الجديدة . وكان كل الرؤساء الروحيين ينتخبون من بين طبقة المغان . وبينما كان الساسانيون ينتهون بنسبهم إلى ملوك الهخامنشيين ومن بينهم گشتاسب راعي زردشت كان الموابذة يدعون اتصال نسبهم بمنوچهر من ملوك الپيشداديين .

وكان لرجال الدين مراتب منظمة . ولكن ليس لدينا علم مفصل عنها . وكانت الرياسة العليا في جميع الأمور الدينية والشئون الروحية للموبدان موبد الذي كان يفتي في جميع المسائل الدينية النظرية . وكان يوجه السياسة الروحية كما كان من حقه أن ينصب ويعزل الموظفين الدينيين . أما هو فينصبه الشاه في مركزه .

وهناك طبقة الهربدان ورئيسهم هربدان هربد . ومكانه في تنظيماتهم بعد الموبد موبدان . ويروى عن خسرو پرويز أنه بنى كثيراً من معابد النار

وخصص اثني عشر ألف هربرد لأجل الزمزمة وتلاوة الأدعية والأناشيد في تلك المعابد .

وهناك من الموظفين الروحانيين الدستور الذي كان فيما يظهر مختصا بالمسائل المذهبية والمباحث العقلية والاستشارات القضائية .

وكانت الديانة الزردشتية على العموم تتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤون حياة الأفراد كالنوم والصحو والأكل وقضاء الحاجة واشعال المصباح وتلاوة الأدعية ... الخ . وكانت التعاليم كثيرة متعددة فلا يجب أن تخبو نار الموقد ، ولا أن يسطع نور الشمس على النار ، ولا أن يلتقي الماء بالنار ، ولا أن تلمس يد الإنسان جسد ميت أو امرأة حائض ، ولا أن يلوث الماء أو يتكلم أثناء الأكل ، ولا أن يبكي الموتي . وكان من السهل على اتباع هذا الدين لكثرة هذه التعاليم وتدخلها في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة أن ينسوا أو يخطئوا فيكثر بذلك ترددهم على رجال الدين الذين جمعوا من وراء ذلك ثروة طائلة جعلت لهم نفوذا واسعا في البلاد .

ضعف الديانة الزردشتية :

ازدهرت الديانة الزردشتية حوالي ألف سنة من حكم گشتاسپ إلى غزو بلاد الفرس على يد الاسكندر الأكبر . وأخذ الدين الزردشتي منذ فتح الاسكندر يضعف ويتلاشى لفترة تقرب من خمسمائة وست وخمسين سنة بعد تحطيم الدولة الفارسية على يد الفاتح المقدوني إلى أن جاء عهد اردشير بابكان فرد إلى هذا الدين حياته . وفي عهد هذا الملك بذلت محاولات كبيرة لاعادة

هذا الدين إلى مكائنه القديمة . وكان الملك نفسه على جانب كبير من التقى والحماسة الدينية فجمع كتب الزردشتيين المقدسة وأمر بترجمتها إلى اللغة الهلوية، وبني معابد النار للعبادة وأعاد ديانة الفرس القديمة إلى ما كانت عليه . وجاء من بعده خلف كانوا يعنون بشئون الدين عنايتهم بشئون الدنيا . وكان من حكم ملوك الساسانيين أن الملك لا يصلح بلا دين كما أن الدين لا يصلح بلا ملك . واستمر هذا التجديد والاحياء للديانة الزردشتية مدة اربعمئة وست عشرة سنة إلى أن أزال الفتح العربى ملك الفرس فى سنة ٦٥١ م فى معركة نهاوند .

وليس من المنطق الطبيعى أن يقضى الفتح العربى على ديانة كالديانة الزردشتية بمجرد الانتصار على الفرس فى معركة من المعارك . والواقع أن الدين الزردشتى كان قد بدأ يضمحل قبل الفتح العربى بزمن حتى إذا جاء هذا الفتح كان الضربة القاضية .

ويرجع ضعف الدين الزردشتى إلى عوامل كثيرة نجم لها فيما يأتى:

كان رجال الدين الزردشتيون متعصبين تعصبا شديدا لدينهم ، وقد دفعوا بعض ملوكهم فى هذا الاتجاه فكانوا يضطهدون اتباع الملل الأخرى وأهمهم المسيحيون . ويظهر هذا الاضطهاد فى الفترات التى تسوء فيها العلاقات السياسية بين دولة الروم ، بعد اعتناقها المسيحية ، وبين دولة الفرس الزردشتية وفى مثل هذه الفترات تزداد قوة الزردشتية وقوة رجال الدين الزردشتيين . وإذا تحسنت العلاقات وصفت بين الدولتين ساعد ذلك على توطيد دعائم المسيحية فى البلاد الإيرانية .

ثم ولى الملك فى الدولة الساسانية عدد من الملوك كانوا بعيدين عن

التعصب الدينى . وأدى هذا إلى انتشار المسيحية وضعف شأن الزردشتية . وفى زمان يزدرجرد الأول فتح باب جديد فى الروابط بين المسيحيين والزردشتيين . وفى الكتابات التى كتبها المؤرخون المسيحيون والمؤلفون الايرانيون اختلاف كبير فيما يتعلق بأحوال يزدرجرد (يزدرگرد) الأول . وبعض المصادر السريانية التى ألفت فى عهد يزدرجرد (يزدرگرد) تصفه بالعدل وجميل الفعال والرحمة بالمسيحيين كما تصفه بالاحسان إلى الفقراء والضعفاء بينما نرى المؤرخين العرب والاييرانيين الذين استمدوا كتاباتهم من تواريخ العهد الساسانى وأخذوا مادتهم من عقائد رجال الدين الزردشت وأعيان الدولة يصفونه بأنه الأثيم « گنا هكار » والمخادع « فريبنده » والطبرى يتحدث عن ظلمه وكيف حل بالرعية . وواضح أن مصدر هذا الاختلاف موقف يزدرجرد (يزدرگرد) بالنسبة للمسيحية والزردشتية . وقد وقع فى عهده الصلح بين الدولتين الكبيرتين وحسنت العلاقات إلى درجة أن يزدرجرد تولى حماية تيودور الثانى الذى كان طفلاً صغيراً . وأوفدت دولة الروم الشرقية إلى بلاط يزدرجرد هيئة برياسة ماروثا أسقف ميفارقين . وكان لما روثة هذا وقار وهيئة تبعث على الإجلال فوقع من نفس يزدرجرد موقعا حسنا حتى إنه أمر إكراماً له بتجديد جميع الكنائس التى خربت ، وإطلاق سراح الرعايا الذين سجنوا بسبب ديانتهم المسيحية كما أجاز لجميع رجال الدين المسيحيين أن يتنقلوا فى البلاد كما يشاءون . وعلاوة على ذلك فقد أجاز يزدرجرد لما روثة تشكيل مجمع دينى فى طيسفون يكون من مهمته النظر فى شئون المسيحيين وتوحيد الفرق المسيحية فى إيران . وقد افتتح هذا المجمع فى سنة ٤١٠ م برياسة الأسقف أسحق وما روثة . وبدأ عمله بالدعاء لملك إيران . وكان الأساقفة يدعون إلى بلاط الملك ويتحدثون

معه مما بعث الطمأنينة إلى نفوسهم وأصبح اسحق وماروثا صاحبي السلطة العليا في أمور المسيحيين بحيث يستوجب المجازاة كل من خرج على تعليماتها . وبعد بضعة سنوات جاء «يهيلاها» خليفة اسحق ثم أرسل إلى القسطنطينية حتى يزيد من قوة الروابط بين الدولتين . ومع هذه الحماية التي أسبغها يزدجرد على المسيحيين فإن المنازعات بين الفرق المسيحية لم تنقطع . وقد تغير موقف يزدجرد الأول في أواخر عهده نحو المسيحيين . وكان السبب في ذلك المسيحيون أنفسهم إذ أغرتهم الطمأنينة التي عاشوا فيها والحماية التي وجدوها من الملك على الاعتداء على معابد الايرانيين . ومن أمثلة ذلك أن أحد رجال الدين المسيحيين واسمه هشو تجراً في مدينة هرمزد أردشير الواقعة في خوزستان على تخريب بيت النار الذي كان بالقرب من كنيسة المسيحيين ورفع الايرانيون الأمر إلى يزدجرد الذي حقق في الموضوع . واعترف هشو بجرمه وأورد ضمن اعترافه الفاظاً وقحة عن الديانة الزردشتية فدعا الملك إليه الأسقف « عيدا » وكلفه أن يعيد بناء بيت النار فلما امتنع حكم عليه بالاعدام . وكان هذا المسلك الخشن الذي سلكه المسيحيون سبباً في إلحاق الضرر بهم ، وأصدر يزدجرد أمراً قبل وفاته بتأديبهم . ولما جلس بهرام الخامس (بهرام گور) شرع في تأديبهم وقتلهم ، فلما رأوا العذاب فر كثير منهم من إيران . وقد أدت هذه الحوادث إلى قيام الحرب بين الروم وإيران ولكنها لم تستمر طويلاً فقد عقد بينهما صلح في سنة ٤٢٢ م أعطى الايرانيون بموجبه الحرية الدينية للمسيحيين الذين يعيشون في بلادهم وفي نظير هذا منح الروم نفس هذه الحرية الدينية للزردشتيين المقيمين في بلادهم . وخلف بهرام

ابنه يزدجرد الثانى الذى أظهر المودة فى أول الأمر للمسيحيين ولكنه غير موقفه منهم بعد ذلك. وتوفى يزدجرد فى سنة ٤٤٧م وخلفه ابنه الأكبر هرمزد الثالث فنازعه أخوه الأصغر پیروز وقامت الحرب بين الأخوين وانتهت بانهمزام هرمزد وجلوس پیروز على العرش . وفى زمان سلطة پیروز ٤٥٩م - ٤٨٤م كان عالم المسيحية غارقا فى مجادلات شديدة فالنساطرة كانوا يعتقدون أن للمسيح طبيعتين إحداهما إنسانية والأخرى ربانية بينما كان اليعاقبة يعتقدون أن هاتين الطبيعتين متحدتان فى ذات المسيح . ولم يستطع رجال الدين الزردشتى فى ذلك الوقت أن يستفيدوا من هذه الخلافات لتدعيم موقفهم وتقوية شأن دينهم لأنهم كانوا على جانب عظيم من الانحطاط الخلقى (١) . وكان كسرى انوشروان متسامحا واسع الصدر وقد أفسح صدره للعقائد الدينية المختلفة والمذاهب الفلسفية وأجاز للمسيحيين أن يؤسسوا المؤسسات العامة . وفى معاهدة الصلح التى عقدت فى سنة ٥٦٢م تمتع المسيحيون بالحرية المذهبية . والظاهر أن ترجمة الانجيل القديمة باللغة الهلوية التى عثر على قطع منها فى تركستان الصينية والمحفوظة الآن فى متحف فولكر كنده فى برلين ترجع إلى عهد كسرى انوشيروان . وهناك مسيحي اسمه « پولس پرسا » ترجم إلى اللغة السريانية مختصرا من منطق أرسطو وقدمه لكسرى وقد بين له فيه العقائد المختلفة التى تتصل بالله والعالم . وهكذا نرى أن كسرى الأول بعد أن أفسح صدره للديانة المسيحية بدأ يتذوق أفكار الفلاسفة التى لم يكن يسيغها الموازنة . وزاد فى انتشار الأفكار الفلسفية فى بلاد إيران تعطيل مدرسة أثينا الفلسفية

في سنة ٥٢٩ هـ والاعتداءات التي وقعت على الحكماء مما ألبأ سبعة من فلاسفة اليونان إلى طيسفون حيث صاروا موضع رعاية كسرى . ومما يدل على تسامح كسرى أنو شيروان مايرويه الطبري من أن الهرا بذة رفعوا اليه قصة يبغون فيها على النصارى فوقع فيها أنه كما لا قوام لسرير ملكنا بقائمته المقدمتين دون قائمته المؤخرتين فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا فأقصرُوا عن البغى على النصارى وواظبوا على أعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل فيحمدوكم عليه وتتوق أنفسهم إلى ملتكم .^(١)

وكما كانت الثقافة اليونانية معروفة في عهد كسرى أنو شيروان كانت الثقافة الهندية . وفي عهده عرف لعب الشطرنج الذي أهدى اليه من الهند . وراجت في عهده قصص كتاب كليله ودمنه .

وتغلغل نفوذ المسيحية في البلاد حتى وصل إلى البلاط . وكان لكسرى أنو شيروان ابن يسمى انوش زاذ من أم مسيحية جميلة أغراها كسرى بعد زواجه منها على ترك المسيحية والدخول في الزردشتية ولكنها لم تتحول عن دينها . ولما كبر انوش زاذ ورث عن أمه عقيدتها وخالف أباه حتى إنه انتهز فرصة خروجه لغزو بلاد الشام فجمع حوله النصارى وأراد أن يستولى على الملك لولا أن أسرع أبوه كسرى بالعودة وأخذه أسيراً .^(٢)

* * *

(١) الطبري : ص ٩٩١ ج ٢ ط بريل

(٢) الأخبار الطوال : ص ٦٩

ومن المعاول التي حطمت الزردشتية في إيران ، بعد المسيحية ، ظهور الدين الماني . وكان ماني من نجباء ايران إذ ينتهى نسب أمه إلى الاشكانيين ومن الجائز أن ينتهى نسب أبيه فتق^(١) اليهم أيضا . وكان أبوه هذا من أهالي همدان ثم هاجر إلى بابل وهناك ولد ماني في سنة ٢١٥ أو ٢١٦ م . وكان ماني ينطق بالحكمة منذ كان صغيرا فلما تم له أربع وعشرون سنة أتاه ، فيما يزعم ، الوحي وطلب اليه أن يدعو إلى مذهبه الجديد . ولا يسمح مجال بحثنا ، بعدما أوردناه من حديث عن الزردشتية ، بتفصيل الكلام عن سائر المذاهب الأخرى كالمانية والمزدكية وغيرها . وإذا كنا قد فصلنا بعض التفصيل فيما يتصل بالزردشتية فلأنها الأصل . ولكن لا بأس من أن نشير هنا إلى أن ماني قد استمد أصول دياناته من الزردشتية والمسيحية والبوذية . وقد نسجت الأساطير حوله كثيرا من القصص التي تدل على البراعة الفائقة والمهارة النادرة في فنون الخط والنقش .

وكانت شريعة ماني تحض على قمع الشهوة . وترك أكل اللحم وشرب الخمر والتناكح . وقد فرض على أتباعه الصيام سبعة أيام كل شهر وصلوات أربعاً أو سبعة تؤدى كل يوم الأولى عند الزوال والثانية بين الزوال وغروب الشمس والثالثة هي صلاة المغرب بعد غروب الشمس والرابعة صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات .^(٢) والخلاصة في أمر هذا الدين أنه دين زهد

(١) في الملل والنحل «فاتك» : ص ١٤٣ ج ١

(٢) الفهرست : ص ٣٢٧ وما بعدها .

وتكشف . وقد كثر معتنقوه حتى زاحم الزردشتية وضيق عليها المجال . وألف
مانى كتباً كثيرة في الدعوة إلى دينه ، واستمر أمره في ازدياد إلى أن ملك
بهرام بن هرمز فقتله . (١)

* * *

ثم جاءت المزدكية التي تنسب إلى مزدك الذي كان موبد موبدان في أيام
قباد بن فيروز فدعا إلى الاثنينية وحرف دين زردشت وخالفه في كثير من
المسائل . وكان مزدك يرى أن التحاسد والتباغض بين الناس يحصل بسبب
المال والنساء فلكى يسوى بين الناس وينزع من قلوبهم الحسد والبغضاء أمرهم
بالاشتراك فيها . وكان طبيعياً أن تستهوى دعوته العوام والرعا فتنبع منهم
خلق لا يحصى . وكان أتباعه يتشاركون في النساء والأموال فلا تختص امرأة
برجل واحد . وارتفع شأن مزدك ودخل الملك قباد في دينه وبلغت بمزدك
الجرأة أن يطلب مشاركة قباد في امراته أم كسرى أنوشيروان . ولما علم
كسرى بذلك تضرع إلى مزدك وألح في الضراعة حتى يترك أمه فتركها . (٢) ولم
ينس كسرى أنوشيروان لمزدك هذا الموقف فإنه بعد أن انصرف قباد عن
الدين المزدكى ووكّل إليه أمر المزاكاة سارع بقتله وصلبه وتبع أصحابه وأتباعه
في كل مكان حتى قتل منهم مقتلة عظيمة . (٣) وعمت المجتمع الإيراني الفوضى

(١) الآثار الباقية : ص ٢٠٧ وما بعدها

(٢) ابن الأثير : ص ١٦٥ ج ١

(٣) راجع أيضاً سياست نامه :

الخلقية نتيجة هذه الفتنة المزدكية إذ كان الرجل لا يطمئن على امرأته وكان الوالد لا يعرف ولده ولا الولد أباه .

* * *

ومن المذاهب التي انتشرت في المجتمع الايراني إبان العهد الساساني وحولت الناس عن الزردشتية مذهب الدهرية (الزروانيه) ^(١) . وقد انتشر هذا المذهب على عهد يزدجرد الثاني . ويعتبر هذا المذهب الدهر هو المبدأ الأسمى ^(٢) .

* * *

أضف إلى هذا كله أن الطبقات العليا كطبقة الاشراف وطبقة الموابذة لم تعد تلقى في عهد بعض الملوك ما كانت تلقاه في الزمن القديم من الرعاية والتشجيع ولذلك لم تستطع طبقة رجال الدين أن تثبت أمام هذه الهزات العنيفة التي أصابت دينهم في الصميم . ويروى الطبرى عن هرمزد بن كسرى انوشيروان أنه كان مقصيا للأشراف وأنه قتل من العلماء وأهل البيوتات عددا كبيرا كما أسقط كثيرا من العظام وحطمهم عن مراتبهم ^(٣) . ويذكر الثعالبى عن خسرو پرويز أنه أشاع الخوف في النفوس فاستوحش منه الكبراء والمرازبة والرؤساء حتى سثموا من أيامه ^(٤) .

(١) زروان بمعنى دهر، ووقت :

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام : دى بور ص ١٢ ترجمة ابى ريده .

(٣) الطبرى : ص ٩٩ ج ٢ ط بريل

(٤) الفرر : ص ٧١٤

الزردشتية في الحياة الإسلامية :

كان للزردشتية وماتلاها من مذاهب وديانات أثر كبير في الحياة الإسلامية. يقول صاحب فجر الاسلام « وعقيدة العامة من المسلمين في الصراط بهذا النمط الذي يحكيه زردشت، وفي الأعراف على هذا الوجه، وتحليق الروح على الجسد وإقامة الشعائر لذلك ثلاثة أيام كل هذه عقائد تشبه مشابهة تامة ما في الديانة الزردشتية. » ^(١) ويقول « ونلح وجه شبه بين رأى أبى ذر الغفاري وبين رأى مزدك في الناحية المالية فقط فالطبري يحدثنا أن أبا ذر قام بالشام وجعل يقول : يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء . بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تسكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء وحتى شكوا الأغنياء ما يلقون من الناس فترى من هذا أن رأيه قريب جدا من رأى مزدك في الأموال . » ^(٢) ويذكر أيضاً بعد أن انتهى من الحديث عن الفرق الدينية التي ظهرت في الاسلام أن آراء هذه الفرق « قد صدرت عن عقليات مختلفة من فرس وروم وسريان وعرب وغيرهم . وكانت هذه العقليات تؤمن بأديان مختلفة من يهودية ونصرانية ومجوسية ووثنية وغيرها . ولو ظلت الأمة الإسلامية عربية فقط لرأينا فيها أمثال الخوارج وأمثال المرجئة ولكن ما كنا نرى فيها مذاهب الشيعة الغالية وتعاليمهم الغريبة، وما كنا نرى المعتزلة وأبحاثهم

(١) فجر الاسلام : ص ١٢٨ ط الثالثة

(٢) نفس المصدر : ص ١٣٦

الفلسفية ومذاهبهم العميقة . ، ^(١) يمثل هذه النصوص كفاانا المؤلف مشقة الكلام فى هذا الموضوع بوجه عام .

وقد أثرت الديانة المانية فى الحياة الاسلامىة تأثيرا كبيرا . وكان كثيرون يعلنون الاسلام ظاهرا ويؤمنون بها باطنا . ويذكر قون كريم أن كلمة زنديق كانت تطلق فى أول الأمر على كل من اعتنق المبادئ والأفكار الفارسية القديمة ثم خص بها فيما بعد أتباع الديانة المانية . ومن أدلته على هذا نص استخرجه من الحيوان للجاحظ . وفى هذا النص يتحدث الجاحظ عن الزنادقة وأنهم حريصون فيما يكتبون على اختيار الورق النقى الأبيض ، والكتابة بالحرير الأسود البراق ، وإجادة الخط حتى إنه - أى الجاحظ - لم ير كورق كتبهم ورقا ولا كالخطوط التى فيها خطأ . ومع ذلك فإن كتبهم وإن حليت بجودة الورق وجمال الخط وحسن المظهر فقد عريت عن الفوائد التى يصح أن تكتسب من الكتب كعرفة الصناعات والتجارات وسبل التكتسب ونحو ذلك وفى رأيه أنهم يتخذون هذه الكتب دعاية لدينهم وينفقون عليها عن سعة كما ينفق النصارى على البيع وصلبان الذهب . ويستنتج قون كريم من نص الجاحظ أن هذا الكلام الذى ذكره عن الزنادقة ينطبق تمام الانطباق على المانية ، فهم الذين يعنون فى كتاباتهم بالزخرفة والتنميق ويفتنون فى ذلك افتنانا عظيما ، فضلا عن أن محتويات هذه الكتب كما عرضها الجاحظ ينطبق إلى حد بعيد على ما ذكره صاحب الفهرست عن محتويات كتاب المانية الدينى . ويمضى قون كريم فيذكر أن المانية كانت معروفة فى عصر الجاحظ وأنها كانت محل تقدير وعناية

حتى إن كاتبين مشهورين كالجاحظ ، وابن النديم ذكرها بصراحة في مؤلفاتهما . ويرى ثون كريم أن المانية تشتمل على فروض تشبه ما جاء به الاسلام فكان على الماني أن يؤدي في اليوم الواحد عددا من الصلوات يختلف بين أربع وسبع . وكانت كل صلاة تتألف من عدد من السجعات - وكان عليه أن يتطهر قبل الصلاة كما يفرض عليه أن يصوم ثلاثين يوما . واستطاعت المانية أن تستميل إليها عددا من المسلمين أغلبهم من غير العرب .^(١) ومن مظاهر توغل المانية في الحياة الاسلامية أن الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد^(٢) كان من أتباع هذا المذهب . وكان ممن يدعون لهذا المذهب وإن أظهر الاسلام صالح بن عبد القدوس ، بشار بن برد ، أسحق بن خلف ، سلم الخاسر... الخ . ويقال أن البرامكة جميعا إلا محمد بن خالد بن برمك كانوا من معتنقي هذه الديانة . وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقا فقتله المهدي .^(٣) ومن محاكمة الأفشين تبين أنه كان يضمر العداوة للاسلام ويحن إلى عبادته القديمة ويسعى إلى هدم دولة المسلمين . واعترف الأفشين في محاكمته أنه كان يميل إلى الأعجمية وإلى أهلها وأنه كان يأمل أن يعود دينه القديم إلى ما كان عليه أيام العجم .^(٤)

* * *

(١) الحضارة الاسلامية لثون كريم ص ٥٥ وما بعدها ترجمة مصطفى طه بدر .

(٢) ينسب مروان إلى مؤدبه فيقال له مروان الجعدى .

(٣) الفهرست : ص ٣٣٨ . وفي الفخرى أن الذى اتهم بهذا القتل هو

ابنه . راجع الفخرى ص ١٦٣ ط المعارف

(٤) راجع أيضا الفصل الخاص بالزندقة في ضحى الاسلام ج ١

وبالإضافة إلى انتشار المعتقدات الايرانية القديمة في المجتمع الاسلامى وجدت فرق دينية كثيرة شغلت العالم الاسلامى فترة طويلة وأقلقت بالدولة. ونكتفى بالإشارة السريعة إلى بعض هذه الفرق. فمنها المسلمية الذين ثاروا على الدولة العباسية بعد مقتل أبى مسلم وكان منهم سبباذ الذى خرج بخراسان يطالب بثأره.

* * *

ومن هذه الفرق الراوندية التى قاومها المنصور مقاومة فعالة . وكان المنصور يعتبر الراوندية أعداء سياسيين للدولة لأنهم كانوا ييغون تحويل ملك العرب إلى الفرس ، وأعداء دينيين لأنهم كانوا يؤمنون بالمبادئ الدينية الايرانية القديمة كالزردشتية أو المانية أو المزدكية (١).

* * *

ومنهم المقنعية الذين ينسبون إلى المقنع الذى ظهر بخراسان أيام المهدي ، وكثر أتباعه فى المناطق الشرقية كبخارى وسمرقند . واستطاع المهدي أن يقضى عليه ولكن تعاليمه بقيت منتشرة فى بلاد ماوراء النهر واعتبره أتباعه إلها . وكانوا يرتكبون المنكرات ويستحلون النساء ويناصبون الاسلام العداء .

* * *

ومنهم الخرمية . والخرمية فى أصلها فرقة قديمة نشأت فى بلاد إيران أيام قباد الساسانى أبى كسرى انوشروان ومنها طائفة المزدكية . وهذه الخرمية القديمة

هى التى يقال لها الخرمية الأولى تميزا لها عن الخرمية الثانية التى ظهرت فى العهد الاسلامى أيام المأمون والمعتصم ، وتنسب هذه الأخيرة إلى بابك الخرمى فىقال لها الخرمية البابكية . وهذه الفرقة كغيرها من الفرق السابقة تنعصب للفرس ، وتسعى فى تحويل الملك عن العرب اليهم ، وكانوا يقولون بالنور والظلمة ، ومنهم من أباح النساء .

١٥ — نقد الشاهنامه

الظاهر أن الأقاصيص والأساطير التي تضمنتها الشاهنامه لم تكن مما يروق القدماء من المؤلفين وخاصة الاسلاميين منهم . وقد ذكرنا من قبل رأى ابن الأثير الذي يصف هذه الأساطير بأنها مما تمجه الأسماع وتأباه العقول والطباع . وأشار ابن الأثير إلى أسطورة الضحاك ووصفها بأنها من أكاذيب الفرس الباردة وأن لهم فيه أكاذيب أعجب ^(١) . وينظر البيروني إلى هذه الأقاصيص نظرة ابن الأثير فيقول : ولهم في تواريخ القسم الأول (يقصد الپشدايين) واعمار الملوك وأفاعيلهم المشهورة عنهم ما يستفر عن استماعه القلوب وتمجه الآذان ولا تقبله العقول ^(٢) . وهناك مؤلف أرمنى اسمه موسى الخورينى Moise de Khorene كان ينظر إلى اقاصيص الفرس هذه نظرة احتقار منعه من الاسهاب فى الحديث عنها ^(٣) .

وواضح أن هذه الأقاصيص والأساطير لم تعجب هؤلاء المؤلفين وامثالهم لأنهم كانوا يبحثون عن حقائق يؤرخونها ويدونونها وليس فى هذه الأساطير الخرافية ما يعينهم على ذلك . وكانت تغلب على تفكيرهم عقلية المؤرخ والعالم لا الاديب . وابن الأثير ، وهو مؤرخ ثقة ، يذكر أنه لم يجد فى اقاصيص

(١) ابن الأثير : ص ٢٦ ج ١

(٢) الآثار الباقية : ص ١٠٠

(٣) J. Mohl : Livre des Rois. Preface. p. v. Paris 1838

الفرس ما ينفعه في تاريخه فعزم على أن يتركها ثم عاد فأثبتها ولم يفته أن يعلق عليها برأيه الذي ذكرناه فيما سبق .

ولكن الشاهنامه لقيت من الرواج في العصور القديمة مادعا الأدباء إلى تقليدها ومحاكاتها في كل عصر وفي كل بلد على نحو ما ذكرناه من قبل . ولقيت من الاهتمام في العصور الحديثة مادعا العلماء إلى دراستها وترجمتها ونشر الأبحاث الإضافية عنها في أغلب لغات العالم .

ولنتقل الآن إلى نقد الشاهنامه .

تعتبر الشاهنامه مرجعا هاما يصور لنا حياة الايرانيين القدماء في اكثر نواحي الحياة. ولما كان همها منصبا على الملوك وأمجادهم ومفاخرهم كان تصويرها لهذا الجانب من المجتمع الايراني ، جانب الملوك والطبقات العليا التي تتصل بالملوك ، أوفى من تصويرها للجانب الشعبي من المجتمع الايراني . والشاهنامه معذورة في هذا لأنها كتاب الملوك وليست كتاب الشعب . وقد وصفت الشاهنامه جميع من تعرضت لذكرهم من ملوك الايرانيين وأمراءهم وأبطالهم بقوة البدن ، وجمال الخلقة ، وحسن الخلق . ولا بد أن يكون الأمر كذلك بطبيعة الحال في كتاب وضع لتمجيدهم .

ومن أثر هذه العناية بالملوك في الشاهنامه كثرة الحروب فيها لأن الحروب وسيلة الملوك إلى الغزو والفتح وبسط السلطان وازدياد الغنائم والأموال ، وداعية إلى إعلاء الذكر وتخليد الأثر . وقد أجاد الفردوسي وصف ميادين القتال والحديث عن الأبطال . وتسيطر على شعر الشاعر في هذه النواحي

روح البطولة والقوة . ولا تستغرب هذه الاجادة في وصف الحروب من شاعر لم يعرف عنه أنه اشترك في معركة لأنه كما قلنا كان ينظم عن قصص مكتوبة .

* * *

ومن أثر العناية بالملوك في الشاهنامه أن غلبت عليها النزعة الفردية لا الجماعية أو القومية فالتمجيد في أغلبه ينصب على أشخاص الملوك وذوات الأبطال . وقليل ما نجد هذا التمجيد يخرج إلى نطاق أوسع من هذا كالتجمع الذي يعيش فيه هؤلاء الملوك أو الشعب الذي ينتسب اليه هؤلاء الأبطال . وتمجيد الشاهنامه الملوك والأبطال الخالدين أمثال رستم تمجيد لذواتهم وأشخاصهم قبل أن يكون تمجيда للشعب الايرانى الذى يمثلونه . والشعب الايرانى هو الذى يفخر بهم وقلبا فخروا هم به . ومن الأبطال الذين تفخر بهم الشاهنامه رستم ، وقد مر من قبل ، سهراب ، طوس گيو... الخ . وقد جمعت الشاهنامه كل الفضائل فى هؤلاء الأبطال . فالشجاعة والإخلاص وطيبة القلب وسداد الرأى وقوة العزيمة وغيرها من الفضائل مما نجده فى هؤلاء الأبطال . وكان أغلب أبطال الشاهنامه من الايرانيين . ولم يكن بين التورانيين جميعا بطل يستحق الذكر سوى افراسياب . ومع ما كان لأفراسياب من القوة والشجاعة فإنه إذا قيس إلى جانب رستم بدا هزيلا . وسهراب ، لأنه ابن رستم ، كان له من الخصائص ما لا يبه حتى إن أباه حين بارزه تعب كثيرا قبل أن يتمكن من التغلب عليه . وكان أبطال الايرانيين على خلق عظيم فلا مكر ولا خديعة ولا انحراف عن أصول الحروب المرعية بينما لم يتورع التورانيون عن الكذب ، والخداع ، والاستعانة بالسحر والسحرة

وبينما كان الفرار عند الايرانيين عارا عظيما كان التورانيون لا يحجمون عنه إذا وجدوا فيه النجاة . وكان الايرانيون يعتبرون الإغارة بالليل عيباً ونقصا بينما كان التورانيون يعمدون إلى هذا الأسلوب في القتال لضعفهم وعجزهم . ويرى مول أن الفردوسي كان دقيقا في نقله عن الأصل الذي كان ينظم عنه . ودليله على هذا أن الصفات التي نراها لأبطال الشاهنامة هي نفس الصفات التي نراها في الكتب الدينية لنفس الأبطال أمثال جمشيد، فريدون، ومنوچهر، وكشتاسپ اسفنديار . وكل ما بينهما من فرق أن العرض في الشاهنامة عرض أدبي حماسي وفي الكتب الدينية عرض ديني بطبيعة الحال . كما أن هؤلاء الأبطال يؤدون نفس الدور في كل من الشاهنامة وتلك الكتب الدينية التي تحدثت عنهم^(١) .

* * *

وتحدثنا الشاهنامة ، بمناسبة المقارنة بين أبطال الايرانيين والتورانيين ، عن كثير من الأمم التي كانت تعاصر الايرانيين في تلك الحقبة من الزمان التي تعرضت لها الشاهنامة . وأهم من ورد ذكرهم في الشاهنامة غير الايرانيين التورانيون ، الروم ، الهنود ، الصين ، والعرب .

وكان بين الايرانيين والتورانيين والروم صلات قرابة ونسب فالتورانيون والروم من بني اعمام الايرانيين لأن الجميع ينتهي نسبه إلى افريدون . وملوك الروم من نسل سلم ، وملوك إيران من نسل إيرج ، وحكام توران من نسل تور . وقد كانت لهم إلى جانب هذه القرابة مصاهرات فتزوج سياوش فرنگيس

ابنة افراسياب وتزوج انوشيروان ابنة خاقان ، وتزوج گشتاسب ابنة قيصر ،
وتزوج پرويز مريم ابنة قيصر .

أما الهنود فلم يكونوا من أقارب الايرانيين . ولكننا نرى بعض صلات
المودة تنشأ بينهم وبين ملوك الشاهنامة في العصر الساساني - فتصاهر بهرام
گور مع ملك الهند . وتبودلت الهدايا من الجانبين في عهد كسرى انوشيروان
فأهداه ملك الهند لعبة الشطرنج وأهداه انوشيروان لعبة النرد .

أما الصين فلم يكن لهم شأن كبير في الشاهنامة وكانوا على اتفاق مع
التورانيين في الغالب يستعينون بهم إذا قهرهم الايرانيون . ويبدو من الشاهنامة
أنها تمزج بين الصين والتورانيين فملك التوران أو خاقان الترك كان يلقب
أحيانا خاقان الصين وكان خاقان الصين ينصر افراسياب التوراني على أعدائه
الايرانيين .

أما العرب فكانوا على عداوة مع الايرانيين . ولما كان الضحاک شريرا
مكروها عند الايرانيين اعتبرته الشاهنامة دخيلا وعدته من العرب . فهو
إذا يمثل العنصر العربي المكروه عند الايرانيين . وفي العهود القديمة من
الشاهنامة كانت العداوة والكراهية هي الغالبة بين العرب والايرانيين . وفي
العهد الساساني كانت علاقة المودة وحسن الجوار هي الغالبة . ويذكر
الدكتور عزام أنه رغم هذه العداوة بين العرب والايرانيين في العهود القديمة
كان لهم مع ذلك صلات صهر ومودة تتجلى في زواج أبناء أفريدون الثلاثة
من بنات ملك اليمن ، وفي زواج زال بن سام من بنت مهرباب ملك كابل
العربي الأصل مما جعل العرب أخوال رستم ^(١) .

بين هؤلاء الأقوام والأمم ليس هناك قوم أرقى وأعظم من الإيرانيين . وبطل الإيرانيين رستم ليس له نظير بين أبطال العالم . وعلماؤه الإيرانيين وحكامؤهم لا يتناول إلى مستواهم حكماء الأمم الأخرى . وحسبك أن تعلم أن ملك الهند حين أهدى الشطرنج إلى انوشيروان استطاع بزرجمهر الحكيم الإيراني أن يفك رموزه بينما لم يستطع حكماء الهند أن يفهموا سر النرد دون الرجوع إلى علماء الإيرانيين أنفسهم . ويظهر هذا التعالي والكبرياء في مواضع شتى من الشاهنامه ، فحين تقدم ييلسم أخو پيران يطلب مبارزة رستم هزىء به كيو البطل الإيراني وأفهمه أن رستم يترفع عن مبارزة تركى مثله . ومما يمثل طيبة العنصر الإيراني ولؤم العنصر التوراني كما تصوره الشاهنامه موقف گودرز من پيران عندما تبارزا . فقد أراد البطل الإيراني لغريمه الشيخ الحياة ولكن الشيخ التوراني أراد له الموت . وهذه الحادثة تبين ما كان عليه المقاتل الإيراني من المروءة والشجاعة وما كان عليه المقاتل التوراني من الجبن والخسة ومن مظاهر مروءة الإيرانيين وعلو أنفسهم أن أفراسياب لما انهزم هرب من قلعته التي كان يتحصن بها فدخلها كيخسرو ودخل الفاتح الظافر ومع ذلك لم ينتهك حرمة من فيها من النساء ولم ينتهب ما وجدته من الأموال والمتاع وسائر المقتنيات ، وأمر جنده ألا يتعرضوا لأحد من أهل أفراسياب بالسوء .

* * *

وكما تعرضت الشاهنامه لسائر الأقوام تعرضت أيضا للديانات المختلفة التي عاصرت حوادثها كالزردشتية واليهودية والمسيحية والإسلام والمانيّة والمزدكية وقد تحدثنا عن هذه الديانات فيما سبق إلا اليهودية والإسلام .

أما اليهودية فقد تعرضت لها الشاهنامة في موضعين : الموضع الأول في عهد بهرام جور في ثانيا قصة براهام اليهودى الغنى الشحيح وكان بهرام قد سمع بأنباء غناه وبخله فأراد أن يجرب ذلك بنفسه ، فتنكر في زى فارس من فرسان الملك وطرق بابه . ولما فتح الباب ادعى بهرام أنه ضل الطريق ويخشى أن يواصل السير ليلا ورجا اليهودى أن يستضيفه تلك الليلة . لكن اليهودى اعتذرله بحقارة المكان وضيق البيت وبأن ليس عنده مكان لاستضافته . فألح بهرام على اليهودى وأطال في الالحاح حتى قبل أن يسمح له بالبقاء على شروط منها أن يقضى ليلته على عتبة الدار خلف الباب ، وأن لا يكلفه نفقة في طعام أو شراب ، وأن يتعهد قبل رحيله في الصباح بإزالة قدر الفرس وتنظيف المكان ، وأن يدفع تعويضا مناسباً لكل ما قد يحطمه الفرس فقبل بهرام وحط سرجه ورحاله خلف الباب . وبعد قليل أتى اليهودى بالطعام فتعشى وحده ولم يدع ضيفه ثم جاء بالشراب فشرب وحده ولم يقدم شيئاً لضيفه . وفي الصباح عند ما هم بهرام بالرحيل استوقفه اليهودى وطلب إليه أن يفى بشرطه فيكنس ما تحلف عن الفرس وينظف المكان . والموضع الثانى الذى تعرضت فيه الشاهنامة لليهودية فى قصة مهبود وزير كسرى أنوشيروان . وكان لمهبود ولولديه شأن كبير عند كسرى أغاظ حاجبه فعزم هذا الحاجب على التخلص منهم بأن لجأ إلى أحد اليهود وعهد إليه الاحتيال فى القضاء عليهم . وقد نجح اليهودى فيما عهد به إليه ، ونجحت حيلته ، وقضى أنوشيروان على مهبود وأسرته وخلا الجو بذلك للحاجب ولليهودى شريكه فى الجريمة . ومن موجز هاتين القصتين يتبين القارىء كيف كانت الشاهنامة تنظر إلى اليهود وإلى اليهودية .

أما الإسلام فتارة يتحدث الفردوسى عنه حديثا شخصيا ذاتيا بمعنى أن هذا الحديث ليس مما يوجد فى النص الأصيل الذى ينظم عنه الشاعر . ومثل هذه الأشعار التى يتحدث فيها الشاعر هذا الحديث الشخصى توجد غالبا فى أوائل القصص أو خواتيمها ، أو عند التعرض لأحوال الشاعر الخاصة من ضعف أو فقر أو شيخوخة أو رزء أصيب به أو نحو ذلك . فالشاعر هنا فى هذه الأحاديث الشخصية الذاتية يعبر عن أفكاره وعواطفه وفى ثنايا هذا التعبير يتعرض للدين والإسلام . وتارة أخرى يتحدث عن الإسلام حديثاً موضوعياً لا دخل لأفكاره وعواطفه الخاصة فيه بمعنى أنه إنما ينظم ما يجده منشوراً فى مصادرہ عن الإسلام أو المسلمين . ومثل هذا الحديث هو الذى يرد فى سياق الحوادث والوقائع دون أن يكون له صلة شخصية بالشاعر .

وكل أشعار الشاعر الشخصية عن الإسلام لا تحتاج إلى مناقشة أو جهد ، لأنه فيها رجل مسلم مؤمن متشيع يفضل عليا على أصحابه ويخصه بالمدح والثناء حتى كانت هذه تهمته التى اتهم بها لدى السلطان محمود . والأمر هنا واضح . أما أشعاره الموضوعية فتحتاج إلى وقفة وتأمل . وتبدأ هذه الأشعار الموضوعية عن الإسلام برؤيا رآها كسرى أنوشيروان فى أواخر عهده . وتتلخص هذه الرؤيا التى رآها فى أن شمساً قد أشرقت وسطعت فى الليل على سلم ذى أربعين درجة وأنها استطالت وامتدت حتى بلغت عنان السماء . وكانت هذه الشمس تبزغ من الحجاز وقد عم نورها الآفاق حتى أصبح الكون كله منيراً إلا إيوان كسرى فإنه بقى مظلماً . وقد أفرغ كسرى ما رآه وكتب الأمر فى نفسه إلى أن أصبح الصباح فدعا إليه بزرجمهر وأسر إليه رؤياه . وقد فسر لها بزرجمهر بظهور رجل من العرب بعد أربعين

عاما (من ذلك التاريخ) يدعو الناس إلى صراط مستقيم فيلتفون حوله ولا يتخلف عنه أحد . وبعد موت هذا الرجل تتقدم الجيوش من الحجاز نحو إيران فتلقى عن العرش من يتولى ملكها من أحفاد كسرى . وتلغى عند ذاك الاحتفالات الدينية فلا يبقى سذق أو غيره وتنطفئ النيران المقدسة وتنمحي عبادة النار والشمس ^(١) . وهذه القصة تشير إلى الدين الاسلامي إشارة الاحترام والتقدير وتصف النبي بأنه يدعو الناس إلى صراط مستقيم . أما ما تذكره الشاهنامه في ثنايا الحوادث التي جرت بين سعد بن أبي وقاص ورستم ابن هرمزد قائد الإيرانيين من أن العرب حفاة عراة لا يجلسون على تخت ولا يتسمنون في حروبهم فيلا ، وأنهم يشربون الألبان ، ولا يعرفون فاخر اللباس وشهى الطعام وما إلى ذلك من النعوت والأوصاف فلا يصح أن يحمل على غير حقيقته فيما يتصل بالفردوسي نفسه . والحقيقة أن الفرس كانوا يصفون العرب بهذا وبأكثر منه وقد أجمعت المصادر التاريخية على صحة هذا فلا ذنب للفردوسي إذا أورد هذا الكلام التاريخي الصحيح ، ولا يصح أن يستدل من هذا الكلام على أن الشاعر له ميول دينية لا تتفق مع الاسلام . ولا ضير على الشاعر كذلك إذا وصف قدوم شعبة بن المغيرة ^(٢) رسول سعد ابن أبي وقاص إلى قائد الإيرانيين في ثياب مهلهلة وكيف كان يتجنب السير فوق البسط المفروشة ويمشي فوق التراب . فهذا ومثله من حقائق التاريخ . ثم هو - أي الفردوسي - يمجّد الاسلام والمسلمين ، ويهون من شأن الدنيا

(١) الشاهنامه : ص ٢٥٦٤ ج ٨

(٢) الصواب المغيرة بن شعبة .

وزخرفها ولا يتخضع بزيفها وبهرجها من ملابس فاخرة أو مطاعم غالية أو متع فانية في الكتاب الذي كتبه سعد بن أبي وقاص إلى رستم يدعوه فيه إلى الاسلام ويعده إذا دخل في الدين الجديد ويتوعده إذا أبى . فالفردوسى إذا لم يمس الاسلام والمسلمين بسوء . وإذا كان قد وصف العرب على لسان الفرس ببعض الأوصاف الخشنة : أو قدم لنا بعض الصور عن جهلهم بأسباب الحضارة التي كان ينعم بها الفرس فلا ضير عليه في ذلك لأن هذا كله مما ثبت في التاريخ . ولا يمكن أن نستفيد من هذا ما يدل على عدااء الفردوسى للاسلام والمسلمين . صحيح أن الفردوسى يبدو في كثير من المواضع معجبا بالقدماء من مواطنيه ، وأنه يأخذ على عاتقه الدفاع عنهم كما دافع عن عبادتهم للنار ونبه إلى أن النار لم تكن عندهم معبودة في ذاتها . وشبه اتجاه الفرس في صلواتهم نحو النار باتجاه... اه المسلمين في صلواتهم نحو الكعبة . وليست الكعبة معبودة عند المسلمين، وأنه يتأسف على ملكهم ومجدهم الذي زال على يد العرب . وهذا كله من تعصبه لقومه ولا يعقل أن نطلب من إيراني غيور أن ينسكركم ما كان لقومه من المفاخر والأجناد أو أن يتهيج لزوال ملكهم ودولتهم .

* * *

والروح الوطنية والقومية واضحة في الشاهنامه وهي من أبرز خصائصها . وما ذكرناه من قبل ضروب من هذه الوطنية التي تعزز بكل ما هو إيراني . وللشاهنامه فضل على الايرانيين في هذه الناحية فقد كان الشعور الوطنى والعصية الوطنية ضعيفين عند الايرانيين بعد الفتح الاسلامى . وعملت الحكومات العربية على إخماد الروح الوطنى عندهم ولم يعد للإيراني علم بتاريخ

بلادهم القديم ولا بحضارتها التليدة ، وامتزج الايرانيون بالعرب واختفت مقوماتهم الشخصية . ولما قدم الفردوسى شاهنامته إلى الايرانيين وتداولوها سرت فيهم روح جديدة وأحسوا بشخصيتهم وكيانهم ومقوماتهم الذاتية وأخذوا يصلون حاضرهم بماضيهم بعد أن كانت الصلة بينهما منقطعة . وهذه الروح الوطنية سادت جميع الروايات والتأليف التى تتصل بتاريخ إيران القديم ومن بينها تلك الشاهنامة المنشورة التى اعتمد عليها الشاعر فى نظم شاهنامته . ولكن الفردوسى باعتباره شاعرا عظيما ، ووطنيا متعصبا زاد فى قوة تلك الروح وفى جمالها وفى شيوعها كذلك بعد أن ذاعت منظومته .

ويظهر أن عداوة الايرانيين للأتراك فى الشاهنامة التى عاش فى جوها الشاعر سنين طويلة حتى فرغ من النظم قد مكنت فى نفسه العداوة للأتراك فى الحياة الواقعية ، ولم يكن الشاعر يطبق أن يرى وطنه محكما بالأتراك (الغزنيين) . وربما كان هذا الشعور الذى امتزج بنفس الشاعر فى القصة ، وفى الحياة سببا من أسباب الود المفقود بينه وبين السلطان محمود الغزنى .

وكثيرا ما يطلق الشاعر لنفسه العنان فيتحدث مثلا عن شيخوخته وضعفه وفقره ، وعلاقاته الخاصة مع غيره من الناس ، والدنيا وأحوالها ، والكوارث التى حلت به كموت ابنه ، والأمل فى العطاء الذى كان يراوده من حين إلى حين ، واليأس من النوال الذى كان يتولاه بين وقت وآخر . وهذه الأشعار التى يتناول فيها الشاعر مثل هذه الموضوعات هى اشعاره الذاتية التى تعبر عن عواطفه وأفكاره الخاصة . ومن قبيل هذه الأشعار الذاتية التى أضافها الشاعر من عنده إلى النص الأصيل أشعاره فى مقدمة شاهنامته التى مدح فيها الله ،

والرسول، والعقل، وتحدث فيها عن أصل الخليفة، وخلق الإنسان، الشمس، القمر، وعن جمع الشاهنامه، وعن قصة الدقيق الشاعر الذى كان الرائد الأول ومدح فيها أبا منصور محمد، والسلطان محمود. وإذا تركنا أشعار هذه المقدمة وجدنا له أشعارا ذاتية أخرى فى ثنايا القصص كأشعاره فى ممدوحيه من معاصريه أمثال السلطان محمود، وأبي العباس الفضل بن أحمد الأسفراينى، ونصر بن ناصر الدين سبكتكين، وحي قتيبه^(١)، وعلى الديلى وغيرهم. ومن أشعاره الخاصة أيضاً تلك التى يبت فيها شكاته من الدنيا والشيخوخة. وله فى مفتتح بعض الفصول والقصص اضافات خاصة من عنده أراد بها أن يهيم ذهن القارئ أو السامع لما يأتى من حوادث القصة كأشعاره فى بداية قصة سهراب التى تحدث فيها عن الأجل المحتوم الذى لا يفرق بين الشباب والشيخوخة. وواضح أن غرضه من مثل هذه المقدمة الشعرية أن يعد ذهن القارئ لما يأتى بعد ذلك من موت سهراب وهو فى سن الشباب. ويذكر نولدكه عن هذه الأشعار الذاتية التى يتحدث فيها الشاعر عن نفسه أنها تدل على أنه شاعر غنائى من الطراز الأول. ومن الأمثلة على ذلك الأشعار التى يرثى فيها ولده^(٢).

* * *

ويبدو من قراءة الشاهنامه أن الفردوسى كان فيما نظمه دقيقاً أميناً فلم يتصرف فى النص الثرى الذى ينظم عنه. وإذا نزعنا من منظومته تلك الأشعار الذاتية وجدنا أنه التزم النص الأصيل إلى حد بعيد. أما النزعات العامة

(١) فى بعض الروايات حسين قتيبه.

(٢) نولدكه : ص ٩٦

التي تتضمنها الشاهنامة عن التورانيين وازدراهم ، أو العرب وعدائهم ، أو اليهود وتحقيرهم فهي من النزعات الموجودة في النصوص التي ينظم عنها الفردوسي وليست من آرائه الخاصة . ومما يؤيد أمانته في النقل ما ذكرناه من قبل عن مطابقة الصفات التي تخلعها الشاهنامة على أبطالها مثل جمشيد وفريدون ومنوچهر وگشتاسپ واسفنديار للصفات التي تضيفها الكتب الدينية على هؤلاء الأبطال . ولو كان الشاعر تزيد في منظومته ما وجدت هذه المطابقة ، ومطابقة كثير من الخطب التي توردها المنظومة للملوك عندما يتولون العرش لتلك الخطب التي جاءت نصوصها في كتب التاريخ مثل الطبري . ولا يفوتنا أن نشير إلى أن خطب الملوك هذه التي كانوا يفتتحون بها عهدهم وإن اتفقت في معانيها وموضوعاتها مع ماورد في المؤلفات الإسلامية التاريخية إلا أنها في الشاهنامة أطول وأكثر تفصيلا . وهذه بالطبع طبيعة الشاعر التي يفترق فيها عن المؤرخ الناثري . ومن أدلة الأمانة في النقل عند الناظم أن تتطابق مادة الشاهنامة في كثير من موضوعاتها مع ماورد في كتاب الشعالي المعروف بغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم مما يدعو إلى الاعتقاد بأن كليهما نقل نقلا أميناً عن مصدر واحد أو مصادر متقاربة .

* * *

ويضفي الشاعر على حوادث المنظومة خيالا خصبا وعبارة جذابة فيخلق بذلك من القصص البسيطة شيئا ذا بال . وكثيرا ما تكون الحادثة نفسها تافهة ولكنه يكسوها بخياله وعبارته فتترك في نفس القارئ أثرا قويا . وهو مضطر ، كشاعر ، إلى أن يفصل في بيان الحوادث أو سرد القصص التي وردت مختصرة

فى الأصل الذى نظم عنه . ومن حقه الشعرى أن يضيف بعض التفاصيل الصغيرة ليجعل الموضوع حيا والصورة براقة جذابة . ولا يغفل الشاعر الدوافع الخفية والنزعات النفسية والاتجاهات العقلية . وليس تصوير الحوادث عنده مجرد تصوير مادى للحركات والأفعال لأنه يضيف إلى ذلك تصوير النفوس ، والوجدان ، والانفعالات المختلفة .

* * *

وأسلوب المنظومة يغلب عليه السهولة والوضوح والجمال القصيرة . وكانت هذه الجمل القصيرة من خصائص اللغة الفارسية فى العهد السامانى والغزنى وقسم كبير من العهد السلجوقى . ويشيع فى القصة المبالغات كالغبار الذى تثيره الجيوش يحيل النهار ليلا ويتصاعد إلى السماء فينعد سحابا ، والأسنة تلعب فى الظلام كالنجوم ، والسيوف تضىء كالشمس ، والأرض تنشق شقين من وقع حوافر الخيل ، والجبل يصبح بحرا لطوفان الدم الذى يغمره ، والسهل يصبح جبلا لتراكم جثث القتلى ، والجثث تتراكم حتى تبلغ السماء ، والجيش يبلغ من الضخامة وكثرة العدد بحيث تمنع أسلحته وأسنته حركة الريح ، والجبل يخيل للانسان أنه يتداعى من ضجيج المعركة ، والأسد يقبل مواضع القدمين ، والسحاب لا يجرؤ أن يمر فوق رأس البطل . . . إلى غير هذه الأمثلة من المبالغة . وقد عاب كثيرون على المنظومة هذه المبالغات وهو تعسف منهم لأن القصة فى أغلب حوادثها خرافية ومما يتفق مع الخرافة المبالغة والتهويل بل إن الأصل فى الخرافة أن تكون تهويلا ومبالغة تخرج بهما عن نطاق الحقيقة والواقع . ثم إن هذه المبالغات مما يحسن فى الشعر ويحمل بها النظم . ولا يخلو

شعر شاعر في أمة من الأمم من مثل هذه المبالغات . أضف إلى هذا كله أن القصة في أغلب حوادثها تدور على الحرب والضرب ، والكرو والفر ، وضروب البطولة ومظاهر القوة والشجاعة ومن ثم كانت المبالغات ضرورية في مثل هذا الجو وإلا فتر القول وأصبح عند السامع باردا غثا .

ويحاول الفردوسي أن يرقى بأسلوبه إلى درجة رفيعة فلا يدخل من التعبيرات والألفاظ ما قد يبدو أنه عادي أو عامي . وله ولع باستعمال الكلمات القديمة التي قل تداولها في العهد الإسلامي حتى يجعل من عبارته وألفاظه شيئا متميزا عما يتداوله الناس . كما يستعمل للدلول الواحد جملة ألفاظ فالجرب عنده جنك ، بيكار ، برخاش ، نبرد . وقد حاول بدوافع من عصبية اللغته واعتداده بفارسيته أن يخلى منظومته تماما من الألفاظ العربية لكنه لم يوفق . وهو يستعمل في ألفاظه المحسنات اللفظية وإن لم يقصد إليها عامدا في كثير من الأحيان كقوله « بچنك آر چنك » (احضر العود في قبضة يدك) وقوله باد باد (ليكن ريحا) وقوله سه ترك سترگ (الأتراك الثلاثة الأقوياء) وكاستعماله لكلمات متتابعة تتشابه أحرف البدء فيها مثل نام ونگ ، درودشت ، تير وتيغ ، نان ونمك .

* * *

ولم تسلم الشاهنامه من المؤاخذات . وقد أجمع الباحثون على أنها طويلة فوق ما ينبغي وأن هذا الطول يبعث الملل والسآمة التي تعترى القارئ إذا واصل قراءتها . ومهما يكن الشيء جميلا فإنه إذا طال أمل وبدا في عين الناس زهيدا . ولتجنب الملل ينصح نولدكه قارئ الشاهنامه أن يقرأها قطعة

قطعة ^(١) فلا يطيل القراءة إذا شرع فيها . وهذه السأمة مبعثها جملة أشياء منها هذا الطول في النص الذي أشرنا اليه ومنها هذا الوزن الواحد الذي تلتزمه المنظومة من أولها إلى آخرها . ومن الطريف أن نذكر أن هذه المأخذ التي تؤخذ على الشاعر في الوقت الحاضر خاصة باتحاد الوزن وطول المنظومة كانت لدى الشاعر من دواعي فخره . ولا شك في أنه أطال المنظومة إلى هذا الحد واتخذ لها بحرا واحدا ليدل على طول نفسه وتمكنه في فن النظم .

* * *

والتكرار من المأخذ التي تؤخذ على الشاهنامة وتدعو إلى الملالة . وقد يقع هذا التكرار في العبارة والتشبيهات فكثيرا ماشبه البطل الذي يتحدث عنه بالسبع المفترس أو الفيل الثائر . وقد يقع هذا التكرار في الأفكار والصور ، وقصص الحروب ومعارك الأبطال متشابهة في الأغلب . وحسبك أن ترجع إلى المبارزات الاثنتي عشرة في الفصل الخاص بالاثني عشر رخوا لترى أن أسلوب العرض في كل مبارزة متشابه رغم كثرة عدد المبارزات .

ومن أمثلة التكرار قصة أردشير في محاصرته لقلعة هفتسواد . وكان هفتواد قد تحصن في قلعة حصينة وهزم الجيوش التي أرسلها أردشير لحربه فنجحز أردشير بنفسه وتوجه لحربه لكنه لم يفلح في القضاء عليه والاستيلاء على حصنه فلم يجد خيرا من اتخاذ الحيلة وتنكر هو ومن معه في زى التجار وأوصى جنده أن يترقبوا الإشارة منه بعد أن يحتال على الدخول إلى القلعة . وبقي

الجند فى مكان بعيد عن الحصن وتقدم هو فأخذ يلاطف الحراس ويستميلهم حتى أذنوا له بالدخول واستطاع أن يحرق الدودة التى كانت مصدر القوة والسعادة لهفتواد . فلما ارتفع دخان الحريق ، وكان هذا الدخان هو الإشارة المتفق عليها هجم جنوده على القلعة فاستولوا عليها وقتلوا هفتواد ونهبوا أمواله وكنوزه . وهذه الحيلة التى لجأ إليها أردشير تشبه تلك التى لجأ إليها أسفنديار فى حربته مع أرجاسب فقد علم أسفنديار أن القلعة التى تحصن فيها أرجاسب لا تفتح إلا بالحيلة فلبس هو ومن معه ملابس التجار وحملوا معهم صناديق البضاعة والجواهر . واتجه أسفنديار إلى القلعة فطلب منه أهلها أن يبيعهم مما معه فرفض أن يبيع شيئا قبل أن يعرض على انظار الملك مامعه من البضائع والكنوز فإذا اختار منها ما راقه عرض بعد ذلك ما بقى معه على الأهلين ، فأدخلوه على الملك وتعاقب حوادث القصة حتى إذا حانت الفرصة لأسفنديار أشعل النار فى سور القلعة . وكانت النار هى الإشارة المتفق عليها فهجمت جيوشه واستولت على القلعة وقضت على أرجاسب .

ويلاحظ هنا أن التكرار فى هاتين القصتين لا يشمل الفكرة وحدها ولا الحيلة وحدها التى لجأ إليها كل من أسفنديار وأردشير بل يشمل القصتين فى جميع تفاصيلهما وجزئياتهما حتى ليكن أن نعتبرهما قصة واحدة تكرر مرتين فى زمنين مختلفين . فالقلعة التى تحصن فيها أرجاسب هى قلعة روين دژ والطريق التى سلكها إليها أسفنديار تسمى هفتخوان . وهفتخوان بمعنى الموائد السبع . ويقال لها أيضا هفتخان أى المنازل السبعة . والقلعة التى تحصن فيها هفتواد كانت تسمى باسمه . وسموه كذلك لأن له سبعة أولاد . فالعدد سبعة مكرر

في القصتين . وكان الذي دل اسفنديار على قلعة روئين دژ وقدم له المعلومات الكافية عنها تركيان قابلهما في الطريق فأسرهما . ومثل هذا تماما حدث مع اردشير فإن الذي أوحى اليه أن يلجأ إلى الحيلة في قتال هفتواد والاستيلاء على القلعة فلاحان صادفهما في الطريق عندما عاد منهزما في المرة الأولى . والاشارة التي اتفق عليها في القصتين واحدة هي إشعال النار حتى يراها الجيش الكامن على بعد . ومن ثم ترى أن القصة تتكرر بفكرتها وتفاصيلها .

وإذا رجعنا إلى الوراء أكثر من ذلك وجدنا أن قصة اسفنديار في مسيره إلى قلعة أرجاسب تشبه هي الأخرى قصة رستم في مسيره إلى بلاد مازندران شبا كبيرا . فرستم قد اتخذ له دليلا يده على موضع ملك الجن هو اسيره أولاد ، ووعدته إن هو أخلص له النصيح ودله على الطريق المؤدية أن يوليه بلاد مازندران . ولما وصل رستم إلى مازندران وأنقذ الملك كيكائوس كان عليه كي يصل إلى مقر ملك الجن « سپيد ديو » أن يجتاز سبعة جبال شاهقة . وفي مستهل الرحلة كان رستم قد لقي ساحرة فقتلها بسيفه . وكل هذه التفاصيل والأفكار تتكرر في قصة اسفنديار . فقد اتخذ هو الآخر دليلا في رحلته . وكان هذا الدليل أسيرا كذلك وهو كركسار ، وقد وعد اسفنديار أسيره كركسار إن هو أخلص له ودله على الطريق إلى قلعة أرجاسب أن يوليه على بلاد التوران . وكان على اسفنديار أن يتغلب في طريقه الذي قطعه في أسبوع على سبع من المهالك من بينها ساحرة قتلها بسيفه .

وقد لجأت الشاهنامه أيضا إلى نفس الوسيلة في عهد سابور بن هرمز بن نرسی فإنه عندما عزم على غزو بلاد الروم رأى أولا أن يدخلها خلصة

لمشاهدتها والوقوف على أحوال قيصر بنفسه . وكانت طريقته في ذلك هي نفس الطريقة السابقة : التخفي في زى التجار .

ولما انكشفت حيلة سابور عند قيصر وعرف شخصيته الحقيقية أمر به فحبس في القصر . وكان في القصر جارية أحبها وأحبته فدبرت له سبيل الهرب وهربت هي الأخرى معه . وهذه الطريقة تكرر لما سبق في أيام أردشير بن بابك إذ أحبته جبلنار (گلنار) جارية أردوان وساعدته على الهروب والنجاة .

وقصة الشعبان الذي أزعج الناس في بلاد الصين ولم يستطع أحد أن يقضى عليه حتى استعان الخاقان بهرام چوبين الذي كفى الناس شره وخلصهم منه قصة مكررة . ففي عهد لهراسپ كان گشتاسپ قد خرج من بلاد إيران مجافياً أباه وذهب إلى أرض الروم حيث أقام هناك . وتصادف أن أميراً من أمراء الروم اسمه اهرن تقدم لخطبة ابنة قيصر فشرط عليه أن يقتل ذلك الشعبان المخيف الذي أزعج الناس في جبل سقيلا قبل أن يزوجه ابنته . وكان الأمير أعجز من أن يفعل هذا فلجأ إلى گشتاسپ الذي قام عنه بهذه المهمة وأتاه بأياب الشعبان فأخذها وأسرع إلى قيصر مدعياً أنه قتل الشعبان ووفى بالشرط .

* * *

وفي الشاهنامه أخطاء كثيرة بعضها يتصل بسير الحوادث وتناقضها، وبعضها يتصل بالحقائق التاريخية أو المعلومات الجغرافية . ومن المتناقض مثلا أن يقتل كلباد في حرب كيقباد مع افراسياب ثم يرتد إلى الحياة في أيام سياوش ، قتل الوا بيد كاموس الكشاني في عهد خسرو ثم ظهوره في حرب اسفنديار ورستم ، وقتل كهرم التوراني في إحدى المبارزات المعروفة بيازده رخ ثم ظهوره في

حرب گشتاسپ وارجاسپ . ومن الوقائع التي لا تستقيم حوادثها في القصة أن يخرج رستم إلى بلاد التوران طلباً للثأر بعد قتل سیاوش ، ويستولى على بلادهم ويحكمها مدة سبع سنوات ولكنه ينصرف بعد ذلك دون سبب مفهوم ، ويترك البلاد كأنه لم يغزها ولم يقهر أهلها . وما يبدو غريباً موقف الفردوسي من الاسكندر فقد صوره بصورة جميلة لا تتفق مع موقف الإيرانيين عامة من أعدائهم . ومع أن الروايات القومية تضع الاسكندر في صف الضحاك وافرasiاب من أعداء البلاد الألداء إلا أن الشاهنامه تصل نسبه بالإيرانيين وتجعله إيرانياً . وقد عللنا فيما سبق لماذا اعتبر الفردوسي الاسكندر إيرانياً .

ومن أخطاء الشاهنامه المتصلة بالتاريخ اعتبارها الاسكندر المقدوني نصرانياً ، وادعاؤها أن أفريدون نقش الزنداقستا على جدران مدينة كندز التي عرفت فيما بعد باسم بيكند . وواضح أن الزنداقستا قد جاء به زردشت في عهد گشتاسپ وبين أفريدون وگشتاسپ قرون طويلة . ويشبه هذا إقحام المسيحية والصليب في حروب اسكندر ودارا ، واعتبار رسول الروم إلى بهرام گور تليد أفلاطون^(١) .

والأخطاء الجغرافية في الشاهنامه كثيرة تدل على أن معلومات الشاهنامه في الناحية الجغرافية ضعيفة . فالشاهنامه مثلاً تجعل تور الذي يعيش في الشمال الشرقي لإيران وسلم الذي يعيش في الشمال الغربي متجاورين رغم ما بينهما من المسافات الشاسعة . ولعل سبب هذا التجاور في القصة أنها يمثلان شعبين احتكاً بالإيرانيين في حروب كثيرة فربطت الشاهنامه بينهما برباط التجاور .

ومن الأخطاء الجغرافية أن المندر الملك العربى كان يقوم بتربية بهرام گور فى اليمن . والمقصود بالطبع الحيرة . وتخلط الشاهنامه بين طيسفون (المدائن) وبغداد وتجعلها مدينة واحدة . وتتزيد القصة تزيدها كبيراً فى مساحة بلاد مازندران وتحيطها بجو من الخرافات التى لا يصدقها عقل . ويعتبر الشاعر أن البرز هى أعلى القمم وغاب عن ذهنه أن هناك قمم الهملايا . ومن ذلك حديثه عن مدينة مكران وادعاءه أنها على حدود الصين مع أنها تقع إلى الجنوب تماماً من بلدته ^(١) . ثم كيف يتأتى أن تكون مدينة كنىك فى الموضع الذى ذكرتها القصة ثم تقع قلعتها على غاية البعد منها بعد عبور البحر . وتحدث الشاهنامه فى سياق حوادث الاسكندر عن مصر والاندلس كأنها بلدان متجاوران ولا يبدو أى أثر لتقدير المسافة بينهما . وفى الفصل الخاص بطواف الاسكندر فى بلاد العالم من الخرافات والعجائب والخلط ما لا يحصى .

* * *

ويبدو أن الشاعر ينسى نفسه فى بعض المواضع فيقحم رأيه الخاص ويجريه على لسان إحدى شخصيات القصة . ومن أمثلة ذلك أن خراد بن برزين رسول پرويز إلى الروم يحاول أن يغرى قيصر بالرجوع عن دينه والدخول فى دين الإيرانيين ويتهم المسيحيين بأنهم يجعلون المسيح ابناً لله وبأنهم يؤمنون بمقتل نبيهم وصلبه . وفكرة تنزيه الله عن الولد ، وإنكار قتل المسيح وصلبه فكرة إسلامية أفلتت من ذهن الفردوسى نفسه فجرى بها نظمه على لسان خراد . ذلك أن رسول پرويز « خراد » كان زردشتياً ولا يعقل أن يصدر مثل

هذا الاتهام للمسيحيين عن غير مسلم . وإذا لم تكن هذه فكرة الفردوسى المسلم فمن الجائز أن تكون قد اقحمت في العهد الإسلامى .

* * *

ويحسن هنا أن نشير إلى رأى مول فى الشاهنامه . ويتلخص فى أن الفردوسى كان ينظم مقيدا بما لديه من نصوص لم يعالج ما فيها من أخطاء . ولعل هذا يرجع إلى أن الروح النقدية ودراسة الأخبار لم تكن قد وجدت بعد ولذلك تكلم فى احدى المرات عن بغداد فى عهد افريدون وفى مكان آخر تحدث عن الاسكندر الأكبر واعتبره نصرانيا . وفى مكان ثالث مزج بين زردشت والنبي ابراهيم ، أو يرجع إلى أن أمانة الشاعر وعصبيته كانت تدفعه إلى التجاوز عن مثل هذه الأخطاء فى نصوص خاصة بملوك الفرس القدماء . ومن عيوب الشاهنامه فى نظر مول أنها لا تتكلم بنفس التفصيل عن كثير من الحوادث التى تتساوى فى أهميتها ، وأنها تنتقل من عهد إلى عهد انتقالات مفاجئة ، وأن كثيرا من حوادثها يتكرر مع تغييرات تافهة ، وأنها تتعصب لبطل واحد تجمع حوله كل حوادث العهد الذى تتحدث عنه . وهذه كلها دلائل تدل على أن الشاهنامه كانت تنقل عن مصادر اعتمدت على الروايات الشعبية الى لا تنضب حوله بعض الموضوعات فى الوقت الذى لا تغنى فيه بموضوعات أخرى قد تكون أكثر أهمية . ويرد على هذا أيضاً الفجوات التى نراها فى القصة فمثلا نرى الفردوسى حين أعوزته المادة الفارسية الكافية فيما يتصل بعهد الاسكندر (وهذا مفهوم لأن الشعوب لا تغنى بهزائمها) يفضل الاستعانة بالقصص التى ملأ بها الجنود اليونانيين الغرب عند عودتهم إلى

بلادهم بدلا من أن يستسلم للخيال في موضوع كهذا خلو من المادة . وهذه القصص والروايات اليونانية كانت قد جمعت في مجموعات كثيرة ولا يزال بعضها موجودا باليونانية واللاتينية . وقد ترجمت واحدة منها إلى العربية . وبواسطة هذه القصة الأخيرة ملأ الفردوسى الفراغ الذى صادفه في الروايات الفارسية . (١)

* * *

ولبراون رأى غريب في الشاهنامه وهو يذكر أن الناس قد اهتموا بها في الشرق والغرب ولكنه لا يجد في نفسه مشاركة لهم في هذا الاهتمام بها والتحمس لها . ولا تستطيع الشاهنامه في نظره أن تقف في صف واحد مع المعلقات العربية (٢) . ، وهذا رأى غريب كما قلنا .

* * *

وكثيرون من علماء الغربيين يعتبرون الشاهنامه من روائع الأعمال الأدبية العالمية ويضعونها في صف الياذة هوميروس . والواقع أن الشاهنامه لا تقل شأنًا عنها ومقارنة سريعة بينهما ترينا أوجه المشابهة والمخالفة فيما بينهما . فموضوع الالياذة الأساسى هو الحرب كما أن أهم موضوعات الشاهنامه الحرب . وكان أخيل من قومه اليونانيين بمنزلة رستم من قومه الايرانيين . ولما اشتد ضغط الطرواديين على اليونان في الحرب وأوشكوا أن يقضوا عليهم هرعوا إلى أخيل يستنجدون به لقهر أعداء بلاده . وكذا كان الايرانيون يهرعون إلى

(١) مقدمة مول : ص LV

(٢) Browne : Lit. His of Persia. v. II p. 142 Cambridge 1951.

رستم كلما أعجزهم أن يتغلبوا على أعدائهم . وحين ظن كيكوس في نفسه القوة والقدرة على غزو بلاد مارنذران منى بالهزيمة والأسر فلم يجد بدا من الاعتراف بالعجز والاستنجاد برستم . وحين وجه كيكوس سياوش لملاقاة افراسياب كان عليه كى يضمن النصر والظفر أن يؤيده برستم . ووهم الايرانيون في عهد كيخسرو أنهم قادرون على دحر أعدائهم التورانيين بقيادة پيران ، ولكنهم لم ينالوا النصر إلا بعد أن جاءتهم النجدة بقيادة رستم . وحين ظن اليونانيون أنهم قادرون على دفع أعدائهم الطرواديين بغير اشتراك أخيل رجعوا بالحسرة المبين . وحاول أجاممنون أن يسترضى أخيل ليشترك في القتال معهم ضد أهل طرواده ولكن أخيل ، وكان قد اعتزل قومه ، رفض في بادئ الأمر أن يلي رجاء أجاممنون ، فعول هذا الأخير على مواصلة الحرب وحده وقاتل قتال الأبطال لكنه جرح وكاد أهل طرواده أن يفتكوا باليونان وأخذوا في تعقبهم إلى أن اقتحموا معسكرهم بقيادة هكتور فلم يجد الاغريق بدا من اللجوء إلى سفنهم على الساحل . وهنا ذهب بتروكل إلى أخيل ، وكان حبيبه وصفيه ، وأخذ يتضرع اليه أن يشترك في القتال لإنقاذ الاغريق فمازاده ذلك إلا رفضا ، فتوسل اليه بتروكل أن يزوده بلباسه وسلاحه ليوهم الطرواديين أنه أخيل فيسهل عليه بذلك أن يهزمهم . وأذن أخيل لصاحبه وزوده بما طلب ، وانقض بتروكل ورجاله على أهل طرواده فأنقذ السفن من بين أيديهم بعدما كانت النيران قد بدأت تضطرم فيها ، واضطر أهل طرواده إلى التراجع وملك نشوة الانتصار على بتروكل حواسه وعقله فأخذ يطارد اليونانيين ويتعقبهم في غير تدبر أو وعى مما أدى إلى هلاكه آخر الأمر . ولما بلغ أخيل مقتل حبيبه بتروكل بكى وانتحب وصمم على الانتقام له وقبل عند ذاك

أن يشترك مع قومه في القتال . ولكن بتروكل كان قد أخذ بزته وسلاحه فهو أعزل لا يستطيع القتال فوعده أمه ثقيس أن تأتيه سلاح من صنع إله النار . ولما أستعد أخيل أقبل إلى ساحة القتال وصاح - كما كان يفعل رستم - صيحات ألقت الفزع في قلوب أهل طرواده فانهزموا واستخلص الأغريق منهم جثة بطلهم بتروكل . وتم الصلح بين اجامنون وأخيل وشنا على الأعداء هجومًا قويًا فتراجعوا إلى مدينتهم اليون بعد أن قتل منهم عدد عظيم وبقي هكتور خارج المدينة فلحقه أخيل وقاتله حتى خر هكتور صريعًا . واجتمع الأغريق على جثة هكتور ومثلوا بها وأمعن أخيل في التمثيل بجثة عدوه فربطها إلى مركبته ودار بها حول طرواده وأهلها ينظرون . ثم انتهت المفاوضات بين الطرفين إلى إعادة جثة هكتور إلى أهله .

ويلاحظ فيما يتصل بالناحية الجغرافية أن معلومات الألياذة صحيحة موثوق بها بينما رأينا أن الشاهنامة تخلط في هذه الناحية خلطًا كبيرًا في بعض المواضع .

وفي الألياذة تتدخل الآلهة تدخلا فعليًا في شئون الحرب والحياة فتنصر فريقًا من المحاربين على فريق ، وينضم إلى كل فريق منهما عدد من الآلهة يسعى إلى نصرته وتأيينه ، بل إن الآلهة نفسها تباشر القتال مباشرة فعلية في بعض المواقف . أما الشاهنامة فلا أثر فيها للآلهة وتعددتهم . وليس لها بطبيعة الحال دور في حوادث القصة وخاصة في حروبها ، بل إن جامع الشاهنامة أو ناظمها يدعي في أكثر من موضع أن الفرس القدماء كانوا يعبدون إلهًا واحدًا تنزيها لهم عن الشرك . وقد رددنا هذا الادعاء في موضعه من قبل .

ويلاحظ في الالياذة كثرة الصور وتعددتها دون الوقوف وقفة تفصيلية عند كل صورة من هذه الصور . فهي صور سريعة متلاحقة لا يقف الشاعر عند دقائق كل صورة منها كما تفعل الشاهنامة ولناخذ مثلاً ، في النشيد الثالث ، الموقف الخاص بالمبارزة بين فارس الطروادى ومنيلا اليونانى . تقول المنظومة :

والسهل طووه على الأثر والقسطل من عجب الزمر
قد أضحي حجاب البصر عن أكثر من مرمى حجر
ككثيف ضباب مربد

كضباب نوطس قد نشرا فى قته طود فاستترا
ولرؤيته الراعى ذعرا لكن اللص به نظرا
خيرا من ليل مسود

جد الجيشان وقد هرعا حتى هما أن يجتمعا
فإذا فارس قد طلعا وجميل محياه سطعا
وعدا يستهدف للطرد

يختال بحسن جـبـاذ بالقوس وسيف حذاذ
وبفروة فـهـد بذاذ يديه قنـاتـا فولاذ
يتقدم مستبق الوفد

ويسير بعجب المختال يدعو لبراز قتال
عمد الاغريق الأبطال فرآه منيلا فى الحال
فبدا يتهلل بالرغد^(١)

فهو هنا وصف جيش الاغريق وهو يطوى السهول ويشير الغبار الذى يحجب البصر فلا يمتد إلا إلى مسافة قريبة (مرمى حجر) ووصف هذا الغبار بأنه كالضباب الذى ينتشر فى قمم الجبال فيخفيها وذكر أن الراعى يذعر لكثافة هذا الضباب لأنه لا يرى أغنامه رؤية واضحة فيسهل على اللص أن يسرقها . والاص هو الذى يسر من مثل هذا الضباب ويراه خيراً من الليل الأسود ، ثم يتحدث عن الجيشين جيش الطرواديين وجيش الاغريق فيذكر أنها حثا السير حتى تقاربا . وطلع فارس من جند الطرواديين يختال بحسنه وأدوات قتاله التى يحملها . فأنت هنا ترى مجموعة من الصور : السهل وهو يطوى ، الغبار وهو يثور فيخفى الرؤية كالضباب ، والجيشان وهما يجدان فى السير حتى يتقاربا ، وفارس بطل الطرواديين وهو يخرج من بين قومه يطلب مبارزاً من بين صفوف الاغريق . هذه المجموعة من الصور كثيرة حقاً لكن لا تفصيل فى كل صورة منها . أنظر مثلاً إلى حديثه عن الجيشين وهما يجدان فى السير حتى كادا أن يتقاربا لا تجده يذكر شيئاً يضيف على هذا المعنى صورة دقيقة مفصلة ، وانظر إلى حديثه عن فارس تجده لا يتجاوز الصورة الحسية السطحية : حسن فارس وسلاحه المكون من قوس وسيف وفروة فهد وقتاتين ولا شيء غير هذا . ثم تتابع الألياذة وصف المبارزة بينهما إلى أن هرب فارس فتقول :

كاللث يضوره السغب والظي لديه يضطرب
فعليه منقضا يثب ولو القناصون اقتربوا
بضراء تقبل للصد

بالعدة من أعلى العجلة بالحدة بادر بالعجلة
لا يبغي إلا أن يصله يقتص لجرم قد فعله
ومضى يتوقد بالحقد

نظر الاسكندر وامتقعا فنجأ لمعسكره هلعاً
كالغمر له فوراً طلعا صل في الغاب قد اندفعا
فيعود بقلب منهد

والشاعر هنا يصف منيلاً بعد أن وصف فارس فيشبهه بالليث الذي
افترس ظيماً لا يستطيع النجاة من بين براثنه ، وقد بادر إلى عدوه فارس في
عجلته مزوداً بعدته لا ينبغي إلا أن يقتص منه ، فلها وجده فارس على هذه
الصورة هلع وأسرع بالفرار كالغمر طلع عليه صل في الغاب . وتنتهي بذلك
المبارزة بينهما . قارن هذه الصورة بالمبارزات التي دارت في موقعة الاثنى عشر
رخا التي ذكرناها فيما سبق . ولتأخذ للمقارنة مثلاً المبارزة التي جرت بين
هومان التوراني وبيژن الايراني ، ولتر ما بين المبارزتين من الفروق . ففي
المبارزة بين التوراني والايراني وصف دقيق لاستعداد الجيشين للقتال
وتفصيلات جميلة للمبارزة لا ترى مثلها في المبارزة بين فارس ومنيلاً . من
تلك التفاصيل التي تضي على المبارزة صورة حية في الشاهنامة السهام التي تنفذ ،
والرماح التي تتكسر ، والسيوف التي تتلثم ، والتضارب المتصل ، وجفاف
حلق المبارزين ، والغرق في العرق ، والراحة ، ومعاودة القتال ، وانهمام
هومان ، واجتزاز رأسه ، وتلوي جسده بعد فصل الرأس ، وغزارة الدماء التي
سالت كالأنهار .

خذ مبارزة أخرى كالمبارزة التي دارت بين البطل گودرز قائد الايرانيين
وپیوان قائد التورانيين . تجد هناك مجموعة من الصور الصغيرة والتفصيلات
الجزئية الدقيقة داخل الإطار العام للمبارزة . ومثل هذه التفصيلات هي التي
تجعل المبارزة حية زاخرة بالحركة والحياة . فهذان البطلان يتبارزان بكل ما

ملكا من قوة وفن وأسلحة ، وها هو ذا پيران يقع به فرسه ويقع هو الآخر
تحتة فتتكسر يده اليمنى ، وها هو ذا قد أصبح عاجزاً عن مواصلة القتال فاضطر
أن يهرب إلى جبل قريب يعصمه من خصمه . وها هو ذا گودرز قد تألم لمنظر
خصمه الشيخ في سقوطه تحت فرسه ، وفي إصابته به ، وفي هروبه خوفاً من
الموت فأخذ ينصحه بالعودة ويعدده بالأمان والسلامة فيأبى الشيخ الفار إلا أن
يموت كما يموت الأبطال ويرمى خصمه گودرز فيصيبه في عضده . وهنا اضطر
گودرز أن يرقى إليه الجبل ويواصل قتاله حتى يقتله ويهيم باجتياز رأسه لكنه
يعدل رحمة بالشيخ ، ثم تملكه الشفقة عليه فيرفع عليه عند رأس عدوه المقتول
ليبقى وجهه حرارة الشمس القائلة في تلك الصحراء . ولا ينسى الشاعر في غمرة
هذه المبارزة المثيرة أن يصور لنا حال الايرانيين وقد غاب عنهم گودرز
فأخذوا يبكونه وينتحبون ظناً منهم أنه انهزم وقتل حتى إذا رأوا عليه مرفوعاً
عادوا إلى الفرح والسرور ودقوا الطبول . . . الخ . قارن هذه المبارزة بما
تجده في النشيد الثالث من الالياذة وعلق عليها بما تراه . وسيكون رأيك ما
رأيناه وقدمناه . ولا تنس المبارزة بين سهراب ورستم في الشاهنامه فهى من
أجمل وأقوى وأشد مواقف الشاهنامه إثارة للنفوس . ابن ييارز أباه وكلاهما
لا يدري صلته بالآخر . كلاهما قوى جبار فتطول المبارزة بينهما حتى تتكسر
السيوف ، ويسيل العرق ، ويشتد التعب ، ثم يستريحان ساعة يعودان بعدها
إلى القتال ، ويطول الأمر بينهما إلى أن يتمكن الابن من ضرب أبيه ضربة
شديدة يظن أنها مهدت له سبيل الظفر بخصمه وهو الأب . ولكن الليل يأتى
ويتوقف القتال بينهما ويسترد الأب في الصباح ما كان قد فقده في الأمس من
النشاط والقوة بعد تلك الضربة ويقبل على مقاتلة ابنه عنيفاً جباراً . . . إلى

آخر القصة وقد ذكرت فيما سبق .

* * *

وليس في الالياذة الاستطرادات المطولة التي نجدها في الشاهنامه. والموضوع فيها يكاد يكون متصلا لا يفصل أجزاءه فواصل طويلة من الاستطرادات بعكس الشاهنامه إذ ينسب ناظمها موضوعه أحيانا وينساق وراء نفسه وعواطفه وأفكاره قبل أن ينتبه إلى الموضوع الذي خلفه وراءه . ومثل هذه الاستطرادات في الشاهنامه مما يبعث على الملل والسآمة ويطيل المنظومة إطالة كبيرة بغير داع أو ربما كانت الإطالة على هذا النحو مقصودة عند ناظم الشاهنامه للإبانة عن مهارته وقدرته في نظم العدد الكبير من أبيات الشعر . والخطب التي يوردها هو ميروس على لسان أبطاله ليست من الطول والافاضة التي نراها بها عند الفردوسي .

فهرست موجز

القسم الأول : دراسات تاريخية

صفحة

- ١ - تاريخ الفردوسى ٧
- ٢ .. انتشار الثقافة الهلوية فى العهد الاسلامى ٢٤
- ٣ - مصادر الشاهنامات المختلفة ٢٧
- ٤ - شاهنامه أبى المؤيد البلخى ٤٢
- ٥ - شاهنامه أبى على البلخى ٤٢
- ٦ - شاهنامه المسعودى المروزى ٤٣
- ٧ - شاهنامه أبى منصور ٤٥
- ٨ - شاهنامه الدقيقى « گشتاسپنامه » ٤٩
- ٩ - شاهنامه الفردوسى ٥٨
- ١٠ - المنظومات التى قلدت الشاهنامه ١١٧

القسم الثانى : دراسات موضوعية

- ١١ - الحرب فى الشاهنامه وما يتصل بها ١٣٧
- ١٢ - الملوك فى الشاهنامه وما يتصل بهم ١٧٧
- ١٣ - الحياة الاجتماعية فى الشاهنامه ٢١٢
- ١٤ - الحياة الدينية فى الشاهنامه وما يتصل بها ٢٤٠
- ١٥ - نقد الشاهنامه ٢٨٣

فهرست مفصل

القسم الأول: دراسات تاريخية

صفحة

۱ - تاريخ الفردوسی :

۲۳ - ۷

اسم الشاعر وكنيته ۷ - تخلصه ۷ - متى وأين ولد
الشاعر ۸ - حالته الاجتماعية ۹ - رحلة الشاعر إلى
غزنین ۱۲ - كيف اتصل الشاعر بالسلطان ۱۳ -
موقف السلطان من الشاعر ۱۶ - فرار الفردوسی ۱۹
وفاة الفردوسی ۲۳ .

۲ - انتشار الثقافة الهلوية في العهد الاسلامی

۲۶ - ۲۴

۳ - مصادر الشاهنامات

۴۱ - ۲۷

خدای نامه ۲۷ - یاتکار زریران ۲۹ - کارنامه اردشیر
بابکان ۳۰ - قصه رستم و اسفندیار ۳۱ - قصه بهرام
چوین ۳۲ - قصه ویس و رامین ۳۲ - کتاب أخبار
الاسکندر ۳۳ - کتاب السکیکین ۳۳ - کتاب التاج ۳۴
نامه تنسر ۳۴ - چترنک نامه ۳۶ - کتاب الکریمامخ ۳۶
آئین نامک ۳۷ - کاهنامک ۳۷ - دینکرد ۳۸ - بندهشن
۳۹ - داتستان دینیک ۳۹ - مینوی خرد ۴۰ - مزدک
نامه ۴۰ .

صفحة

- ۵ شاهنامه ابی علی البلخی ۴۲
- ۶ — شاهنامه مسعودی المروزی ۴۳
- ۷ — شاهنامه ابی منصور محمد بن عبد الرزاق ۴۵ - ۴۹
- ۸ — شاهنامه الدیقی « گشتاسپنامه » ۴۹ - ۵۷
- ۹ — شاهنامه الفردوسی ۵۸ - ۱۱۶

عرض عام ۵۸ - دول الشاهنامه ۵۸ - رستم ۶۱ -
 مأساة رستم وسهراب ۶۹ - مأساة رستم وشغاد ۷۲ -
 اسفندیار ۷۳ - افراسیاب ۷۶ - تقسیم آخر للشاهنامه
 ۸۳ - تقسیم ثالث للشاهنامه ۸۵ - تقسیم رابع للشاهنامه
 ۸۵ - عصر الفردوسی والشاهنامه ۸۸ - الدولة الغزنیه
 ۸۸ - نهضة الأدب والحضارة فی العهد الغزنی ۹۴ -
 متى نظمت الشاهنامه ۱۰۰ - سبب تألیف الشاهنامه
 ۱۰۲ - صلة الشاعر بالسلطان ۱۰۳ - مصادر الفردوسی
 ۱۰۷ - دراسات الشاهنامه وترجماتها ۱۱۰ .

- ۱۰ — المنظومات التي قلدت الشاهنامه ۱۱۷ - ۱۳۵

گرشاسپ نامه ۱۱۷ - بهمن نامه ۱۱۹ - فرامرز نامه
 ۱۲۰ - کوش نامه ۱۲۱ - بانو کشسب نامه ۱۲۲ -
 برزو نامه ۱۲۳ - شهریار نامه ۱۲۴ - آذر برزین نامه
 ۱۲۵ - جهانگیر نامه ۱۲۵ - سام نامه ۱۲۷ - اسکندر

صفحة

نامه ١٢٧ - آئینه سکندری ١٣٠ - خرد نامه اسکندری
 ١٣٠ - قصة ذی القرنین ١٣١ - ظفر نامه ١٣١ -
 شهنشاه نامه ١٣٢ - غازان نامه ١٣٣ - شاهنامه هاتفی
 ١٣٣ - خاوران نامه ١٣٤ - صاحبقران نامه ١٣٥ -
 حمله حیدری ١٣٥ - اردیبهشت نامه ١٣٥ .

القسم الثانی : دراسات موضوعية

الحرب فی الشاهنامه وما يتصل بها ١٢٧ - ١٧٦ ١١

اعداد الشباب للحرب ١٣٧ - دعوة الجيوش ١٣٨ -
 عرض الجند ١٣٩ - الاستعداد للحرب ١٤١ - تنظيم
 الجيوش ١٤١ - أقسام الجند ١٤٣ - العلم ١٤٦ -
 أساليب الحرب : المبارزة ١٤٩ - الحرب الجماعية ١٥٦
 السير الصامت ١٥٦ - التخذيّل ١٥٧ - استدراج العدو
 ١٥٧ - التبييت ١٥٨ - توجيهات للجيوش المتحاربة ١٥٩
 حفر الخنادق ١٦٢ - محاصرة القلاع والحصون ١٦٢
 الأسلحة والآلات ١٦٣ - السهام ١٦٤ - الرماح ١٦٤
 الدرع ١٦٥ - الترس ١٦٥ - المنجنیق ١٦٥ - الجرّز
 أو العمود أو الدبوس ١٦٦ - الوهق ١٦٦ - الحسك
 ١٦٦ - الفيلة ١٦٧ - الأسود والضواری ١٦٧ -
 ارزاق الجند ١٦٨ - الموبذ فی الحرب ١٦٩ - الكاتب

صفحة

في الحرب ١٦٩ - الساحر ١٧٠ - من عاداتهم في
الحروب ١٧١ - ملاحظة تتصل بالحروب ١٧٢ -
الشطرنج والورد ١٧٤ .

١٢ - الملوك في الشاهنامة وما يتصل بهم ١٧٧-٢١١

الحق الالهي للملوك ٧٧ - نظام وراثة العرش ١٧٧ -
طبقة الملوك ١٨١ - صفات الملك ١٨٦ - مراسم
توليهم الملك ١٨٧ - الآداب والعادات المتصلة بالملوك
١٨٨ - التحية عند التولية ١٨٨ - النثار ١٨٨ - آداب
الدخول والانصراف ١٩٠ - اتخاذ الملوك علامات
ليصرفوا من في حضرته ١٩١ - خفض الصوت
١٩١ - تفرد الملوك بجملة أمور ١٩٢ - منع الناس
من مجارة الملوك ١٩٣ - لا يجوز الدعاء للملك ١٩٣ -
لا يجوز الابتداء بالكلام في حضرة الملك ١٩٤ -
القناعة في البطانة ١٩٤ - حسن الإصغاء ١٩٥ - خروج
الحاشية مع الملك ١٩٥ - التيمن باسم الملك ١٩٦ -
آداب الأكل ١٩٧ - الزممة ١٩٨ - استشارة الوزراء
١٩٨ - الرسول ١٩٩ - اللهو والترف وما يتصل بهما ٢٠١
دخل الملك ٢٠١ - ترف خسرو پرويز ٢٠٢ - تخته ٢٠٢
ايوانه ٢٠٤ - القטיפ ٢٠٤ - ملابس الملوك ٢٠٥ -
مجالس الشراب ٢٠٥ - اختيار الندماء ٢٠٦ - مراتب

صفحة

أهل الفن ٢٠٧ - رياضه الصيد ٢٠٨ - الضرب
بالصوالجه ٢١٠ - الشطرنج والموسيقى ٢١٠ - تقديم
الهدايا إلى الملوك ٢١٠ - الألقاب ٢١١ .

١٣ - الحياة الاجتماعية في الشاهنامه ٢١٢ - ٢٣٩

النظام الطبقي ٢١٢ - أيام الشهر ٢١٦ - كاهبارها
٢٢٢ - العلم والتعليم ٢٢٣ - التنجيم ٢٢٥ - الطب ٢٢٥
المرأة ٢٢٧ - المرأة في الحياة العامة ٢٢٧ - المرأة
والحب ٢٣٠ - الزواج ٢٣٤ - تعدد الزوجات ٢٣٥
نساء الملك ٢٣٥ - زواج الأخت والابنه ٢٣٦ -
المرأة إذا ولدت ٢٣٧ - إذا ولد المولود ٢٣٧ .

١٤ - الحياة الدينية في الشاهنامه ٢٤٠ - ٢٨٢

عبادة الفرس قبل زردشت ٢٤٠ - زردشت ٢٤٢ -
الاقتسا ٢٤٤ - العقيدة الزردشتية ٢٤٧ - فكرة
الثنوية والتوحيد ٢٤٩ - الحياة الأولى والحياة
الآخرة ٢٥٣ - النواحي الخلقية ٢٥٤ - كتاب
أرداويراف ٢٥٥ - النار في الديانة الزردشتية ٢٥٧ -
بيوت النار ٢٥٨ - عناصر أخرى وقرها الايرانيون
٢٦١ - الحياة الاجتماعية للايرانيين القدماء وتأثرها
بالدين ٢٦١ - الأعياد والأثر الديني فيها ٢٦٢ -
الفلاحة والفكرة الدينية ٢٦٣ - الوفاة والاجراءات

صفحة

الدينية المتصلة بها ٢٦٤ - الملابس وتأثيرها بالآثار
الديني ٢٦٥ - السكون والزمن ٢٦٦ - رجال الدين
وقوة نفوذهم ٢٦٧ - تدخل الموازنة في أكثر الشئون
٢٦٧ - مراتب رجال الدين ٢٦٨ - ضعف الديانة
الزردشتية ٢٦٩ : تحسن العلاقات بين دولتي الفرس
والروم ٢٧٠ - تسامح بعض الأكاسره ٢٧٠ - انتشار
الأفكار الفلسفية في بلاد ايران ٢٧٣ - تغلغل نفوذ
المسيحية ٢٧٤ - الديانة المانية ٢٧٥ - المزدكية ٢٧٦ -
الدهرية ٢٧٧ - اهمال طبقة الأشراف والموازنة ٢٧٧
الآثار الزردشتية في الحياة الاسلامية ٢٧٨ - الفرق
الدينية : المسلية ٢٨١ - الراوندية ٢٨١ - المقنعية
٢٨١ - الخرمية ٢٨١ .

٢٨٣—٣١٢

١٥ - نقد الشاهنامة

نظرة المؤرخين إلى الشاهنامة ٢٨٣ - تصوير الشاهنامة
لحياة الايرانيين القدماء ٢٨٤ - عنايتها بالملوك ٢٨٤ -
غلبة النزعة الفردية ٢٨٥ - موقف الشاهنامة من
الشعوب الأخرى ٢٨٦ : موقفها من التورانيين ٢٨٦
من الهنود ٢٨٧ - من الصين ٢٨٧ - من العرب ٢٨٧
موقف الشاهنامة من الديانات المختلفة : اليهودية ٢٨٩
الاسلام ٢٩٠ - الروح القومية في الشاهنامة ٢٩٢ -

صفحة

أشعار الفردوسى الذاتية ٢٩٣ - أمانة الفردوسى فيما
نظم ٢٩٤ - الخيال ٢٩٥ - أسلوب المنظومة ٢٩٦ -
المبالغات ٢٩٦ - طول الشاهنامه ٢٩٧ - التكرار فى
الشاهنامه ٢٩٨ - أخطاء الشاهنامه ٣٠١ - رأى مول
فى الشاهنامه ٣٠٤ - رأى براون ٣٠٥ - مقارنة
سريعة بين الشاهنامه والالياذة ٣٠٥ .

* * *

تصویب

وقعت بعض أخطاء مطبعية نذكر تصويها فيما يأتي:

صفحة	سطر	خطأ	صواب
۱۳	هامش	٤	۱
۲۸	۳	أول	الأول
۲۹	۱۷	لرجل	الرجل
۳۱	۱۲	چوین	چوین
۶۹	۶	قلیم	اقلیم
۶۹	۱۸	ابنة	ابنه
۸۴	۱	نمیزها	نمیزهما
۹۱	۱	ا	ابن
۱۰۰	۱۱	إذا	إذ
۱۱۱	هامش ۲	ص ۱۲	۱۲۲
۱۱۲	۱۱	الشاهامنه	الشاهنامه
۱۱۷	العنوان	۱ —	۱۰ —
۱۶۶	۷	منها	منها
۲۰۸	هامش ۲	ص ۶۹	ص ۶۴۲ ج ۱
۲۲۶	۱۰	شریعه	شریعة
۲۴۳	۱۰	لاول	الأول
۲۵۸	۲۲	حوجنی	أحوجنی
۲۷۱	۱	انتاشر	انتشار

891.55:N12dA:c.1

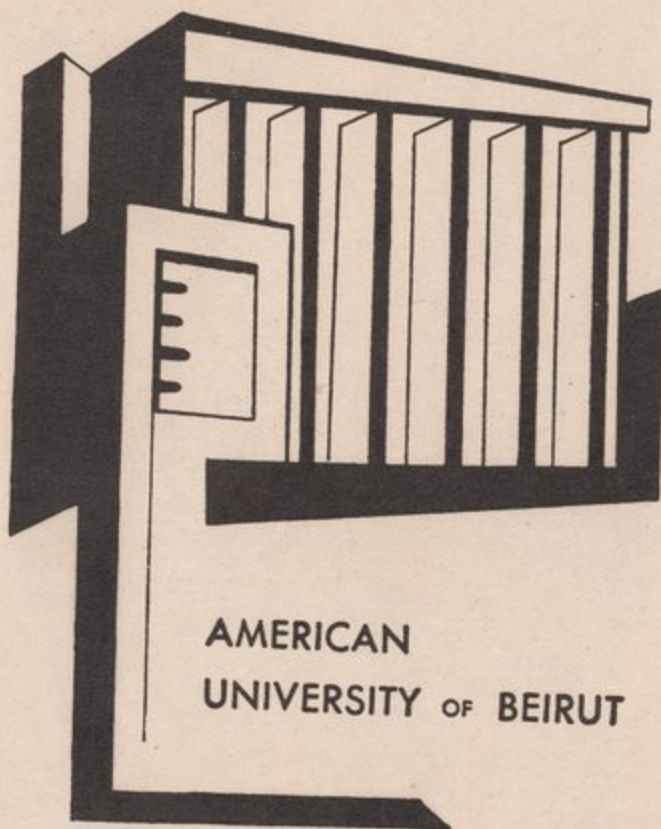
نداء طه

دراسات في الشاهنامة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032319



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

